بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السادس

من كتاب الأغانى

أخبار الصِّمَّة القُشَيْرِىّ ونسبه

نســبه

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمة الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان(1) بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ إسلامىّ بَدَوِىٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأُمويّة . ولجدّه قُرّة بن هُبَيْرة صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله .

١٣٢ / ٥

هو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية

وفد جدّه قرّة على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأسلم

أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمد الرّازى وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ وآبن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا :

(1) قال فى القاموس : « وعيلان بلا لام أبو قيس ، أو الصواب قيس عيلان مضافا » اهـ .
و يؤ يد القول بأنه أبوه قول سحبان :

لقد علمت قيس بن عيلان أننى * اذا قلت "أما بعد" إنى خطيبها

و يؤ يد القول الثانى قول الآخر :

الى حكم من قيس عيلان فيصل * وآخر من حيي ربيعة عالم

وعلى أنه مضاف قيل : إن « عيلان » اسم فرس لقيس فأضيف اليه ، أو هو عبد لمضر بن نزار حضن قيسا فغلب عليه ونسب اليه . (راجع القاموس وشرحه مادة عيل) .

وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال له : يارسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرّنا؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعْم ذا عقلا" .

قصته فى حبه وزواجه

وقال ابن دأْب : وكان من خبر الصِّمَّة أنه هَوِى آمرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دِنْيَةً(١) يقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبى بَرَاء بن مالك بن مُلَاعِب الأسنّة(٢) بن جعفر بن كِلَاب، فزوّجه إياها . وكان عامر قصيرا قبيحا؛ فقال الصِّمّة بن عبد الله فى ذلك :

فإنْ تُنْكِحوها عامرًا لاطّلاعكم * إليه يُدَهْدِهْكم(٣) برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذى يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلما بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْدًا شديدا وحزِن عليها؛ فزوّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشىّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فأقام عليها مُقَامًا يسيرا، ثم رحل إلى الشأم غضبًا على قومه، وخلّف آمرأتَه فيهم، وقال لها :

كُلِى التمرَ حتى تَهْرَمَ النخلُ وآضفِرِى * خِطَامَك ما تدرين ما اليومُ من أمسِ

(١) دنية أى لاصقة النسب . (٢) كذا فى الأصول . والمعروف أن ملاعب الأسنة كنيته أبو براء، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب . فصواب العبارة : «وخطبها عامر بن بشر بن أبى براء ملاعب الأسنة بن مالك ... الخ» . وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع

(انظر شرح القاموس مادة لعب، و بلوغ الأرب فى أحوال العرب للآلوسى ج ٢ ص ١٤٠) .

(٣) دهده : دحرج .

وقال فيها(١) أيضا :

لَعَمْرِى لئن كنتم على النأى والقِلَى * بكم مثلُ ما بى إنكم لصديقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن فى الحَشَى * رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضا :

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم * أتتنا بَرِيّاكم فطاب هُبوبُها
أتتنا بريح المسك خالَطَ عنبرًا * وريحِ الخُزَامَى باكرتْها جَنُوبُها

وقال فيها أيضا :

هل تَجْزِيَنِّى العامريّةُ موقفى * على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ
مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنَها * فأومأْتُ إذ ما من جواب ولا نُكْرِ

موته بطبرستان

وقال ابن دَأْب : وأخبرنى جماعة من بنى قُشَير أنّ الصِّمَّة خرج فى غُزِّىً(٢) من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأْب : وأنشدنى جماعة من بنى قُشَير للصِّمَّة :

صــوت

أَلَا تسألانِ اللهَ أن يَسْقِيَ الحِمَى * بَلَى فَسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطَالِيَا(٣)
وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمَى * فهل يسألنْ عنّى(٤) الحِمَى كيف حاليا

---

(١) واضح من السياق أن مرجع الضمير هنا العامرية محبوبته لا جبرة زوجته . (٢) غزى : اسم جمع لغاز ، أو هو جمع على وزن فعيل كقاطن وقطين وحاج وحجيج .

(٣) المطالى : جمع مطلاء (يمد و يقصر) ، وهو مسيل ضيق من الأرض أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاه . وحكى ابن برى عن على بن حمزة أن المطالى روضات ، واحدها مطلى بالقصر لاغير ، وأما المطلاء لما انخفض من الأرض واتسع فيمد و يقصر والقصر فيه أكثر . وقيل المطالى : المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها . (عن اللسان مادة طلى بتصرف) . (٤) رواية تجريد الأغانى (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٠٧١ أدب) : «فهل يسألن أهل الحمى ... » .

١٣٣/٥

الغناء فى هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغانى ونادرها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع وعمّى قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفرىّ حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفرىّ عن عبد العزيز بن أبى ثابت قال حدّثنى رجل من أهل طَبَرِسْتَانَ كبيرُ السنّ قال :

بينا أنا يومًا أمشى فى ضَيْعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان فى البستان مطروحٍ عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا تَرَى * بَشَامَ(١) الحِمَى أُخْرَى الليالى الغوابرِ
كأنّ فؤادى من تذكُّرِه الحِمَى * وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائر

قال : فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه؛ فسألت عنه فقيل لى : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ .

كان ابن الأعرابى يستحسن شعرا له

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الخزّاز أحمد بن الحارث قال :
كان ابن الأعرابىّ يستحسن قول الصمة :

صوت

أَمَا وجلالِ الله لو تذكُرِينَنى * كذِكْرِيكِ ما كَفْكَفتِ للعين مَدْمَعَا
فقالت بَلَى والله ذكرًا لَوَ آنّه * يُصَبّ على صُمّ الصَّفَا لتصدّعا

(١) فى الأصول : « سنام الحمى » . والتصويب عن كتاب تجريد الأغانى . والبشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

— غنّى فى هذين البيتين عُبيد الله بن أبى غَسّان ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى ، وفيهما لعَرِيبَ خفيفُ رَمَل —

ولمّا(١) رأيتُ البِشْرَ قد حال بيننا * وجالتْ بناتُ الشوق فى الصدر نُزَّعَا
تَلَفَّتُّ نحوَ الحىّ حتى وجدتُنى * وَجِعتُ(٢) من الإصغاء لِيتًا وأَخْدَعا

مدح ابراهيم بن محمد بن سليمان شعره

أخبرنى أبو الطيِّب بن الوَشّاء قال :

قال لى إبراهيم بن محمد بن سليمان الأَزْدىّ : لو حلَف حالفٌ أنّ أحسنَ ابياتٍ قِيلت فى الجاهلية والإسلام فى الغزل قولُ الصِّمَّة القُشَيرىّ ماحنِث :

حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ * مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما معا
فما حَسَنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعًا * وتجزَعَ أَنْ داعى الصبابة أَسْمعا
بكتْ عينىَ اليُمنَى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أَسْبلتا معا

صوت

وأذكرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثنى * على كَبِدى من خشيةٍ أن تَصدَّعا
فليست عشيّاتُ الحِمَى بِرَوَاجع * عليك ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت فى هذين البيتين قُرَشيّة الزَّرْقاءُ لحنًا من الثقيل الأوّل عن الهشامىّ .

وهذه الأبيات التى أولها "حننت إلى رَيّا" تُروَى لقَيْس بن ذَرِيح فى أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكِرت فى مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون فى أخباره بأسانيد قد

(١) رواية ديوان الحماسة (طبع مدينة ليدن) :

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * ... ... يحنّ نزعا

والبشر : جبل . وأعرض : أبدى عرضه . (٢) فى س : « وجئت » . وفى سائر الأصول : «وخفت» . والتصويب عن ديوان الحماسة واللسان (مادة وجع) . والليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة .

ذُكرت أيضا فى أخباره . والصحيح فى البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَرِيح وروايتهما [له](١) أَثْبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ؛ والأُخَر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصِّمَّة .

١٣٤ / ٥

كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبى حاتم للصِّمَّة القُشَيرىّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما ، وأنشدنيهما عمّى عن الكُرَانىّ عن أبى حاتم ، وأنشدنيهما الحسن بن علىّ عن ابن مهرويه عن أبى حاتم :

إذا نأتْ لم تُفارِقْنى عَلاقتُها * وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِى
فحال عينىَ من يومَيْكِ واحدةٌ * تبكى لفَرْط صدودٍ أو نَوَى دار

تذكر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها

أخبرنى حبيب بن نصر المهلَّبى قال حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلّام قال حدّثنى أبى عن شُعيب بن صخْر عن بعض بنى عُقَيل قال :

مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ يومًا وهو جالس وحدَه يبكى ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدقَتْكَ فيما قالت ؛ فقلت : من تَعنى ؟ وَيْحك ! أجُننتَ ! قال : أَعْنى التى أقول فيها :

أَمَا وجلالِ اللهِ لو تذكُرِيننى * كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرًا لو انّه * يُصَبّ على صُمّ الصَّفَا لتصدّعا

أُسلى نفسى عنها وأُخبرها أنها لو ذكرتنى كما قالت لكانت فى مثل حالى .

قصته فى خطبة ابنة عمه ورحلته الى ثغر من الثغور وشعره فى ذلك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى مسعود بن عيسى ابنَ إسماعيل العبْدى عن موسى بن عبد الله التَّيْمىّ قال :

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

خطب الصِّمَّة القُشيرىّ بنتَ عمّه وكان لها مُحِبًّا، فاشتطّ عليه عمُّه فى المهر؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المال فلم يُعِنْه بشىء؛ فسأل عَشيرتَه فأعطَوْه؛ فأتى بالإبل عمَّه؛ فقال : لا أقبل هذه فى مهر ابنتى، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك ؛ فسأل ذلك أباه فأبى عليه ؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلّاها ، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلّافه . وتحمّل الصِّمَّةُ راحلًا . فقالت بنت عمه حين رأته يتحمّل : تالله ما رأيت كاليوم رجلًا باعته عشيرته بأَبْعِرة . ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر؛ فقال وقد طال مُقامه واشتاقها ونَدِم على فعله :

أتبكى على رَيّا ونفسُك باعدتْ * مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتى الأمرَ طائعا * وتجزَعَ أنْ داعى الصبابة أَسمعا

وقد أخبرنى بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ : أن الصِّمَّة خطَب ابنة عمّه هذه إلى أبيها؛ فقال له : لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بها؛ فساق الإبلَ عنه إلى أخيه؛ فلما جاء بها عدّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيرا، فقال : لا آخذها إلا كاملةً؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئًا . ورجع إلى الصِّمَّة ، فقال له : ما وراءك؟ فأخبره، فقال : تالله ما رأيت قطُّ ألأمَ منكما جميعا؛ وإنى لَأَلْأم منكما إن أقمتُ بينكما؛ ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات . وقال فى ذلك :

أَمِنْ ذكر دارٍ بالرَّقاشَيْن[1] أصبحتْ * بها عاصفاتُ الصيف بَدْءًا ورُجَّعا

(١) الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف فى ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى — وقد نسبه ليزيد بن الطثرية — :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت * عليها رياح الصيف بدءا ورجعا

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت * مزارَكَ من ريا وشعباكُما معا ١٣٥/٥
فما حسنٌ أن تأتى الأمرَ طائعا * وتجزَعَ أن داعى الصبابة أسمعا
كأنك لم تشهد وَدَاعَ مُفارِق * ولم تَرَ شَعبَىْ صاحبين تقطّعا
بكت عينىَ اليسرى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أسبَلَتا معا
تحمّل أهلى من قنين(١) وغادروا * به أهلَ ليلى حين جِيدَ(٢) وأَمْرعا
ألا يا خليلَىّ اللذيْن تواصيا * بلومىَ إلّا أن أُطيع وأَسمعا
قِفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة * يمانيّة شَتَّى بها القومُ أو معا
لِمُغتصَبٍ قد عزّه(٣) القومُ أمرَه * حياءً يكُفّ الدمعَ أن يتطلّعا
تَبَرَّضُ(٤) عينيه الصَّبابةُ كلّما * دنا الليل أو أَوْفَى من الأرض مَيْفَعا(٥)
فليستْ عشيّاتُ الحِمَى برواجعٍ * إليكَ ولكن خلِّ عينيْك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن علىّ

قُلْ لأسماء أَنْجِزى الميعادا * وانظرى أن تُزوِّدى منكِ زادا
إن تكونى حللتِ رَبْعًا من الشأ * م وجاورتِ حِمْيرًا أو مُرَادا
أو تناءَتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لَحيْنِه فانقادا
ذاكَ أنى عَلِقتُ منكِ جَوَى الحب * وَليدًا فزدتُ سِنًّا(٦) فزادا

(١) لم نوفق الى هذا الاسم فى المعاجم التى بين أيدينا . وظاهر أنه اسم موضع أو محرف عن اسم موضع .
(٢) جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير . (٣) عزه : غلبه وسلبه . (٤) أى تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئا فشيئا . يقال : تبرضت ماء الحسى إذا أخذته قليلا قليلا ، وفلان يتبرض الماء إذا كان كلما اجتمع منه شىء غرفه . (٥) الميفع : المكان المشرف . (٦) فى الأصول هنا وفيما يأتى « شيئا » . والتصويب عن تجريد الأغانى .

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحْمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى . وقد كنا وجدنا هذا الشعر فى رواية علىّ بن يحيى عن إسحاق منسوبًا إلى المرقِّش، وطلبناه فى أشعار المرقِّشَيْن(١) جميعا فلم نجده، وكنا نظنه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا فى شعر داود بن سلم، وفى خبرٍ أنا ذاكره فى أخبار داود . وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منا غيرَه ، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغى لقارئ هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمده ولا آخترعناه، وإنما حكيناه عن رواته وآجتهدنا فى الإصابة . وإن عرف صوابا مخالفا لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

(١) يعنى بالمرقشين : المرقش الأكبر والأصغر . والأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل . كذا قال ابن الكلبى وخالفه الجوهرى . فقال : إنه من بنى سدوس . والمرقش الأصغر هو ربيعة بن حرملة ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر ، وهو أيضا عم طرفة بن العبد . (انظر شرح القاموس مادة رقش) وسيأتى الكلام عليهما فى هذا الجزء .

أخبار داود بن سَلْم ونسبه

نسبه وولاؤه وهو من مخضرمى الدولتين

داود بن سَلْم مولى بنى تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ؛ ثم يقول بعضُ الرواة: إنّه مولى آل أبى بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طَلْحة. وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكنى المدينة، يقال له داود الآدم(١) وداود الأرمك(٢).

رآه والى المدينة يخطر فى مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك

١٣٦ / ٥

وكان من أقبح الناس وجها. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به، وكان يتولّى المدينــةَ، فضربه ضربا مبرِّحا، وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التى تخايل فيها فى مِشيته. فقال بعض الشعراء فى ذلك وأظنه ٱبنَ رُهَيمة:

ضرب العــادلُ سـعدٌ * ٱبنَ ســلم فى السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لســعد * من أميرٍ كلَّ حاجه

مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم

أخبرنى محمد بن سليمان الطُّوسِى قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال:

سألت محمدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر ابن عبيد الله بن مَعْمر؛ فٱنتسب إلى ولاء أمه. وفى ذلك يقول ويمدح ٱبنَ مَعْمَر:

وإذا دعا الجانى النصيرَ لنصره * وارتَثَى الغُــرَرُ النصيرةُ(٣) مَعْمَرُ

---

(١) كذا فى ب، س، حـ. وفى سائر الأصول: "الأدلم" والآدم والأدلم بمعنى، وهو الأسود.

(٢) الأرمك: الأسود. وفى جميع الأصول: « الأدمك » (بالدال المهملة) وهو تحريف.

(٣) كذا فى جميع الأصول ولعلها مصحفة عن « النضيرة » بالضاد المعجمة.

مُتَخازِرِين (١) كأنّ أُسْدَ خَفِيّةٍ (٢) * بمقامها مستبسلاتٌ تزْأَرُ
متجاسرين بحمل كل مُلِمَّةٍ * متجبِّرين على الذى يتجبَّرُ
عُسُلُ الرِّضا فإذا أردتَ خصامَهم * خَلَطَ السِّمامَ بفيك صابٌ مُمْقِرُ (٣)
لا يَطْبَعون ولا ترى أخلاقهم * إلّا تطيبُ كما يطيب العنبر
رفَعوا بِنَاىَ بِعتْقِ حَوْطٍ دِنْيَةٌ * جدِّى وفضلهم الذى لا يُنْكَر

كان أسود بخيلا وله شعر فى الكرم كذبه فيه قوم ضافوه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

كان داود بن سَلْم مولى بنى تَيْم بن مُرّة، وكان يقال له : الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس ؛ فطَرَقه قوم وهو بالعَقِيق، فصاحوا به : العَشَاءَ والقِرَى يابنَ سَلْم ؛ فقال لهم : لا عَشَاء لكم عندى ولا قِرى ؛ قالوا : فأين قولُك فى قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هندٍ ألَا حُيِّيتِ من دارِ * لم أَقْضِ منك لُباناتى وأوطارى
عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نَبَّهنى * عَقْرَ العِشارِ (٤) على يُسْرى وإعسارى

قال : لستم من أولئكَ الذين عنيتُ .

عزى السرى بن عبد الله عن ابنه

قال : ودخل على السَّرِىّ بن عبد الله الهاشمىّ ، وقد أصيب بابن له ؛ فوقف بين يديه ثم أنشده :

---

(١) تخازر الرجل ضيق جفنه ليحدّد النظر . (٢) الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه ، وهى خفيته . وقيل : هى علم لموضع بعينه . قال الشاعر :

أسود شرى لاقت أسود خفية   تساقين سما كلهن خوادر

فشرى وخفية علمان لموضعين (راجع اللسان مادة خفى) . (٣) عسل : جمع عاسل وعسول أى حلو . والمقر : الشديد المرارة . (٤) العشار جمع عشراء ، وهى من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر ، فإذا وضعت لتمام سنة فهى عشراء أيضا . وأحسن ما تكون الإبل وأنفسها عند أهلها إذا كانت عشارا .

يا من على الأرض من عُجْم ومن عَرَبٍ * اِسترجِعُوا خاسَتِ(١) الدّنيا بعبّاسِ
فُجِعتُ من سبعة قد كنتُ آمُلُهم * من ضِنْءٍ(٢) والدهرِ بالسيّد الرّاسِ

قال : وداود بن سلم الذى يقول :

قُلْ لأسماءَ أَنجِزى الميعادا * وٱنظُرى أن تزوّدى منك زادا
إن تكونى حَلَلْتِ رِبعًا من الشا * م وجاورتِ حِميرًا أو مُرادا
أو تناءت بك النوى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لحَينه فٱنقادا
ذاك أنى عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ * ـبّ وَليدًا فزدتُ سِنًّا فزادا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غسّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود ابن سَلْم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الشعر الذى فيه غناء

١٣٧/٥

صـوت

يا دارَ هند ألَا حُيِّيتِ من دارِ * لم أقضِ منك لُباناتى وأوطارى

يُتِمّ ويُنسب(٣) .

مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء، فزجره

أخبرنا الطُّوسىّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرنى مُصْعَب بن عثمان قال : دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ طلحةَ بنِ عمرَ بنِ عُبَيدِ الله بن مَعْمَر التَّيْمىّ أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبَى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين يسرقون(٤)

(١) خاست : غدرت . (٢) الضنء : الولد ، ويطلق على الأصل أيضا .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وينسب . انتهى» . ولا معنى لهذه الزيادة .

(٤) كذا فى ب ، سـ . وفى أ ، ء ، م : «مسرفين يسرفون» (بالفاء) . وفى حـ : «مسروقين يسرقون له معسلا» . ولم نوفق الى وجه الصواب فيها .

له مغسلا فى السجن، وجاء بنو طلحة فأنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد، فأرسل إليه فأُتى به، فقال : إنك تلاجَجْتَ علىّ، وقد حلفتُ ألّا أُرسِلك حتى تعملَ لى ، فأَبرِرْ يمينى ، ففعل، فأرسل الحسن معه جندًا حتى جلس فى المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه، فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال :

طلبوا الفقه والمروءةَ والحلْـ * ـمَ وفيك آجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه، فدفعوه، فنُحِّىَ[1] عنه، فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء، فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين دينارا، وقال للرسول: قل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحنى بشىء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك .

ضربه سعد بن ابراهيم فى المسجد والقصة فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى مُحْرِز آبن سعيد قال :

بينما سعد بن إبراهيم فى مسجد النبىّ صلىّ الله عليه وسلم يقضى بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ، فأومأ أن يُؤتَى بهما ، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لى نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعى له فجاء أحسنَ الناس سَمْتًا وتشميرا ونقاءَ ثياب ، فأشار إليه فجلس ، ثم أقبل على زيد فقال له : يا بن أخى ، تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس، قُمْ فآنصرف . ثم أقبل على آبن سَلْم وكان قبيحا، فقال له : هذا

(١) فى ب ، سـ : « فتنحى عنه » .

ابنُ جعفرٍ أحتمل هـذا له ، وأنت لأىّ شىء أحتمل هـذا لك ؟ أَلِلؤم أصلِك ، أم لسماجة وجهـك ! جَرِّد ياغلام ؛ فجُـرِّد فضرَبه أسواطا . فقال آبن رُهَيمة :

جلد العادلُ ســـعدٌ * ابنَ سَلْم فى السَّماجَهْ

فقَضَى اللهُ لســـعدٍ * من أميرٍ كلَّ حاجه

أخبرنى الحَـرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدّثنى عبـد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال :

قال لى أبى — وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء — يابنىّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سـعد بن إبراهيم ، فإن القاضى إذا عُزِل لم يزل النـاسُ ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سـعد بن إبراهيم ، فإذا صـوتٌ عالٍ ؛ فقـال لى أىُّ شىء هذا ؟ أرى أنه قد أُعْجِل علىّ ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطًا ، فأقبل علىّ سعدٌ وعلى أبى ، فقـال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطًا فى ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشـاعر : ١٣٨ / ٥

ضرب العادلُ سعدٌ * ابنَ سَلْم فى السماجَهْ

فقضى اللهُ لســـعدٍ * من أمـيرٍ كلَّ حاجه

كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفـر بن سليمان

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكيع قال قال الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِى وآسمه هارون بن عبد الله (١) قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال :

(١) فى ى ، م « عبيد الله » .

كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بنى تَيْم إذا جاءته غَلّة من الخانِقِين[1] أن يَصِلَه . فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجٍّ أو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما ، فقال له الحسن : أنت القائل فى جعفر :

وكنّا حديثا[2] قبلَ تأمير جعفرٍ * وكان المُنَى فى جعفرٍ أن يُؤَمَّرا
حَوَى المِنْبَرَيْن الطاهرَيْن كليهما * إذا ما خطا عن مِنبرٍ أَمَّ مِنْبرا
كأن بنى حَوّاء صُفُّوا أمامَه * فخُيِّرَ من أنسابهم فتخيَّرا؟

فقال داود : نعم ، جعلنى الله فداءكم ، فكنتم خِيَرة ٱختياره ؛ وأنا الذى أقول :

لَعَمْرِى لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِماً * بعفوٍ عن الجانى وإن كان مُعْذِرَا
لأنتَ بما قدّمتَ أولى بِمِدْحةٍ * وأكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصُرا
هو الغُرّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ * ويدعو علياًّ ذا المعالى وجعفرا
وزيدَ النَّدَى[3] والسِّبْطَ سِبْطَ محمدٍ * وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكىَّ المطهَّرا
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ * إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكمُ نالوا ذُرَاها فأصبحوا * يَرَوْن به عزًّا عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات . قال أبو يحيى : يعنى بقوله : "وإن كان مُعْذِرا" أن جعفرًا أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار ، فذكر أن له عذراً فى مدحه إياه بجزالة إعطائه .

---

(١) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال ، وبين قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ . وقال البشارى : وخانقين أيضا بلدة بالكوفة . (عن معجم البلدان) . (٢) كذا بالأصول . (٣) يعنى به زيد بن على ابن الحسين بن أبى طالب الذى خرج على هشام بن عبد الملك فى خلافته فقتله . والسبط : الحسن بن على ابن أبى طالب . وعمه يعنى به الحسين بن على بن أبى طالب ، وقد قتل بالطف ، وهو موضع قرب الكوفة .

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدىّ عن ابن أبى الزِّنَاد قال :

كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أزهَر (على ستة أميال من المدينة، حِيالَ ذى الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوسًا فى القمر، وأبو السائب المخزومىّ معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفًا بالسَّماع والغَزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك(1) فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة، فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرِّب به :

صـــوت

فعرَّسْنا ببطن عُرَيْتِنَاتٍ(2) * ليَجْمَعَنا وفاطمةَ المَسِيرُ
أتَنْسَى إذ تَعَرَّض وهو بادٍ * مُقَلَّدُها كما بَرَق الصَّبِير(3)
ومَن يُطِع الهوى يُعرَفْ هواه * وقد يُنْبيك بالأمر الخبير
على أنى زَفَرْتُ غَداةَ هَرْشَى(4) * فكاد يُرِيبهم منّى الزَّفير ١٣٩/٥

— الغناءُ للغَرِيض ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنّه هذا اللحنَ — قال : فأخذ أبو السائب الطبَقَ ! فوَحَّش(5) به إلى السماء، فوقع الفَرِيكُ على رأس الحسن بن زيد،

(1) الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره . (2) عرس القوم : نزلوا فى السفر فى آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . وعريتنات : اسم واد . وقال أبو عبيدة : عريتنات ماء بمدنة . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه مادة عرتن) . (3) الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر . (4) هرشى (وزان سكرى) : ثنية قرب الجحفة فى طريق مكة يرى منها البحر، ولها طريقان يفضيان بمن سلكهما إلى موضع واحد، ولذلك قال الشاعر :

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما * كلا جانبى هرشى لهن طريق

(5) وحش : رمى .

فقال له: مالَك؟ وَيْحَك! أَجُننتَ! فقال له أبو السائب: أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومَدَدْتَه كما فعلتَ! قال: فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكا، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إياه. قال ابنُ أبي الزِّناد: فلما خرج أبو السائب قال لى: يابنَ أبي الزِّناد، أَمَا سمعتَ مَدّه:

* ومن يُطع الهوى يُعْرَفْ هواه *

فقلت نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالى لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازىّ وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ.

ما وقع بين ضبيعة العبسىّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثتنى ظَبْيةُ مولاةُ فاطمةَ بنت عمر بن مُصْعَب قالت:

أرسلتنى مولاتى فاطمةُ فى حاجة، فمررتُ برَحْبة القضاء، فإذا بضُبَيعةَ العَبْسىّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضى بين الناس؛ فأرسل إلىّ فدعانى، وقد كنت رَطَّلْتُ(١) شَعْرى وربطت فى أطرافه من ألوان العِهْن؛ فقال: ما هذا؛ فقلت شىء أتملّح به؛ فقال: ياحَرَسِىّ قنّعْها بالسَّوْط. قالت: فتناولتُ السوط بيدى وقلت: قاتلك الله! ماأبين الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يجلِد الناس فى السَّماجة، وأنت تجلِدهم فى المَلَاحة؛ وقد قال الشاعر:

جلَد العادل سعدٌ * ابنَ سَلْمٍ فى السماجهْ
فقضى اللهُ لسعدٍ * من أميرٍ كلَّ حاجه

---

(١) رطل شعره: لينه بالدهن وكسره ومشطه وأرسله.

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بى، وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوَى ذلك، وأقول : لا أريد بأهلى بدلا ؛ إلى أن مررت يوما بالرَّحْبة وهو فى مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر؛ فأرسل إلىّ فدعانى ، فوجدتُه من وراءِ كِلَّة وأنا لا أشعر به، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لى حازم : الأمير يريدك ؛ فقلت : لا أريد بأهلى بدلا ؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان، فآرتعتُ لذلك فقلت : آه؛ فقال : مالَكِ ؟ فقلت :

سمعتُ بذكر الناس هندًا فلم أَزَلْ * أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هند

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت :

فأبصرتُ هندًا حُرَّةً غيرَ أنها * تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْد

قالت : فضحك حتى آستلقَى ، وأرسل إلى مولاتى ليبتاعَنى ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَنى؛ فقلت : والله لا أستبيعُك أبدا .

أرسل شعرا لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا يونس ابن عبد الله عن داود بن سَلْم قال :

كنت يوما جالسا مع قُثَم بن العباس قبل أن يُمَلَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها . فلمّا وَلِى قُثَم اليمامة آشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له صالح . قال داود بن سلم : فكتبتُ إلى قُثَمَ :

١٤٠ / ٥

ياصاحبَ العِيسِ ثم راكبَها * أبلغْ إذا ما لقيتَه قُثَمَا

أنّ الغزال الذى أجاز بنا * مُعارِضًا إذ توسّط الحَرَما

حَوّله صالحٌ فصار مع الْإِنْسِ وخَلّى الوحوش والسَّلَمَا

قال : فأرسل قثم فى طلب الجارية ليشتريَها، فوجدها قد ماتت .

وفـد على حرب ابن خالد ومدحه فأجازه

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثنا عبد الله ابن محمد بن موسى بن طَلْحة قال حدّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرّبيع[1] بن يونس :

أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحَلّوا عن راحلته؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول :

ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم[2] * ولاقيتُ حَرْبًا لَقِيتُ النجاحا
وجدناه يَحْمَده المُجْتَدُون * ويأبَى على العسر إلا سَماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبهم * يَهابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألفَ دينار . فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه؛ فظنّ أن حَرْبًا ساخطٌ عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له : سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خرج عنا . قال : فسمع الغاضِرِيّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال : أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك .

شعره في الغزل

وذكر محمد بن داود بن الجَرّاح أن عمر بن شَبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم، فقال : أحسنَ والله داود حيث يقول :

لَجَجْتُ من حبّي في تقريبه * وعُمِّيتْ عيناىَ عن عيوبهِ
كذاك صرفُ الدهر في تقليبه * لا يلبَث الحبيبُ عن حبيبه
* أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه *

قال : وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال :

---

(١) في حـ : « مولى الربيع بن يونس » بدون كلمة « آل » . (٢) في ء وإحدى روايتي أ : « إلى بابهم » .

وما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ إلا ذكرتُها (١) * وأذكرُها فى وقت كلّ غروبِ
وأذكرها ما بين ذاك وهــذه * وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شَفَّنى شَوْقِى وأبعدنى الهوى (٢) * وأعيا الذى بى طِبَّ كلِّ طبيب
وأَعْجَبُ أنّى لا أموتُ صَبابةً * وما كَمَــدٌ من عاشــقٍ بعجيب
وكلُّ محبٍّ قد ســلا غيرَ أننى * غريبُ الهوى، ياوَيْحَ كلِّ غريب
وكم لام فيها من أخٍ ذى نصيحةٍ * فقلت له أَقْصِر فغيرُ مُصيب
أتأمر إنسانًا بفُــرْقة قلبــه * أتصلُح أجسامٌ بغــير قلوب

شعر له فى مدح قثم بن العباس

أخبرنى إسمـاعيل بن يونُس الشِّـيعى قال حدثنا عمــر بن شَبّةَ قال حدّثنى أبو غَسّان قال :

كان داود بن سَلْم (٣) منقطعًا إلى قُثَم بن العباس، وفيه يقول :

عَتَقْتِ من حِلِّى ومن رِحْلَتِى * ياناقُ إن أَدْنيتِنِى من قُثَمْ
إنكِ إن أَدْنيتِ منــه غدًا * حالفنى اليسر ومات العــدم
فى وجهــه بدرٌ وفى كفّه * بحــرٌ وفى العِــرْنين منه شَمَمْ ١٤١/٥
أصمُّ عن قِيــل الخَنَا سمعُه * وما عن الخــير به من صَمَمْ
لم يدر ما "لا" و"بَلَى" قد دَرَى * فعافها وآعتاض منهـا "نَعَمْ"

قال أبو إسحاق إسمـاعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبّة قال لى إسحاق : لنَظْم العَمْياء فى هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) (٤) .

(١) ذر : طلع . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وأبعده : أهلكه وأقصاه . وفى ب، س : «وأبلانى الهوى» . (٣) نسب هذا الشعر فى الكامل للبرد (ص ٣٦٩ طبع أوربا) لسليمان آبن قتة مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٤) هذه العبارة ساقطة من الأصول ما عدا ب، س .

أخبار دَحْمان ونسبه

كان مغنيا صالحا مقبول الشهادة ملازما للحج

دَحْمان لقبٌ لُقّب به ، وآسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلَى بنى لَيْث بن بكر ابن عبد مَنَاة بن كِنَانة . ويُكنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأشقر . قال إسحاق: كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثيرَ الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِنًا للحجّ ؛ وكان كثيرا ما يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

قال إسحاق : وحدّثنى الزُّبَيرىّ أنّ دَحْمان شَهِد عند عبد العزيز بن المطَّلب [بن عبد الله](١) بن حَنْطَب [المخزومىّ](١) ، وهو يَلِى القضاءَ لرجلٍ من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعدّله(٢) ؛ فقال له العِراقىّ : إنه دَحْمان ؛ قال : أعرفه ، ولو لم أعرفْه لسألتُ عنه ؛ قال : إنه يغنّى ويعلّم الجوارى الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك، وأيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج إلى الرجل عن حقّه .

مدح أعشى سليم غناءه

وفى دحمان يقول أعشى بنى سُلَيم :

إذا ما هَزَّج الوادِىُّ أو تَقَّل دَحْمانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هذا * ومن هذا بميزانْ
فهذا سيِّد الإنس * وهذا سيّد الجانّْ

وفيه يقول أيضا :

كانوا فحولًا فصاروا عند حَلْبتهم * لمّا آنبرى لهمُ دَحْمانُ خِصْيانا

---

(١) زيادة عن ابن الأثير والطبرى وتهذيب التهذيب (ج ٦ ص ٣٥٧) . وعبدالعزيز هذا موصوف بالجود والمعرفة بالقضاء والحكم . ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . وأمه أم الفضل بنت كليب بن جرير بن معاوية الخفاجية . (٢) كذا فى حـ . وعدّله : زكاه . وفى سائر الأصول : «وعدلها» .

فأَبْلِغُــوه عن الأعشى مقالتَـــه * أعشى سُــلَيم أبى عمـــرٍو سليانا
قولوا يقول أبو عمــرو لصُحْبته * ياليت دَحْمانَ قبــل الموت غنّانا

كان من تلاميذ معبد وأحد رواته

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانىّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم ابن المهدىّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعا :

أنّ دحمان كان معدَّلا مقبولَ الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبوسعيدٍ مولى فائد أيضا ممن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين . قال: وكان معبد فى أول أمره مقبولَ الشهادة ، فلمــا حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأن شيئا بان عليه من دخول فى محظور، ولكن](١) لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

منزلته فى الغناء عند إبراهيم الموصلى

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال قال إسحاق :

كان دحمان يُكنَى أبا عمرو، مولى بنى لَيْث، واسمُه عبدالرحمن، وكان يَخضِب رأسَــه ولحيته بالحِنّاء؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحــاق : وكان أبى لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبدًا ما آشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به فى الغناء ابنُه عبد الله، وكان يفضِّل الزُّبَيرَ(٢) ابنَه تفضيلًا شديدا على عبد الله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه](٣) .

١٤٢/٥

كان المهدى يجزل صـــلته

أخبرنى يحيى عن أبى أيّوب عن أحمد بن المَكّىّ عن عبد الله بن دَحْمان قال: رجع أبى من عند المَهْدىّ وفى حاصلِه مائةُ ألفِ دينار .

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين زيادة عن ب ، سـ . (٢) فى ب ، سـ : «وكان يفضل الزبير ابنه عبدالله تفضيلا ... الخ » ، وهو تحريف . (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، سـ .

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

بلغنى أنّ المهدىّ أعطى دَحْمان فى ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار؛ وذلك أنه غنّى فى شعر الأَحْوص :

قَطُوفُ المَشْى إذ تمشِى * تَرَى فى مشيها خَرَقَا(١)

فأعجبه وطرِب ، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْنِى ماشئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لها رَيّان وغالِب ؛ فأَقْطعه إيّاهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبى عبيد الله(٢) وعمر بن بَزِيع راجعا المهدىّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلّا خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود فى أيام بنى أمية فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقا * فَبِتُّ مسهَّدًا قَلِقا
كذاك الحُبّ مما يُحـ * ـدث التسهيدَ والأرقا
قَطُوف المشيِ إذ تمشى * تَرَى فى مشيها خَرَقا
وتُثْقِلها عَجِيزتُها * إذا ولَّت لتنطلقا

(١) قطوف المشى : بطيئته . وخرقا : تحيرا ودهشا . يريد أنها حيية خفرة حتى لترى آثار التحير والدهش بادية عليها إذا مشت . وفى اللسان : « وفى حديث تزويج فاطمة رضوان الله عليها : فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء ، أى خجلة مدهوشة ؛ من الخرق وهو التحير . روى أنها أتته تعثر فى مرطها من الخجل » .

(٢) كذا فى حـ . وهو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الكاتب الوزير . وفى سائر الأصول : « إلى أبى عبد الله » ، وهو تحريف . (راجع الطبرى وابن الأثير فى غير موضع) .

الشعر للأحوص . والغناء لدحمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهشامىّ أنه لابن سريج .

سئل عن ثمن ردائه فأجاب

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال : مرّ دحمان المغنّى وعليه رداء جيّد عدنىّ (١) ؛ فقال له من حضر : بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو ؟ قال :

بـ * ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا *

نسبة هذا الصوت

صوت

ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا * لو أنهم قبل بينهم ربعوا (٢)
أحموا (٣) على عاشق زيارته * فهو (٤) بهجران بينهم قطع (٥)
وهو كأنّ الهيام خالطه * وما به غير حبها ذرع (٦)
كأنّ لبنى صبير (٧) غادية * أو دمية زيّنت بها البيع
الله بينى وبين قيّمها * يفرّ عنّى بها وأتّبع

اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل اليه وأكرمه

أخبرنى وكيع عن أبى أيّوب المدينىّ إجازةً عن أبى محمد العامرىّ الأويسىّ قال :

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « غردنى » . (٢) ربعوا : تمهلوا وانتظروا . (٣) أحموا : حظروا ومنعوا . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فهم » ، وهو تحريف . (٥) القطع (كصرد) : من يهجر رحمه و يعقها و يقطعها . (٦) الذرع : الطمع . وفى حـ : « درع » (بالدال المهملة) ولعلها مصحفة عما أثبتناه . وفى سائر الأصول : « ردع » ولا معنى له . (٧) الصبير : السحاب الأبيض الذى يصير بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

كان دَحْمان جَمّالًا يُكْرِى إلى المواضع ويَتَّجر، وكانت له مروءةٌ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أَكْرَى جِمالَه وأخذ مالَه إذ سمِع رَنّة ، فقام وآتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تَبْكى؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ؟ قالت : نعم؛ فقال : لمن؟ فقالت : ١٤٣/٥ لامرأة من قريش، وسمّتْها له؛ فقال : أتبيعك؟ قالت : نعم، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني؛ فقالت : آئذنى له ، فدخل، فسامها حتى آستقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتى دينار، فنقَدها إياها وآنصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأقامت عندى مدةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجَر ونظراؤهما من المغنين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حَذَقتْ ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزِل الأَكْرِياء(١) ناحيةً، وأنزل معتزِلًا بها ناحيةً فى مَحْمِل وأطرَح على المَحْمِل من أَعْبِية(٢) الجَمّالين، وأجلس أنا وهى تحت ظلّها، فأُخرج شيئا فنأكله ، ونضع رَكْوَة(٣) فيها لنا(٤) شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نرحَل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشأم . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلْقِى عليها لحنى :

صـــوت

لو رَدّ ذو شَفَق حِمَامَ منيّةٍ * لرددتُ عن(٥) عبد العزيز حِمامَا
صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ * جاورتَ بُومًا(٦) فى القبور وهاما(٧)

(١) الأكرياء : جمع كَرِىّ وهو المكارى . (٢) الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية . (٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . (٤) فى ب ، سـ : « ركوة لنا فيها لنا شراب » . (٥) فى ب ، سـ : « من » . (٦) فى ب ، سـ وتجريد الأغانى : « رمسا » . (٧) الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .

— الشعر لكُثيِّر[(1)] يرثى عبدَ العزيز بن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن علىّ الهشامىّ يرثى ابنًا له . والغناء لدَحْمان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر —

قال : فرددتُه عليها حتى أخذتْه وآندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلّم علينا فردَدْنا عليه السلام؛ فقال : أتأذنون[(2)] لى أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً؟ قلنا نعم، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا، وآستعاد الصوت مرارًا . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحْمان شيئا؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتا من صنعتى ، وغمزتُها ألا تُعرّفَه أنى دَحْمان ؛ فطَرِب وآمتلأ سرورًا وشرب أقداحًا والجارية تغنّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل؛ فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجاريةَ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار؛ قال : قد أخذتُها بها، فهلمّ دواةً وقِرْطاسا ، فجئته بذلك ؛ فكتب : "إِدفع إلى حامل كتابى هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار، وآستوصِ به خيرًا وأعلمنى بمكانه" وختَم الكِتابَ ودفعَه إلىّ ؛ ثم قال : أتدفَع إلىّ الجاريةَ أم تَمضى بها معك حتى تقبضَ مالكَ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراءَ[(3)] فسَلْ عن فلان وآدفعْ كتابى هذا إليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ، فلما وردت البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل، فدُللت عليه، فإذا دارُه دارُ مُلْك ، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ، فقبّله و وضعه

---

(١) نسب هذا الشعر فى تجريد الأغانى لإسماعيل بن يسار. (٢) فى ب : «أتأذنوا» . وفى س : «أتؤذنوا» ، وكلاهما تحريف . (٣) البخراء : أرض وماءة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز، وبها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وفى ب ، سـ : «النجراء» (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلىّ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لى: اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك، فقلتُ له: حيثُ كنتُ فأنا عبدُك و بين يديك، وقد كان أمر لى بأنزال(1) وكان بخيلًا، فٱغتنمتُ(2) ذلك فٱرتحلتُ، وقد كنت أُصبت بجملين، وكانت عدّةُ أجمالى خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ. قال : وسأل عنّى الوليدُ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يطلُبنى؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملًا فٱرْدُدْه(3) إلىّ؛ فلم أُوجَد، لأنه لم يكن فى الرُّفْقة من معه خمسةَ عشرَ جملا، ولم يَعْرِف ٱسمى فيَسألَ عنّى. قال : وأقامت الجارية عنده شهرًا لا يَسأل عنها، ثم دعاها بعد أن ٱستُبرِئت(4) وأُصلح من شأنها، فظلّ معها يومَه، حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لها : غنّينِى لدَحْمان فغنّت؛ وقال لها : زيدينى فزادت. ثم أقبلت ١٤٤/٥ عليه فقالت : يا أميرَ المؤمنين، أوَ ما سمعتَ غناء دَحْمان منه؟ قال لا؛ قالت : بلى والله؛ قال : أقول لك لا، فتقولين بلى والله! فقالت : بلى والله لقد سمعتَه؛ قال : وما ذاكِ؟ وَيْحكِ! قالت : إنّ الرجل الذى اشتريتَنى منه هو دحمان؛ قال: أوَ ذلكِ هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غمَزنى بألّا أُعلمك. فأَمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان، فحُمل فلم يزل عنده أثيرًا(5).

دحمان فى مجلس أمير من أمراء المدينة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال :

---

(1) الأنزال : جمع نزل (بضمتين و بضم فسكون) وهو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه.
(2) فى جميع الأصول : « فاغتنم »، ولا يستقيم بها الكلام.
(3) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى. وفى ب، سـ : « فارددها »، وهو تحريف.
(4) استبراء الرجل الجارية : ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها و يتبين حالها أهى حامل أم لا.
(5) كذا فى أكثر الأصول. والأثير : المكرم. وفى ب، سـ : « أسيرا »، وهو تحريف.

تذاكروا يومًا كِبَرَ الأُيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ، ثم قال بعضهم : إنما يكون كبر أَيْرِ الرجل على قَدْرِ حِرِ أُمّه ؛ فالتفت الأميرُ إلى دَحْمان فقال: يادَحْمان، كيف أيرك؟ فقال له : أيها الأمير، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيرى، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمّى . وكان دَحْمان طيّبا ظريفا .

ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال : أوّل ما عُرِف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلًا مرّ به يوماً، فقال له : أَيْر حمارى فى حِرِ أمّك يادُحَيم، فلم يفهم ماقاله، وفَهِمه رجل كان حاضرا معه فضحك، فقال: مِمّ ضحكت ؟ فلم يُخْبِره، فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتَنى، قال : إنه شتَمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّى كائنًا ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حمارِى فى حِرِ أمّك ؛ فضحك ثم قال : أعجبُ والله وأغاظ علىّ من شتْمه كِنَايتُك عن أيْر حمارِه وتصريحُك بحِرِ أمّى لا تَكْنِى .

جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلَّبىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَدينى(١) قال حدّثنى الرَّبَعِىّ المغنّى قال :

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغْدُوا على قصرى بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرّد(٢)، فغدوتُ للوعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو فى جهينة ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها، و إذا السماءُ تَبْغَشُ(٣)، فأذكرتُهما الموعدَ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئا

(١) فى حـ : « المدنى » . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرّفة عن : « بجهته » إذ جهينة قرية من نواحى الموصل على دجلة ، ويبعد أن تكون هى المرادة هنا . (٣) بغشت السماء تبغش (من باب قطع) : أمطرت البغشة وهى المطرة الضعيفة .

ونستمتعَ من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدّم الأمير به إلىّ؛ فقالا لى: كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمُه، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلًّا فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ . قال : فلم ألتفت إلى قولها ومضيت ، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب(١) تُضرَب والقدور تُنصَب ؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيتُ :

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا * ومَــلُّوا من الإدلاج جئتكُمُ وَحْدِى

قال : وما ذاك ؟ فأخبرتُه ؛ فقــال : يا غلام ، هات مائتى دينــار أو أربعمائة دينار ــ الشك من إسحاق الموصلى ــ فانثرها فى حِجْر الرَّبَعى ، اذهب الآن فلا تُحَلّ لهــا عُقْدةٌ حتى تُرِيَهما إياها ؛ فقلتُ : وما فى يدى من ذلك ! يأتيانك غدًا

١٤٥/٥ فتُلْحِقهما بى ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قلتُ : فلا أمضى حتى تحلّف لى أنك لا تفعل ، فحلَف . فمضيتُ إليهما ، فقرعتُ الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك ؛ فقلت : كلّا ! فأريتُهما الدنانيرَ ؛ فقالا : إنّ الأمير لَحَيٌّ كريم ، ونأتيه غدا فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلحِقَنا بك ؛ فقلت : كذَبتْكما أنفسُكما ، والله إنى قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألّا يفعل ؛ فقالا : لا وصلتْك رَحِم .

غنى هو وابن جندب بالعقيق

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن منصور بن أبى مُزاحِم قال أخبرنى عبد العزيز بن الماجِشون قال :

صلّينا يومًا الصبحَ بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العَقيق ، فخرجنا من المسجد مُبادِرين إلى العقيق ، فانتهينا إلى العَرْصة(٢) ، فإذا مِن وراء الوادى قُبالَتنا دَحْمانُ المغنّى وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتًا وهو(٣) :

(١) المضارب : جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم . (٢) العرصة (بالفتح) : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . وبالعقيق عرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها . ذكر محمد ابن عبد العزيز الزهرى عن أبيه أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى عرصة العقيق ضنا بها ، وأن والى المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وهو قوله » .

.. أسكنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ * فإذا ماحضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أطيَبُ صوتٍ فى الدنيا . قال : وكان أخى يكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طَرَبا شديدا وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أشدَّ استحساناً وحركةً وارتياحا ؛ فقال لى : يا أخى ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أَوْحشَ الجُنْبُذَانِ(١) فالدَّيْرُ منها * فقُرَاها فالمنزِلُ المحظورُ
أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ * فإذا ما حضرتِ طاب الحضور
أىُّ عيشٍ أَلَذُّه لستِ فيه * أوْ تُرَى نَعْمةٌ به وسُرور

الشعرِ لحَسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

دحمان والفضل ابن يحيي

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن عبد الرحمن عن أبى عثمانَ البَصْرىّ قال :

قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيي ذاتَ يوم ؛ فلما جلسنا ، قام وأومأ إلىّ فقمتُ ، فأخذ بيدى ومضى بى إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم صِرنا إلى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجَازيّة تغنّى :

اهْجُرِينى أو صِلِينى * كيفما شئتِ فكونى
أنتِ والله تحبيـ * ـنى وإن لم تُخبرينى

(١) الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية ، ومعناه : الأزج المدوّر كالقبة . والشاعر هنا يريد به مكانا بعينه .

فطـرِب وقال : أحسنتِ ! ادخلى فدخلتْ ، فأمر بطعام فقُدِّم إليهـا فأكلتْ ، وسقاها أقداحا ، وسألها عن مواليها فأخبرتْه ، فبعث فآشتراها ، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبِهم صوتا وأملحِهم(١) طبعا ؛ فغلبتْنى عليه مدّةً وتناسانى ؛ فكتبتُ إليه :

أخرجتِ السّوداء ما كان فى * قلبـك لى من شـدّة الحُبّ
فإن يدُم ذا منـك لا دام لى * متُّ من الإعراض والكَرْب

قال : فلمّا قرأ الرُّقعــة ضحك ، و بعث فدعانى ووصلنى ، وعاد إلى ما كان عليـه من الأُنْس .

١٤٦ / ٥ قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطًا ؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافة الرشيد ، وإنما أدركها ابناه زُبَير وعبد الله ؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وممـا فى المـائة المختارة من صنعة دَحْمان(٢)]

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

وإنّى لآتى البيتَ ما إن أحِبُّـه * وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبِيبُ
وأُغْضِى على أشـياءَ منكم تَسُوءنى * وأُدْعَى إلى ما سَرّكـم فأجيب
وأحبِس عنكِ النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ * بقُـرْبِك والمَمْشَى إليـك قـريب

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدّمتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «وأصلحهم» . (٢) هذه العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة فى ب ، سـ .

صــــوت

من المـائة المختـارة

حيِّ حولة مـنّى بالسـلامِ * دُرّةَ البحـر ومِصْـباحَ الظلامِ
لا يكُن وَعْدُك برقا خُلَّبـا * كاذبًا يلمـع فى عُرْض الغمام
وآذكرى الوعدَ الذى واعدتنا * ليلةَ النصف من الشّهر الحرام

الشـعر لأعشى هَمْـدان . والغناء لأحمـد النَّصْبِىّ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلَّب من البرق : الذى لا غيث معه ولا يُنتفع بسـحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه؛ قال الشاعر :

لا يكنْ وعدك برقًا خُلّبـا * إنّ خيرَ البرق ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

أخبار أعشى هَمْدان ونسبُه

نسبه وكنيته وهو شاعر أموى

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحَرْ(١) بن جُشَم بن حاشد(٢) بن جُشَم بن خَيْران(٣) بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسَلة(٤) بن رَبيعة بن الخِيَار بن مالك بن زيد ابن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويُكْنَى أبا المُصَبِّح، شاعرٌ فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوجَ أخت الشَّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوجَ أخته. وكان أحدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخى أحمد النَّصْبِي(٥) بالعَشِيريّة(٦) والبَلَديّة، فكان إذا قال شعرًا غنّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأَشْعث، فأُتِى به الحَجّاجُ أسيرًا فى الأسرى، فقتله صَبْرًا.

قص رؤياه على صهره الشعبى فقال له تترك القرآن وتقول الشعر

أخبرنى(٧) بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ عن محمد بن معاوية الأَسَدى أنه أخذ أخباره هذه عن

---

(١) فى تجريد الأغانى : « ابن عبد الجن » . (٢) كذا فى حـ وكتاب الاشتقاق وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : « حاشر » ، وهو تحريف . (٣) فى شرح القاموس (مادة خير) : «قال شيخ الشرف النسابة : هو خيوان بالواو فصحف» . (٤) فى ب ، سـ : « واسلة » . وفى سائر الأصول : « سلهة » . والتصويب عن كتاب تجريد الأغانى والقاموس وكتاب الاشتقاق . وضبط شارح القاموس « أوسلة » (بكسر السين) . ويلاحظ أن صاحب كتاب الاشتقاق ذكر أن الخيار بن مالك ولد أوسلة وهو همدان ، ثم ولد همدان نوفا وخيران ولذلك تجده أسقط مابين همدان وأوسلة من أسماء . وفى القاموس أيضا : « وأوسلة هى همدان » . (راجع كتاب الاشتقاق ص ٢٥٠ طبع مدينة ليبزج) . (٥) فى الأصول هنا وفيما يأتى : «النصيبى» . وهو تحريف . (راجع الهامشة رقم ٦ ص٣٤٤ ج ٥ من هذه الطبعة) . (٦) العشيرية : نسبة الى العشير أو العشيرة وهم رهط الرجل وقبيلته . وسيأتى فى ترجمة أحمد النصبى أنه همدانى وأنه من رهط الأعشى الأدنين .

(٧) يلاحظ فى هذا السند أن الضمائر فيه غير واضحة المراجع .

١٤٧ / ٥ ابن كُنَاسة عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُوَاة الكوفيين . قال حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانىّ . قال العَنزىّ : وأخذت بعضها من رواية مسعود ابن بشر عن الأصمعى . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفردا .

أخبرنى المهلّبى أبو أحمد حبيب بن نصر وعلىّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلى عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانى قال :

كان الشَّعْبىّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أخت أعشى هَمْدان، وكان أعشى هَمْدان زوجَ أخت الشعبى ؛ فأتاه أعشى همدان يومًا ، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن ، فقال له : إنى رأيت كأنى ادخلت بيتًا فيه حِنْطة وشعير، وقيل لى : خذ أيّهما شئتَ ، فأخذتُ الشَّعير؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآنَ وقراءتَه وقلت الشعر؛ فكان كما قال :

أسر فى الديلم فأحبته ابنة الأمير وهربت معه وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزىّ عن محمد بن معاوية الأَسدى عن ابن كُنَاسة ، قال العَنزى وحدّثنى مسعود بن بِشر عن أبى عُبيدة والأصمعى قالا ، وافق روايتَهم[(١)] الهَيْثمُ بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية قال :

كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبِّح ممن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحىَ دَسْتَبَى[(٢)]، فأُسِر، فلم يزل أسيرًا فى أيدى الديلم مدّة . ثم إن بنتًا للعِلْج الذى أسَره هَوِيتْه،

(١) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : «ووافق روايتهما الهيثم بن عدى ... الخ» .

(٢) دستبى (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة) : كورة كانت مقسومة بين الرى وهمذان ، فقسم منها يسمى دستبى الرازىّ وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى دستبى همذان وهو عدّة قرى . وربما أضيف الى قزوين فى بعض الأوقات لاتصاله بعملها . ولم تزل دستبى على قسميها الى أن سعى رجل من سكان قزوين من بنى تميم يقال له حنظلة بن خالد فصيرها بقسميها الى قزوين .

وصارت إليه ليلًا فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانىَ مرّات؛ فقالت له الديلميةُ : يامعشر المسلمين ، أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له : بهذا العمل نُصرتم؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك، أتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلما كان الليلُ حلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقًا تعرفها حتى خلّصتْه وهربتْ معه . فقال شاعر من أَسْرى المسلمين :

فمن كان يَفْديه مِن الأَسْر مالُه * فهَمْدانُ تَفْدِيها الغداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الديلم :

صــــوت

لمن الظّعائنُ سيرُهنّ ترَجُّفُ[١] * عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مِجذَفُ[٢]
مرّتْ بذى خُشُب[٣] كأنّ حُمولَها * نَخْلٌ بيَثْرِبَ طَلْعُه مُتضعِّفُ[٤]

— غنّى فى هذين البيتين أحمد النَّصْبى، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وابن المكىّ . وفيهما لمحمد الزّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو — :

عُولِينَ ديباجًا وفاخرَ سُنْدُسٍ * وبخَزّ أكسيةِ العراق تُحَفَّفُ
وغدتْ بهم يومَ الفراقِ عَرامِسٌ[٥] * فُتْلُ المَرافق بالهوادج دُلَّفُ[٦]

(١) الترجف : الاضطراب الشديد . (٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « تجذف » . (٣) ذو خشب (بضم الخاء والشين) : واد على مسيرة ليلة من المدينة . وقد ذكر كثيرا فى الشعر والمغازى . قال بعض بنى مرة يصف ناقته :

فــزت بذى خشب غدوة * وجازت فويق أريك أصيلا

(راجع معجم البلدان وكتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٤) كذا فى تجريد الأغانى، والرواية فيه : « حمله متضعف » . وفى ب ، س : « متعصف » . وفى سائر الأصول : « متعطف » . (٥) العرامس : جمع عرمس (كزبرج) وهى الناقة الصلبة . (٦) فتل المرافق : مندمجاتها . والواحد أفتل وفتلاء ، وصف من الفتلة (بالتحريك) وهى اندماج مرفق الناقة . ودلف : جمع دالف وهو الماشى بالحمل الثقيل مقاربا للخطو .

بانَ الخليطُ وفاتنى برحيله * خَوْدٌ إذا ذُكِرتْ لقلبك يُشْغَف
تجلو بمِسْواكِ الأَرَاكِ مُنَظَّماً * عَذْباً إذا ضحكتْ تهلَّلَ يَنْطُف
وكأنّ ريقَتَها على عَلَلِ الكَرَى * عَسَلٌ مصفًّى فى القِلَال(1) وقَرْقَف
وكأنما نظرتْ بعينىْ ظبيةٍ * تحنو على خِشْفٍ لها وتَعَطَّف
وإذا تَنُوء(2) إلى القيام تدافعتْ * مثلَ التَّزِيف(3) ينوء ثُمَّتَ يَضْعُف ١٤٨/٥
ثَقُلَتْ روادفُها ومال بخَصْرها * كَفَلٌ كما مال النَّقا المتقصِّف
ولها ذراعا بَكْرةٍ رحبيّةٍ * ولها بَنَانٌ بالخضاب مُطَرَّف(4)
وعوارضٌ مصقولةٌ وترائبٌ * بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكة مُخْطَف(5)
ولها بَهَاءٌ فى النساء وبَهْجَةٌ * وبها تَحُلّ الشمسُ حين تُشَرِّف
تلك التى كانت هوایَ وحاجتى * لو أنّ داراً بالأحبّة تُسْعِف
وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبةٌ * فآصبر فكلّ مصيبةٍ ستَكَشَّف
ولئن بكيتُ من الفراق صَبابةً * إنّ الكبير إذا بكى لَيُعَنَّف
عجبًا من الأيام كيف تَصَرَّفَتْ * والدارُ تدنو مَرّةً وتقذَّف
أصبحتُ رَهْناً للعُداة مكبَّلًا * أُمسِى وأُصْبِح فى الأداهم أَرْسُف
بين القليسم فالقيول فخامن * فاللهزمين ومضجعى مُتَكَنَّف

— هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنّفته الهموم بها —

فجَبَال ويمة ما تزال مُنِيفةً * يا ليت أنّ جبال ويمة تُنْسَف

— ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحى الرىّ —

(1) القلال : جمع قلة وهى الجرة العظيمة أو عامة، وقيل الكوز الصغير . والقرقف : الخمر .

(2) تنوء : تنهض بجهد ومشقة . (3) التزيف : السكران ، ومن ذهب عقله ، والذى سال دمه حتى يفرط فيضعف . (4) طرّفت المرأة بنانها : خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

(5) مخطف : ضامر .

ولقــد أُرانى قبــل ذلك ناعمًا * جَذْلانَ آبَى أن أُضام وآنَفُ
وآستنكرتْ سَاقِى الوَثَاقَ وساعدِى * وأنا آمرؤٌ بادِى الأَشَاجعِ أَعْجَفُ (١)
ولقد تُضرِّسنى الحروبُ و إننى * أُلْفَى بكلّ مخافة أتعسّفُ
أتسربل الليــلَ البهيمَ وأَسْترى * فى الخَبْتِ إذ لا يَسْتُرونَ (٢) وأُوجِفُ
ما إن أزال مقنَّعا أو حاسرًا * سَلَفَ (٣) الكتيبة والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابنى قومٌ فكنتُ أُصيبهم * فالآن أصبِر للزمان وأعرفُ
إنى لطَلّابُ التِّرَاتِ مطلَّبٌ * وبكل أسباب المنيّة أُشرِفُ
باقٍ على الحِـدْثان غيرُ مكذِّبٍ * لا كاســفٌ بالى ولا متأسّفُ
إنْ نلتُ لم أفرح بشىء نلتُه * وإذا سُبِقتُ به فلا أتلهّفُ
إنى لأَحْمِى فى المَضيق فَوَارِسِى * وأُكَرِّ خَلْفَ المُسْتضاف (٤) وأعطِفُ
وأشُدّ إذ يكبو (٥) الجبانُ (٦) وأَصْطَلِى * حَرَّ الأسنّة والأسنّة تَرْعُفُ

صـــوت

فلئن أصابتْنى الحروبُ فربّما * أُدْعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردِفُ
ولربّما يَرْوَى بكفِّى لَهْذَمٌ * ماضٍ ومُطَّرِدُ الكُعوبِ مُثقَّفُ (٧)
وأُغِير غاراتٍ وأَشْهَـد مَشهدًا * قلبُ الجبانِ به يَطير ويَرْجُفُ
وأَرى مغانمَ لو أشاء حويتُها * فيصُدّنى عنها غِنًى وتَعفّفُ

(١) الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكف . وأعجف : قليل اللحم . (٢) فى ب، س : « وأشتدى ... لا يشتدون » وفى سائر الأصول : « وأستدى » ، وكلاهما تحريف . واسترى بمعنى سرى . (٣) السلف : المتقدّم . (٤) المستضاف : من يفزع اليه غيره و يلتجئ به، يريد به الكمىّ الشجاع . (٥) فى حـ وتجريد الأغانى : « ينبو » . (٦) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى . وفى ب، س : « الجواد » . (٧) مطرد الكعوب : الرمح، واطراد كعوبه : تتابعها . والمثقف : المقوّم المسوّى .

١٤٩/٥

— غنّى فى هـذه الأبيات دَحْمانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشامىّ . قال الهشامىّ : فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه فى هذا ابن المكىّ —

خرج مع جيش الحجاج الى مكران فرض وقال شعرا

قالوا جميعا :

ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْران(١)، فأخرجه الحجّاج معهم، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض، فاجتواها وقال فى ذلك — وأنشدنى بعضَ هذه القصيدة اليزيدىّ عن سليمان بن أبى شيخ — :

طلبتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ * وشاب القَـذالُ(٢) وما تُقصِرُ
وبانَ الشبابُ ولذاتُه * ومثلُك فى الجهل لا يُعذَر
وقال العواذل هل يَنْتهى * فيَقْدعَه(٣) الشيبُ أو يُقصِر
وفى أربعينَ تَوَفَّيتُها * وعَشْرٍ مضتْ لىَ مُستبصَر
وموعظةٌ لامرئٍ حازمٍ * إذا كان يَسمع أو يُبْصِر
فلا تأسفنَّ على ما مضى * ولا يَحزُنَنَّك ما يُدْبِر
فإنّ الحوادث تُبلِى الفتى * وإنّ الزمان به يعثُر
فيومًا يُساء بما نابه * ويومًا يُسَرّ فيستبشرُ
ومِنْ كلّ ذلك يَلْقى الفتَى * ويُمْنَى له منه ما يُقْدَر

(١) مكران (بالضم ثم السكون وأكثر ماتجىء فى شعر العرب مشدّدة الكاف مفتوحتها) : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى وهى بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند فى شرقيها . وقال الإصطخرى : هى ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضر والقحط . (راجع معجم البلدان) . (٢) القذال : جماع مؤخر الرأس، وقيل : ما بين نقرة القفا إلى الأذن .
(٣) يقدعه : يكفه .

كأنّىَ لم أَرْتَحِــلْ جَسْرَةً * ولم أُجْفِهـا بعـــد ما تضمُرُ (١)
فأُجْشِمَها كلَّ دَيْمومَــةٍ (٢) * ويَعرِفهـا البــلدُ المُقـفِر
ولم أَشهدِ البأسَ يـومَ الوَغَى * علىّ المُفَاضــةُ والمِغْـفَر (٣)
ولم أَخـرِق الصفَّ حتى تَميـ * ـل دَارِعةُ القـــومِ والحُسَّر (٤)
وتحـتَى جَـرْداءُ خَيْفـانةٌ * مِنَ الخيل أو سابحٌ مُجْفَر (٥)
أُطـاعِن بالرمح حتى اللَّبـا * نُ يَجـرى به العَلَق الأحـمـر (٦)
وما كنت فى الحرب إذ شَمَّرت * كمَنْ لا يُذيب ولا يُخْـثِر (٧)
ولكنَّنى كنتُ ذا مِرَّة * عَطوفًا إذا هتَفَ المَحْـجِر (٨)
أُجيب الصَّريخ إذا ما دعا * وعنـد الهِيَـاج أنا المِسْعر (٩)
فإن أُمْسِ قـد لاح فىّ المَشيـ * ـبُ أُمَّ البنين، فقـد أَذكُرُ
رَخاءً مِنَ العيش كُنَّا بِه * إذِ الدهرُ خالٍ لنـا مُصْحِر (١٠)
وإذ أنا فى عُنفوانِ الشبا * بِ يُعجبنى اللَّهـو والسُّمَّر

(١) ارتحل الرجل البعير: شد عليه الرحل. والجسرة: الناقة العظيمة الطويلة. وأجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقا شديدا. (٢) الديمومة: الفلاة الواسعة. (٣) المفاضة: الدرع الواسعة. والمغفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به. (٤) دارعة القوم: الفرقة اللابسة الدروع. (٥) الجرداء: القصيرة الشعر. والخيفانة: السريعة. والمجفر: الواسع الجفرة أى الوسط. (٦) اللبان: الصدر أو وسطه. (٧) لا يذيب ولا يخثر: أى متردد متحير، مأخوذ من المثل: «وما يدرى أيخثر أم يذيب». وأصله أن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره — أى غليظه — برقيقه فلا يصفو؛ فتبرم بأمرها فلا تدرى أتوقد حتى يصفو وتخشى إن أوقدت أن يحترق فتحار. (٨) المحجر (كمجلس ومنبر): لعله يريد به هنا ما حول القرية. ومنه محاجر أقيال اليمن وهى الأحماء، كان لكل قيل حمى لا يرعاه غيره؛ على أن يكون المعنى إذا هتف أهل المحجر. (٩) المسعر: موقد نار الحرب كأنه آلة فى إيقادها. (١٠) المصحر: المتسع الواضح المنكشف.

أَصيد الحسانَ ويَصْطَدْننى * وتعجبنى الكاعبُ المُعصر (١)
وبيضاءُ مثلُ مَهاة الكَثيـ * ـب لا عَيْبَ فيها لمن ينظُر
كأنّ مُقَلَّدَها إذ بدا * به الدُّرّ والشَّذْر (٢) والجوهر
مُقَلَّدُ أَدْماءَ نجْديّةٍ * يَعِنُّ لها شادِنٌ أحور (٣)
كأنّ جَنَى النحل والزنجبيـ * ـلَ والفارسيَّةَ (٤) إذ تُعْصَر
يُصَبّ على بَرْد أنيابها * تُخَالِطُه المسكُ والعنبر
إذا انصرفتْ وتَلَوّتْ بها * رِقاقُ المَجاسِد (٥) والمِئْزر ١٥٠/٥
وغَصَّ السِّوارُ وجال الوِشاح * على عُكَنٍ (٦) خَصْرُها مُضْمَر
وضاق عن الساق خَلْخالُها * فكاد مُخَدَّمها (٧) يَنْدُر
فَتُورُ القيام رخيمُ الكلا * م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَر
وتُنْمَى إلى حَسَب شامخ * فليستْ تُكَذِّب إذ تَفْخَر
فتلك التى شَفَّنى حبُّها * وحمَّلنى فوق ما أقدِر
فلا تعذِلانىَ فى حبِّها * فإنّى بمعذرةٍ أَجْدَر

— ومن ها هنا رواية اليَزيدىّ —

وقُولا لذى طَرب عاشقٍ : * أشطَّ المزارُ بمن تَذْكُر؟
بكوفيّة أصلُها بالفُرا * ت تبدو هنالك أو تَحضُر (٨)

(١) المعصر من النساء : التى بلغت شبابها أو أدركت ؛ وقيل : التى راهقت العشرين .
(٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير؛ وقيل : خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة . (٣) الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية . (٤) الفارسية : الخمر . (٥) المجاسد : الأثواب التى تلى البدن ، جمع مجسد (كمنبر) . (٦) العكن : جمع عكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٧) المخدم : موضع الخلخال . وندر الشىء يندر ندورا (من باب نصر) : سقط ، وفى الحديث : «فضرب رأسه فندر» .
(٨) بدا : أقام بالبادية . وحضر : أقام بالحضر .

وأنت تسير إلى مُكّران * فقد شحط الوِردُ والمَصْدَر
ولم تك من حاجتى مُكّران * ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجَر
وخُبِّرتُ عنها ولم آتها * فما زِلتُ من ذكرها أُذْعَر
بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ * وأنّ القليل بها مُقْتر
وأنّ لِحَى الناس من حرّها * تطول فتجلَم(١) أو تُضْفَر
ويزعُم مَنْ جاءها قبلَنا * بأنّا سَنَسْهَم(٢) أو نَحَر(٣)
أعوذ بربّى من المُخْزيا * ت فيما أُسِرّ وما أَجْهَر
وحُدِّثت أنْ مالنا رَجْعَةٌ * سِنينَ ومِنْ بعدها أشهر
إلى ذاك ما شاب أبناؤنا * وبادَ الاخِلّاء والمَعْشَر
وما كان بى من نشاطٍ لها * وإنّى لذو عُدّة مُوسِر
ولكنْ بُعِثتُ لها كارهًا * وقيل ٱنطلق كالذى يُؤمر
فكان النَّجاء(٤) ولم ألتفت * إليهمْ وشرّهمُ مُنكر
هو السيف جُرِّد من غمده * فليس عن السيف مستأخَر
وكم من أخٍ لىَ مستأنِس * يَظَلّ به الدمعُ يَسْتَحسِر
يودّعنى وٱنتحتْ عبرةٌ * له كالجداول أو أغزر
فلستُ بلاقيه من بعدها * يَدَ الدهر(٥) ما هبّت الصَّرْصَر
وقد قيل إنكمُ عابرو * ن بحرًا لها لم يكن يُعبَر
إلى السّند والهند فى أرضهم * همُ الجنّ لكنّهم أَنْكَر

(١) تجلم : تقطع بالجلم، وهو المقص. (٢) سهم الرجل (من بابى قطع وكرم) سهوما وسهومة : تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس. (٣) كذا بالأصل. ولعلها مصحفة عن: «نجر» (بالجيم المعجمة). ونجر الرجل ينجر (من باب علم): أصابه عطش شديد. (٤) النجاء: السرعة فى السير. (٥) يد الدهر: كناية عن الأبد. يقال: لا أفعل كذا يد الدهر، أى أبدا.

وما رام غزوًا لها قبلَنا * أكابرُ عادٍ ولا حِمْيَر

ولا رام سابورُ غزوًا لها * ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصر

ومِنْ دونها مَعْبَرٌ واسعٌ * وأجرٌ عظيم لمن يؤجَر

قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحى

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه : ١٥١ / ٥

أن أعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحىّ بالرَّىّ ودَسْتَبى(١)، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسَهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده، فجعل الناسُ يمُرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من النُّعَاس، فقالت أمُّ ولَد خالد بنِ عتّاب لجواريها : إن امرأة خالد لَتُفاخرنى بأبيها وعمّها وأخيها، وهل يَزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش . وسمعها الأعشى فقال : مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جارية خالد، فضحك وقال لها : إليك عنى يالَكْعاء، ثم أنشأ يقول :

وما يُدْريك ما فرسٌ جَرُورٌ(٢) * وما يدريك ما حَمْلُ السّلاح

وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ * عَدَاه الدهر عن سَنَن المِراح

فأُقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْد يومًا * وليلتَه إلى وَضَح الصَّباح

إذًا لنظرتُ منكِ إلى مكان * كسَحْق(٣) البُرْد أو أثَرِ الجراح

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى ، فقالت : والله ما تُكْرَم، ولقد اجتُرِئَ(٤) عليكَ! فقال لها : وما ذاكِ؟ فأخبرتْه أنها مرّت برجل فى وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبّها، فقال : ذلك أعشى هَمْدان، فأىّ شئ قال لك ؟

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء . (٢) الفرس الجرور : الذى لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٣) السحق : الثوب البالى، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة . (٤) فى ب، سـ : « . . ولقد اجترأ » .

فأنشدته الأبيات . فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له : ما تقول؟ هذه زَعَمتْ أنك هجوْتَها؛ فقال : أساءت سمعًا، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطِّرات * كضوء الصبح أو بَيض الأَداحِى (١)
على شُقْر البغال فَصِدْنَ قلبى * بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاح
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقلن سِرْبٌ * بدا لك من ظِباء بَنِى رِياح

فقالت : لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبياتَ ؛ فقال له خالد : أمَا إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّى لوهبتُها لك، ولكنّى أفتدى جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبِّح ألَّا تُعيد فى هذا المعنى شيئا بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبرَ العَنَزىُّ فى روايته التى قدّمتُ ذكرَها، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعا :

وكان خالد يقول للأعشى فى بعض ما يمنِّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلِّيتُ عملًا كان لك ما دون الناس جميعا، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمى واقْضِ فى أمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه :

تُمَنِّينى إمارتَها تَمِيم * وما أُمّى بأُمّ بنى تَمِيم
وكان أبو سليمانٍ أخًا لى * ولكنّ الشِّراكَ (٢) من الأديم
أتينا أصبهانَ فهزّلتنا * وكنّا قبلَ ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومُرّةَ إذ غزونا * وأنتَ على بُغَيْلك ذى الوُشُوم

١٥٢
٥

(١) الأداحى : جمع أدحية وهى مبيض النعام فى الرمل .
(٢) الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

ويركَب رأسَه فى كل وَحْل * ويعثُر فى الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طَيْلسانٌ * نَصِيبىٌّ وإلّا سَحْقُ نِيم (١)
فقد أصبحتَ فى خَزٍّ وقَزٍّ * تَبَخْتر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقّاها زمانا * كذبتَ وربِّ مكةَ والحطيم

— هذه رواية ابن النطّاح، وزاد العَنَزىّ فى روايته — :

وكانت أصبهانُ بخير أرضٍ * لمُغتَرِب وصُعلوكٍ عديم
ولكنّا أتيناها وفيها * ذوو الأضغان والحقد القديم
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتْنى * وجوهٌ ما تُخبِّر عن كريم
وكان سفاهة منّى وجهلا * مَسِيرى لا أسير إلى حميم
فلو كان ٱبنُ عتابٍ كريمًا * سما لرواية الأمر الجسيم (٢)
وكيف رجاءُ من غلَبتْ عليه * تنائى الدارِ كالرَّحِم العقيم

قال ٱبنُ النّطاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذى ٱدعيتَ أنى وأنت غزَوْنا معه على بغل ذى وُشُوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ علىّ الطَّيْلسان والنِّيمَ اللذين وصفتَهما؟ فأرسل إليه : هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره (٣)، فأمّا تفسيره، فإن مُرّةَ مَرارةُ ثمرةٍ ما غرسْتَ عندى من القبيح . والبغل المَركَبُ الذى ارتكبتَه منى لا يزال يعثُر بكَ فى كل وَعْثٍ وجَدَد ووَعْرٍ وسَهْل . وأما الطيلسان فما أُلبِسك إياه من العار والذمّ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميلَ فراجعتُه لك؛ فقال : لا، بل أراجع الجميلَ وتُراجعه؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

(١) النيم : الفرو، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها : « لذؤابة الأمر الجسيم » . وذؤابة الشيء : أعلاه . وتستعار للعز والشرف وعلو الرتبة .
(٣) فى حـ : « وضعك » .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

لما وَلِي خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خرج إليه أعشى هَمْدان، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة، فلم يَجِد عنده ما يحبّ؛ وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله في أقلّها وفضّل عليه آلَ عُطَارد؛ فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه؛ فقال يهجوه:

وما كنتُ ممن ألجأَتْه خَصَاصةٌ * إليك ولا ممن تَغُرّ المواعدُ
ولكنّها الأطماعُ وهي مُذِلّةٌ * دنتْ بي وأنت النازح المتباعد
أتَحبِسُني في غير شيء وتارةً * تلاحظني شَزْرًا وأنفُك عاقِد (١)
فإنك لا كابْنَيْ فَزارة فاعلَمْنْ * خُلِقْتَ ولم يُشْبِهْهما لك والد
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما * أبوكَ ولا حوضَيْهما أنت وارد
وإنك لو ساميتَ آلَ عُطارد * لَبذّتْك أعناقٌ لهم وسَواعد
ومأثُرةٌ عاديّةٌ لن تنالَها * وبيتٌ رفيع لم تَخُنْه القواعد
وهل أنت إلا ثعلبٌ في ديارهم * تُشَلُّ (٢) — فتعسًا — أو يقودُك قائد
أرى خالدًا يختال مشيًا كأنه * من الكبرياء نَهْشَلٌ أو عُطارِدُ (٣)
وما كان يَرْبُوع شبيهاً لدارِم * وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفَراقد

١٥٣/٥

مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج

قالوا: ولما خرج ابنُ الأشعث على الحجّاج بن يوسف حشَد معه أهلَ الكوفة، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلّا خرج معه لِثِقَل وطأة الحجّاج عليهم. فكان عامرٌ الشَّعْبيّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبيّ (٤) أبو أسامة

(١) يريد أنه غضبان معرض عنه. (٢) تشل: تطرد. (٣) نهشل وعطارد: قبيلتان من العرب ينتسبان الى دارم بن مالك بن حنظلة. وخالد — المقصود في الشعر هنا — من رياح ورياح من دارم. (٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «النصيبي» وهو تحريف.

الهَمْدانى المغنّى مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر فى ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرِّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله فى ابن الأشعث يمدحه :

يأبَى الإلٰهُ وعزةُ ابن محمد * وجدودُ مَلْك قبلَ آل ثمودِ
أن تأنسوا بمذمَّمين، عروقُهم * فى الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيد
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه * بجبين أبلجَ مِقْوَلٍ صِنْديد
وإذا سألتَ : المجدُ أين محلّه * فالمجدُ بين محمد وسعيد
بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٌ * بَخْ بَخْ لوالده وللمولود
ما قصَّرتْ بكَ أن تنال مَدَى العُلا * أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدود
قَرْمٌ(٣) إذا سامَى القُرُومَ ترى له * أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليد
وإذا دعا لعظيمةٍ حُشِدتْ له * هَمْدانُ تحت لوائه المعقود
يَمْشُون فى حَلَق الحديد كأنهم * أُسْد الإباء سمعنَ زأرَ أسود
وإذا دعوتَ بآل كِنْدة أَجْفَلوا * بكهول صدقٍ سيِّد ومَسُود
وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم * فى كلّ مَلْحَمةٍ بروقُ رعود
ما إن ترى قيسًا يقارب قيسَكم * فى المَكْرُمات ولا ترى كسعيد

طلب من ابن الأشعث فى سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعرا

وقال حمّاد الراوية فى خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة؛ وكان الأعشى من أخواله، لأن أمَّ عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْدانى . قال : فلما صار ابنُ الأشعثِ إلى سِجِسْتانَ جَبِي مالًا كثيرا، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى فى ذلك :

(٣) القرم : السيد العظيم .

هـل تعرف الدارَ عفا رسمُها * بالحَضْر(١) فالروضـةِ من آمِـد(٢)

دارٌ لخَـوْدٍ(٣) طَفْـلةٍ رُودةٍ * بانَتْ فأمسى حبُّها عامِـدِى

بيضاءَ مثلِ الشمس رَقْراقةٍ * تَبْسِم عن ذى أُشُرٍ(٤) بارد

لم يُخْطِ(٥) قلبى سهمُها إذ رمتْ * ياعجبًا من سهمها القاصِـد

يأيها القَـرْمُ الهِجانُ(٦) الذى * يَبْطِش بطشَ الأسـد اللَّابد

والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذى * يُنْمَى إلى الغـائب والشاهـد

كم قد أُسَدِّى لك من مِدْحةٍ * تُرْوَى مـع الصادر والوارد

وكم أجبنا لك من دَعوةٍ * فاعرِفْ فما العارفُ كالجاحد

نحن حَمَيْناكَ وما تَحتمى * فى الرَّوْع من مَثْنًى ولا واحِدِ

يومَ انتصرنا لك مِن عابد * ويومَ أنجيناك من خالد ١٥٤/٥

ووقعـةَ الرَّىِّ الـتى نِلْتَهـا * بجَحْفلٍ من جَمْعنا حاقـد

وكم لَقِينـا لك من واتِرٍ * يصرِف نابَىْ حَنِـق حارد(٧)

ثم وَطِئْنـاه بأقدامنـا * وكان مثـلَ الحيَّة الراصـد

إلى بلاء حسنٍ قـد مضى * وأنتَ فى ذلك كالزاهـد

فاذكُـر أياديَنـا وآلاءَنا * بعودةٍ من حِلْمـك الراشـد

---

(١) الحضر: مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات. (٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهى قديمة حصينة مبنية بالحجارة السوداء وعلى نشز، ويحيط دجلة بأكثرها، وفى وسطها عيون وآبار قريبة يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين. (٣) الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصفا. والطفلة: الرخصة الناعمة. والرودة: الشابة الحسنة. وعامدى: مضنىّ ومهلكى. (٤) الأشر: التحزيز الذى يكون فى الأسنان، يكون خلقة ومصنوعا. (٥) أصلها: «لم يخطىء» فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء. (٦) الهجان: الخالص وخيار كل شىء.

(٧) صرف نابه وبنابه: حرقه فسمع له صوت. والحارد: الغاضب.

ويومَ الأهواز فلا تَنْسَه * ليس النَّثا[1] والقولُ بالبائد
إنا لنرجوك كما نَرْتجى * صوبَ الغمام المُبرق الراعد
فانفحْ بكفَّيْك وما ضَمَّتا * وافعل فعالَ السِّيِّد الماجد
ما لَكَ لا تُعطى وأنتَ امرؤٌ * مُثْرٍ منَ الطارف والتالد
تَجْبى سِجِسْتانَ وما حولها * مُتكئاً فى عيشك الراغد
لا ترهبُ الدهرَ وأيامَه * وتَجْرُدُ[2] الأرضَ مع الجارد
إن يكُ مكروهٌ تَهِجْنا له * وأنتَ فى المعروف كالراقد
ثم تَرى أنّا سنرضى بذا * كلّا وربِّ الراكع السَّاجد
وحُرمةِ البيت وأستارِه * ومَنْ به مِنْ ناسكٍ عابد
تلك لكم أمنيّةٌ باطلٌ * وغفوةٌ من حُلُمِ الراقد
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها * هَيْجٌ بآتيكَ ولا كابِدِ
ولا إذا ناطُوكَ[3] فى حَلْقة * بحاملٍ عنك ولا فاقد
فأَعْطِ ما أعطيتَه طيِّباً * لا خيرَ فى المَنْكود والناكد[4]
نحن ولدناك فلا تَجْفُنا * واللهُ قد وصَّاك بالوالد
إن تك من كِنْدةَ فى بيتها * فإنّ أخوالَكَ من حاشد[5]
شُمُّ العرانين وأهلُ الندى * ومُنْتَهى الضِّيفان والرائد
كم فيهمُ من فارس مُعْلَم * وسائسٍ للجيش أو قائد

(١) كذا فى حـ . والنثا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى سائر الأصول : « النثا » (بثاء مثلثة بعدها نون) .
(٢) جرد الأرض : جعلها جرداء .
(٣) ناطه : علقه .
(٤) المنكود : الذى يلح عليه فى المسألة . والناكد : الملح .
(٥) حاشد : حى من همدان .

وراكبٍ للهَـوْل يجتـابُهُ * مثـلَ شِهاب القَبَس الواقد
أو ملأٍ يُشْـفَى بأحلامهـم * من سَـفَه الجاهل والمـارد (١)
لم يجعـلِ اللهُ بأحسابنـا * نقصًـا وما الناقص كالزائد
وربّ خالٍ لك، فى قومـه * فرعٌ طويلُ البـاع والساعد
يَحتضِر البأسَ وما يبتـغى * سـوى إسَار البَطَل الناجد (٢)
والطعنِ بالراية مستمكِنًا * فى الصفّ ذى العادِية الناهد (٣)
فٱرتحْ لأخـوالك وٱذكرهمُ * وٱرحمهـمُ للسَّلَف العـائد
فإنّ أخوالَك لم يَبْرحوا * يُرْبُون بالرِّفـد على الرّافـدِ
لم يَبْخَـلوا يومًا ولم يَجْبُنوا * فى السّلف الغازِى ولا القاعد
ورُبَّ خالٍ لكَ فى قومـه * حمّـال أثقـال لهـا واجـد
مُعْـتَرِفٍ للـرزء فى ماله * والحـقّ للسائل والعـامد

١٥٥
٥

مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له فى عطاء

أخبرنى محمد بن الحسـن بن دُرَيْد الأَزْدى قال حدثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرنى الحسـين بن يحيى عن حمّـاد عن أبيه عن ٱبن الكلْبى، وأخبرنى عمّى عن الكُرَانى عن العُمَرى عن الهَيْثم بن عدىّ، وذكره العَنَزىّ عن أصحابه، قالوا جميعا :

خرج أعشى هَمْدان إلى الشأم فى وِلاية مَرْوان بنِ الحَكَم، فلم ينَلْ فيها حظًّا؛ فجاء إلى النعمان بن بشِـير وهو عامل على حِمْص، فشكا إليـه حالَه؛ فكلّم له النعمانُ ابنُ بشير اليمانيَةَ وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، وٱستماحَهم له؛ فقالوا : نعمْ،

---

(١) المـارد : العاتى والباغى . (٢) فى ب، سـ : «الماجد» .
(٣) الناهد : الأسد .

يعطيه كلّ رجل منا دينارين مِنْ عطائه ؛ فقال : لا ، بل أَعْطُوه دينارًا دينارًا وآجعلوا ذلك مُعجَّلا ، فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال وآحتسبْها على كلّ رجل من عطائه ، ففعل النُّعمان — وكانوا عشرين ألفًا — فأعطاه عشرين ألف دينار وآرتجعها منهم عند العَطَاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولَمْ أرَ للحاجاتِ عند ٱلتماسها * كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أَوْفَى ما يقول ولم يكن * كمُدْلٍ إلى الأقوام حبلَ غُرُور
متى أَكفُرِ النعمانَ لم أُلْفَ شاكرًا * وما خيرُ من لا يقتدِى بشَكُور
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ * ثَوَى ما ثَوَى لم ينْقلِبْ بنَقيرِ (١)

شعره فى حرب نصيبين بين المهلب ويزيد بن أبى صخر

وقال الهيثم بن عدىّ فى خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبى صُفْرَة نَصيبينَ ، وفيها أبو قارِب يَزيد بن أبى صَخْر ومعه الخَشَبِيّة (٢) ، فقال المهلَّب : يأيها الناس ، لا يَهُولَنّكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصىّ . فحَمَل عليهم المهلَّبُ وأصحابُه فلَقُوهم بالعِصىّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلّبُ رجلًا من عبد القيس إلى يزيد بن أبى صَخْر ليغتالَه ، وجعل له على ذلك جُعْلا سَنِيًّا — قال الهيثم : بلغنى أنه أعطاه مائتى ألف درهم قبلَ أن يمضىَ ووعَده بمثلها إذا عاد — فآندسّ له العَبْدىُّ فآغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أعشى هَمْدان فى ذلك :

يُسمَّوْن أصحابَ العِصىّ وما أرى * مع القوم إلا المَشْرفيّةَ مِن عَصَا
ألَا أيُّها اللّيثُ الذى جاء حاذِرًا (٣) * وألقى بناجرمى (٤) الخيامَ وعَرّصا

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٢) الخشبية : أتباع المختار بن أبى عبيد .
(٣) حاذرا : متأهبا مستعدا . (٤) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : « وألقى بنا جرم » . وفى أ ، ء : « وألقى بنا جرى » . والظاهر من السياق أنه اسم موضع . ولم نوفق فى المظان التى بين أيدينا إلى وجه الصواب فيه .

أتحسَب غزوَ الشأم يومًا وحربَه * كبِيضٍ يُنَظِّمن الجُمانَ المفصَّصا
وسيرَك بالأهْواز إذ أنت آمنٌ * وشربَك ألبانَ الخَلَايا(١) المُقَرَّصا
فأقسمتُ لاتَجْبِي لك الدهرَ درهمًا * نَصِيبُون حتّى تُبْتَلَى وتُمَحَّصا
ولا أنتَ من أثوابها الخُضْرِ لابسٌ * ولكنَّ خُشبانًا شِدادًا ومِشْقَصا(٢)
فكم ردّ من ذى حاجةٍ لا ينالُها * جُدَيْعُ العَتِيك ردّه الله أبْرَصا
وشيّد بنيانا وظاهر كسوةً * وطال جُدَيْعٌ بعد ما كان أوْقَصا

١٥٦ / ٥

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة](٣) . والأبيات التى كان فيها الغناء المذكورُ معه خبرُ الأعشى فى هذا الكتاب يقولها فى زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيون ، وهو الصحيح . وذكرَ الأصمعى أنها خَوْلة ، هكذا رواه فى شعر الأعشى . فذكر العَنَزِىّ فى أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها : أنها كانت عند الأعشى آمرأةٌ من قومه يقال لها أمّ الجَلَال(٤) ، فطالت مدتها معه وأبغضها ، ثم خطب آمرأة من قومه يقال لها جَزْلة — وقال الأصمعى : خولة — فقالت له : لا ، حتى تُطلّق أمّ الجلال ؛ فطلّقها ؛ وقال فى ذلك :

طلق زوجته أم الجلال وتزوج غيرها وشعره فى ذلك

تقادَم وُدّكِ أمَّ الجَلالِ * فطاشت نبالُكِ عند النِّضالِ(٥)
وطال لزومُك لِى حِقْبةً * فرَثَّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصال
وكان الفؤاد بها مُعجَبًا * فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالى

---

(١) الخلايا : الإبل المخلاة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرص : اللبن الذى يجعل فى المقارص ليصير قارصا أى حامضا . والمقارص : الأوعية التى يقرص فيها اللبن . (٢) المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . (٣) هذه الجملة ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب ، سـ . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى : أمّ الحلال (بالحاء المهملة) . (٥) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « بعد النضال » .

صحَا لا مُسيئًا ولا ظالمًا * ولكنْ سَلَا سَلْوةً فى جمال
ورُضْتِ خلائقَنا كلَّها * ورُضْنا خلائقَكم كلَّ حال
فأَعْيَيْتِنا فى الذى بيننا * تَسُومِينَنى كلَّ أمرٍ عُضال
وقد تأمُرِينَ بقَطع الصديق * وكان الصديقُ لنا غيرَ قالى
و إتيانِ ما قد تجنَّبْتُه * وليدًا ولُمْتُ عليه رجالى
أفَالْيَومَ أَرْكَبُه بعد ما * علَا الشَّيبُ منِّى صَمِيمَ القَذال(١)
لعمرُ أبيك لقد خِلْتِنِى * ضعيفَ القُوَى أو شديدَ المِحَال
هلُمِّى آسالى نائلًا فآنظُرى * أأحرِمُكِ الخيرَ عند السؤال
ألَمْ تعلمى أنّنى مُعْرِقٌ * نَمَانِى إلى المجد عمّى وخالى
وأنّى إذا ساءنى منزلٌ * عزمتُ فأوشكْتُ منه آرتحالى
فبعضَ العتاب، فلا تَهْلِكِى * فَلَا لَكِ فى ذاكِ خيرٌ ولا لى
فلما بدا لىَ منها البَذا * ءُ صبّحتُها بثلاثٍ عِجالِ
ثلاثًا خرجْنَ جميعًا بها * فخلَّيْنها ذاتَ بيْتٍ ومال
إلى أهلها غيرَ مخلوعةٍ * وما مَسّها عندنا من نَكال
فأمستْ تَحِنّ حنينَ اللِّقا * ح من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالى
فحِنِّى حنينَكِ وآستيقنى * بأنا آطَّرَحْنَاكِ ذاتَ الشمال
وأن لا رجوعَ فلا تُكْذَبِيـ * ـنَ ما حنّت النِّيبُ إثْرَ الفِصَال
ولا تحسبينى بأنّى ندمـ * ـتُ كَلّا وخالِقنا ذى الجَلال

فقالت له أمُّ الجلال: بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت! وَيْحَكَ! أَعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنبًا تسبّنى وتهجونى به! ثم دعتْ عليه أن يُبغِّضه

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس، أو هو ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

الله إلى زوجته التى ٱختارها، وفارقته. فلما ٱنتقلت إلى أهلها، وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يَحْظَ عندها، ففَرِكَتْه[1] وتنكّرت له وٱشتدّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

١٥٧/٥ حَيِّيا جَزْلةَ منّى بالسّلامِ * دُرّةَ البحرِ ومصباحَ الظَّلامِ
لا تَصُدّى بعد وُدّ ثابتٍ * وٱسمَعى يا أمَّ عيسى من كلامى[2]
إنْ تَدومِى لى فوَصْلى دائمٌ * أو تَهُمّى لى بهَجْر أو صِرام
أو تكونى مثلَ برقٍ خُلَّبٍ * خادعٍ يلمَع فى عُرْض الغمام
أو كتخييلِ سَرَاب مُعْرِضٍ * بفَلَاة أو طُروقٍ فى المنام
فٱعلمى إن كنتِ لمّا تعلمى * ومتى ما تفعلى ذاك تُلامى
بعد ما كان الذى كان فلا * تُتْبِعى الإحسانَ إلا بالتمام
لا تَناسَىْ كلَّ ما أعطيْتِنى * مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظام
وٱذكرى الوعدَ الذى واعدْتِنى * ليلةَ النِّصف من الشهر الحرام
فلئن بَذَلْتِ أو خِسْتِ بنا * وتجرَّأتِ على أمِّ صَمّام[3]
[أم صمام: الغدر والحنث[4]].
لا تُبالِينَ إذًا مِنْ بعدها * أبداً تركَ صلاةٍ أو صيام
راجعى الوصلَ ورُدّى نظرةً * لا تَلَجِّى[5] فى طِمَاح وأثام

(١) فركته: أبغضته. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «من كلام».
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى م: «على أمر صمام». ولعل هذا أقرب الى الصواب، إذ لم نجد فى المظان ما يؤيد ما ورد فى أكثر الأصول، على أن يكون المعنى: على أمر شديد، و يكون التفسير الذى ورد فى ب، س بأنه الغدر والحنث تفسيرا بالمراد. وصمام (وزان قطام): الداهية الشديدة.
(٤) زيادة عن ب، س. (٥) لا تلجى (من بابى ضرب وعلم): لا تمادى. وفى الأصول: «لا تلحى» بالحاء المهملة.

وإذا أنكرتِ منّى شيمةً * ولقد يُنكَر(١) ما ليس بذام
فآذكريها لى أزُلْ عنها ولا * تُسْفِحى عينيك بالدمع السِّجام
وأرى حبلَك رثًّا خَلَقًا * وحبالى جُدُدًا غيرَ رِمام(٢)
عَجِبتْ جزلةُ منّى أن رأتْ * لِمّتى حُفَّتْ بشيب كالثَّغام(٣)
ورأت جسمى علاه كَبْرةٌ * وصروفَ الدهر قد أبلتْ عظامى
وَصليتُ الحربَ حتى تركتْ * جسدى نِضْوًا كأشلاء اللِّجام(٤)
وهى بيضاءُ على مَنْكِبها * قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيّال سُخَامُ(٥)
وإذا تضحك تُبدى حَبَبًا * كرُضاب المسك فى الرّاح المُدام
كَمَلتْ ما بين قَرْنٍ فإلى * موضع الخَلْخال منها والخِدام(٦)
فأراها اليومَ لى قد أحدثتْ * خُلُقًا ليس على العهد القُدام

تمثل الشعبى بشعره لحربه على البصريين فى حضرة الأحنف

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم ابن عَدِىّ عن مُجَالِد عن الشَّعْبىّ :

أنه أتى البصرةَ أيامَ ابن الزبير، فجلس فى المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ ابن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبيدهم ! (يعنى الخوارج) . قال الشعبى : فهجس فى صدرى أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان :

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « ولقد أنكرت » . (٢) حبل رمام : بال . (٣) الثغام : نبت يكون فى الجبل ينبت أخضر ثم يبيض اذا يبس فيشبه به الشيب . (٤) النضو : المهزول . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور . (٥) القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللين الحسن . وفى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٦) كذا فى الأصول . والخدام : الخلاخيل، واحده خدمة (بالتحريك) . وفى ب ، سـ : «الحزام» .

أفخرتم أنْ قتلتمْ أعبُـدًا * وهزمتمْ مرّةً آلَ عَزَلْ [(١)]

نحن سُقناهمْ إليكم عَنْوةً * وجمعنا أمرَكم بعد فشل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكُمُ يومَ الجمَـل

١٥٨ / ٥

بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَه * وفتًى أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلْ [(٢)]

جاءنا يرفُـل في سابغـةٍ * فذبحناه ضحًى ذبحَ الحمَل

وعَفَونا فنَسيتم عفـوَنا * وكفرتم نعمةَ الله الأجلّ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يأهل البصرة ، قد فخَر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف ، فأحْسِنوا مجالسته .

شعره في هزيمة الزبير الخثعميّ بجلولاء

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أبي مُحلِّم [(٣)] عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال :

بعث بِشْرُ بن مروان الزبيرَ بنَ خُزَيمة الخَثْعَميّ إلى الريّ ، فلقيه الخوارج بجَلُولاء [(٤)] ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا [(٥)] عسكره ، وكان معه أعشى هَمْدان ، فقال في ذلك :

---

(١) العزل : الاعتزال والتنحي . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

(٢) العثنون : اللحيـة أو ما فضل منها بعـد العارضين . والرفل من الناس : الطويل الذيل .

(٣) هو أبو محـلم الشيباني . واسمـه محمد بن سعد ، ويقال محمـد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمى محمدا وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة ، وكان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه . وقال ابن السكيت : أصل أبي محلم من الفرس ومولده بفارس ، وإنما انتسب الى أبي سعد . وقال مؤرج : كان أبو محلم أحفظ الناس ، استعار مني جزءا ورده من الغد وقد حفظه في ليلة ، وكان مقداره نحو خمسين ورقة . وقال أبو محلم : ولدت في السنة التي حج فيها المنصور . وتوفي سـنة ثمان وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيـل ، وكتاب خلق الإنسان (راجع كتاب الفهرست ص ٤٦ طبع أوربا) .

(٤) جلولاء (بالمد) : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ هـ فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون .

(٥) في حـ : «وأباحوا» .

أُمِّرتْ خَثْعمٌ على غير خَيْرِ * ثم أوصاهمُ الأمــيرُ بسيرِ
أين ما كنتمُ تَعيفـون للنا * سِ وما تزجُرون من كل طير
ضلّت الطـيرُ عنكمُ بجَلُولا * ءَ وغَرّتكمُ أمانى الزُّبـير
قدرٌ ما أُتيح لى من فلسطيـ * ـنَ على فالج(١) ثَقَال(٢) وعَيْر
خَثْعمىّ مغصّص جرجمانى(٣) * محـلّ غزا مع ابن نمـير

مسـدح الأصمعى شعره وفضله

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال :

سألت الأصمعىّ عن أعشى هَمْدان فقال : هـو من الفحول وهو إسلامى كثير الشعر، ثم قال لى : العجب من ابن دَأْب حين يزعُم أن أعشى همدان قال :

من دعا لى غُزَيِّلى * أربح اللهُ تجارتُه

ثم قال : سبحان الله ! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم ٱسمَ الله عزّ وجلّ ويرفعَ تجارتَه وهو نصب . ثم قال لى خَلَفٌ الأحمـر : والله لقد طَمِـع ابنُ دأب فى الخلافة حين ظنّ أن هـذا يُقبَل منه وأن له من المحل مثلَ أن يجوِّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضا إن قوله :

* من دعالى غزيِّلى *

لا يجوز، إنما هو : من دعا لغزيِّلى، ومن دعا لبعير ضال .

مـــدح خالد بن عتاب فأجازه

أخبرنى عيسى بن الحسين الوَرّاق(٤) ومحمـد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ قال :

---

(١) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . (٢) كذا فى ب ، س ، ح والثقال (بالفتح و بالضم) : الثقيل . وفى سائر الأصول : «ثفال» (بالفاء)، والثفال (بالفتح) : البطىء من الدواب والناس . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصول . (٤) فى جميع الأصول : «قال» ، وهو تحريف .

أَمْلق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده :

رأيتُ ثناءَ الناس بالقول طيبًا * عليكَ وقالوا ماجدٌ وآبن ماجدِ

بَنِي الحارثِ السامين للجد، إنكم * بنيتم بنــاءً ذكـرُه غيرُ بائد

هَنيئًا لِمـا أعطا كُمُ الله واعلموا * بأنى سأُطْرِى خالدًا فى القصائد

فإن يك عَتّــابٌ مضى لسبيله * فمــا مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أنشد سابق البربرى من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا أبو غسّان [قال] (١) :

قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربرىّ — ودخل عليه — : أنشدْنى ياسابقُ شيئًا من شعرك تذكّرنى به ؛ فقال : أَوَ خيرا من شعرى ؟ فقال : هات؛ قال قال أعشى همدان :

١٥٩ / ٥

و بينما المرءُ أمسى ناعمًا جذِلًا * فى أهله معجَبًا بالعيش ذا أَنَق (٢)

غِرًّا، أتيح له من حَيْنه عرض * فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِق

ثُمّتَ أضحى ضُحًى من غبِّ ثالثة * مقنّعا غيرَ ذى رُوح ولا رَمَق

يُبكَى عليــه وأَدْنَوْه لمُظْلِمة * تُعْلَى جوانبُهـا بالتُّرب والفِلَق (٣)

فمـا تزوّد ممّـا كان يجْمعه * إلّا حَنُوطًا (٤) وما واراه من خِرَق

وغـيرَ نفحة أعوادٍ تُشَبّ له * وقـلّ ذلك من زادٍ لمُنطلِق

قال : فبكى عمر حتى أخضَلَ لحيتَه .

---

(١) زيادة عن أ ، ء ، م . (٢) الأنق (محركة) : الفرح والسرور .

(٣) فى جميع الأصول : « القلق » (بالقاف) وهو تصحيف . (٤) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة .

هجا شجرة العبسى بشعر أجازه عليه الحجاج

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبى[1] طالب الدينارى قال حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن الهَيْثم بن عَدِى عن حمّاد الراوية قال :

سأل أعشى همدان شَجَرَةَ بن سليمان العَبْسى حاجةً فردّه عنها ، فقال يهجوه :

لقد كنتَ خيّاطًا فأصبحتَ فارسًا * تُعَدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا * وبيِّن لى الجُرحَ الذى كان قد دَثَر[2]
وإصبعُكَ الوسطَى عليه شَهيدةٌ * وما ذاك إلا وَخْزُها[3] الثوبَ بالإبر

قال وكان يقال : إن شجرة كان خيّاطا ، وقد كان ولى للحجّاج بعضَ أعمال السواد . فلما قدم على الحجّاج قال له : يا شجرة ، أَرِنى إصبعَك أَنظُرْ إليها ؛ قال : أصلح الله الأمير، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صِفَة الأعشى ؛ فخجِل شجرة . فقال الحجاج لحاجبه : مُرِ المُعْطِىَ أن يُعطىَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة، إذا أتاك آمرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فآشترِ عِرضَك منه .

أسره الحجاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأَزْدى قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفى عن جماعة — قال المبرّد : أحسَب أن أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسى — قالوا :

لما أُتِىَ الحجاجُ بن يوسف الثقفى بأعشى همدان أسيرًا، قال : الحمد لله الذى أمكَن منك، ألستَ القائل :

(١) كلمة : «أبى» ساقطة فى جميع الأصول . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) فى ب ، س : «دبر» . وهو تصحيف . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «وخزك» .

لمّا سَفَوْنا(١) للكَفُور الفتّانْ * بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ(٢)

سار بجَمْع كالقَطَا(٣) من قَحْطان * ومن مَعَدّ قد أتى ابن عَدْنان

أمكن ربّى من ثَقِيف هَمْدان * يوماً إلى الليل يُسَلّى ما كان

إنّ ثقيفًا منهم الكذّابان * كذّابُها الماضى وكذّابٌ ثان

أولستَ القائل :

يابنَ الأشجّ(٤) قَريعِ كِنْـ * ـدةَ لا أُبالى فيك عَتْبا

أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ * ـسِ وأنت أعلى الناس كعبا

نُبِّئْتُ حَجّاجَ بن يو * سف خَرّ من زَلَقٍ فتبّا

فآنهضْ فُدِيتَ لعلّه * يجلو بك الرحمنُ كَرْبا

وآبعث عطيّة(٥) فى الخيو * ل يكُبُّهنّ عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقِى ما أحبّ؛ ورفع بها صوته وآربدّ وجهُه وآهتزّ منكباه ، فلم يبق ١٦٠ / ٥ أحد فى المجلس إلا أهمّته نفسُه وآرتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير :

(١) كذا فى أكثر الأصول . وسفا : خف وأسرع . وفى ب ، سـ : «سمونا» .
(٢) ورد هذا الشعر فى الطبرى (ق ٢ ص ١٠٥٦) على غير هذا الترتيب و بزيادات كثيرة .
(٣) فى الطبرى : «كالدبى» والدبى : الجراد . (٤) الأشج : هو الأشعث بن قيس الكندى جد عبد الرحمن بن محمد المعنى فى هذا الشعر . والقريع : السيد . (٥) هو عطية بن عمرو العنبرى ، وكان على مقدّمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطية لا يلقى خيلا إلا هزمها . فقال الحجاج من هذا؟ فقيل عطية . فذلك قول الأعشى : وابعث عطية ... الخ .

أبى اللهُ إلا أن يتمّ نورَه * ويُطفئ نارَ الفاسقين فتخمُدَا

ويُنزل ذُلًّا بالعراق وأهلِه * كما[1] نقضوا العهدَ الوَثيق المؤكّدا

وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه * علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا

وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه * حُساماً مُلَقًّى للحروب مُعَوَّدا

فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم * ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا

بما نكثوا من بَيْعة بعد بيعة * إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا[2] بها غدا

وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة * من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا

ولمّا دَلَفْنا لابن يوسف ضِلّةً[3] * وأبرق منا العارضان وأرعدا

قطعنا إليه الخندقين وإنما * قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا[4]

فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنا * كِفاحًا ولم يضرب لذلك موعدا

بجُند أمير المؤمنين وخيلِه * وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيّدا

ليهنئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه * على أمة كانوا بُغاةً وحُسّدا

وجدنا بنى مروان خيرَ أئمة * وأعظمَ هذا الخَلْق حلمًا وسُؤددا

وخيرَ قريش فى قريش أَرُومةً * وأكرمَهم إلّا النبىَّ محمدا

إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا * وجدنا أمير المؤمنين المُسَدَّدا

سيغلِب قوما[5] غالبوا اللهَ جَهْرةً[6] * وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُه * ضعيفا ومن والى النفاقَ وألحدا

---

(١) فى الطبرى (ق٢ صـ ١١١٤) : «لما نقضوا» . وفيه رواية أخرى فى بعض نسخه أشير إليها فى هامشه وهى : «بما نقضوا» . (٢) خاس : غدر ونكث . (٣) الضلة (بالكسر) : ضد الهدى .

(٤) مرصدا : مترقبا . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «قوم» .

(٦) كذا فى الطبرى . وفى م : «حيلة» . وفى سائر الأصول : «جهلة» .

فقد تركوا الأموال والأهل خلفَهم * وبِيضًا عليهن الجلابيب خُرَّدا(١)
يناديْنهم مستعبراتٍ إليهمُ * ويُذْرين دمعا فى الخدود وإثْمِدا
وإلا تَنَاوَلْهُنّ منك برحمة * يكنّ سَبَايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ * فقد تركوا أمرَ السفاهة والرَّدى
لعلهمُ أن يُحدِثوا العامَ توبةً * وتعرفَ نُصحًا منهمُ وتودُّدا
لقد شَمِتَ(٢) يابن الأشعث العامَ مصرَنا * فظلّوا وما لاقوا من الطير أَسْعُدا
كما شاءم اللهُ النُّجَيْرَ(٣) وأهلَه * بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير، خلِّ سبيلَه ؛ فقال : أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفًا لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعنى بهذا الشعر وتنفلتَ من يدى حتى تنجوَ! ألستَ القائل! ويحك! :

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه * فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأغرّ وبين قيس باذخٌ * بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولود ١٦١ / ٥

---

(١) الخرد : جمع خريدة ، وهو جمع نادر ، لأن فعيلة لا تجمع على فعل ، بل القياس : خرائد وخرد (بضمتين) . والخريدة من النساء البكر التى لم تمسس قط ؛ وقيل : هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس .

(٢) رواية هذا البيت فى الطبرى هكذا :

لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير أسعدا

ولعل رواية الأصل كانت : «لقد شأمت» فسهلت الهمزة ثم حذفت . يقال : شأم فلان أصحابه يشأمهم إذا أصابهم شؤم من قبله . (٣) النجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، لجأ اليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس فى أيام أبى بكر رضى الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضى حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك فى سنة ١٢ للهجرة (راجع معجم البلدان لياقوت) .

والله لا تبخبخ بعدها أبدا . أو لست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أصيبهم * فاليوم أصبِر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله، ما كنت صبورا ولا عروفا . ثم قلت بعده :

و إذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ * فاصبرْ فكل غيَابة ستكشَّف

أمَا والله لتكوننَّ نكبة لا تنكشف غيَابتُها عنك أبدا ! يا حَرَسِىّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسىّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحجّاج فى تلك الحروب ، بجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ما صنعتُ ! قالوا : أوَ ليس هذا موضعَ نَكِير؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح فى سرجه ودِرْعه خوفا وفَرَقا، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه؛ فحَمِىَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجراح والقتلى، وانهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نَكَأتْهم[1] الحرب ؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشأم، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبى كَلَدة[2] اليَشْكُرِىّ أنه فعلها فى هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانى فى أخبار أبى كَلَدة[2] ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره فى موضعه من هذا الكتاب .

(١) نكأ (بالهمز) لغة فى نكى بمعنى أثخن وأكثر الجرح والقتل .

(٢) فى جميع الأصول هنا : «ابن حلزة» وهو تحريف . وقد وردت هذه القصة فى أخبار أبى كلدة اليشكرى فى الجزء العاشر من الأغانى (ص ١١٠ — ١٢٠) طبع بولاق . وقد ذكر أبو كلدة هذا فى الشعر والشعراء والطبرى باسم : أبى جلدة (بالجيم) وذكره اللسان فى مادة : كلد (بالكاف) كما فى الأغانى .

أخبار أحمد النَّصْبي ونسبه

نسبه، وهو مغن طنبورى كان ينادم عبيد الله ابن زياد

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأوّلُ من غنّى بها وعنه أُخِذ النَّصْبُ(١) فى الغناء هو أحمد بن أُسامة الهَمْدانى، من رَهْط الأعشى الأدنَيْن . ولم أجِد نسبَه متّصلا فأذكرَه . وكان يغنى بالطُّنْبور فى الإسلام . وكان، فيما يُقال، ينادم عُبَيدَ الله بن زِياد سرًّا ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلْحَقها أحد من الطُّنْبوريّين ولا كثير ممّن يغنّى بالعود .

حديث جحظة عنه

وذكَره جَحْظةُ فى كتاب الطُّنْبوريين فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه — عفا الله عنا وعنه — فى هذا الكتاب أن يَثْلِب جميعَ من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه، وكان يجب عليه ضدُّ هذا، لأن من ٱنتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدِّمى أهلها، كان الأجملَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلِبهم بما لايعلم وما يعلم. فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصْبى، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أحمد النَّصْبى أوّلُ من غنّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها، ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

كان بخيلا مرابيا ومات بفالوذجة حارة

وحدّثنى جماعةٌ من الكوفيّين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره(٢)، وأنه كان يُقْرِض الناسَ بالرِّبا(٣)، وأنه اغتَصّ فى دعوة دُعى إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجَمعتْ

(١) النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مع أنه كان ... الخ » . (٣) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « بعينة » والعينة (بالكسر) : الربا .

١٦٢ / ٥ أحشاءه فمات . وهذا كلّه باطل . أما الغناء فله منه صنعة فى الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثانى، ليس لكثيرٍ (١) أحدٍ مثلُها . منها الصوت الذى تقدّم ذكره وهو قوله :

* حيِّيا خولةَ منّى بالسلامِ *

ومنها :

سَلَبتَ الجوارى حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ * سِوارًا ولا طَوْقا على النحر مُذْهَبَا

وهو من الثقيل الثانى ، والشعر للعُدَيْل بن الفُرْخ (٢) ، وقد ذكرتُ ذلك فى أخباره (٣) .

ومنها :

يأيها القلبُ المطيعُ الهوى * أنَّى ٱعتراك الطّربُ النازحُ

وهو أيضا من الثقيل الثانى، وأصواتٌ كثيرةٌ (٤) نادرة تدل على تقدمه .

وأما ما وَصفه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبا وموتِه من فالوذجة حارة أكلها ، فلا أدرى مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذبا ، أو نَحَل هو هـذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأن أحمد النَّصْبى خرج مع أعشى همدان وكان قرابتَه وإلفَه فى عسكر ٱبن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر فى جملة أخباره .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لكبير » وهو تصحيف . (٢) كذا فى حـ والشعر والشعراء (ص ٢٤٤) وخزانة الأدب (حـ ٢ ص ٣٦٨)، وهو العديل بن الفرخ (بضم الفاء وسكون الراء وخاء معجمة) شاعر إسلامى فى الدولة المروانية، ولقبه : العباب (بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى)، والعباب : اسم كلبه . وفى سائر الأصول : « للعديل بن الفرج » (بالجيم) وهو تصحيف .
(٣) تقع أخباره فى (حـ ٢٠ ص ١١ — ١٩ طبع بولاق) . (٤) فى م ، س : « وذكرت أصوات ... الخ » .

اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره فى سليم بن صالح إذ نزلا عليه

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وذكره العَنَزى فى أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال :

كان أحمد النَّصْبى مواخيًا لأعشى همدان مواصلا له ، فأكثرُ غنائه فى أشعاره مثل صنعته فى شعره :

* حيِّيا خولةَ منِّى بالسلامِ *

و * لمن الظّعائن سيرُهن ترَجُّفُ *

و * يأيها القلب المطيعُ الهوى *

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَرُ أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ فى سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبرىّ — وكان منزلُ سَليم ساباطَ(1) المدائن — أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبىّ خرجا فى بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة(2) وقَضِيم(3) ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشراب فأنْعَمَا به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النَّصْبى للأعشى : قل فى هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه به حتى أُغَنِّىَ فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه :

(1) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز، وهو معرب : « بلاس أباد » ، وبلاس : اسم رجل . وقد ذكره الأعشى فى شعر له — يذكر النعمان بن المنذر وكان أبرويز قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة — منه :

فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

(الحرزقة : التضييق) . (2) العلوفة (بالضم كما فى شرح القاموس) : جمع عاف ، وهو ما تطعمه الدواب . (3) كذا فى حـ . والقضيم : شعير الدابة . وفى سائر الأصول : « قضم » . والقضم (بضمتين) جمع قضيم بمعنى الأديم ، واسم الجمع : « قضم » (بفتحتين) عند سيبويه وقيل هو جمع أيضا ، ولم تنص كتب اللغة على جمع للقضيم بمعنى الشعير .

يأيهــا القلبُ المطيع الهوى * أنَّى اعتراك الطَّرَبُ النازحُ
تذكُر جُمْلًا فإذا ما نأتْ * طار شَــعاعًا قلبُــك الطامح
هَلّا تناهيتَ وكنتَ آمرأً * يزجُرك المُرشِــد والنّاصح
ما لك لا تترُك جهلَ الصِّبا * وقد علاك الشَّمَط الواضح
فصار من ينهاك عن حبها * لم تَرَ إلا أنه كاشح
يا جُمْــل ما حُبّى لكم زائلٌ * عنّى ولا عن كَبِدى نازح
حُمّلت وُدًّا لكمُ خالصًــا * جِدًّا إذا ما هزَل المــازح
ثم لقــد طال طِلابِيــكُمُ * أســعى وخيرُ العمل النّاجح
إنى توسّمت آمرأً ماجدًا * يصدُق فى مِدْحته المــادح
ذؤابةَ العنــبر فآخــترتُه * والمــرء قد يُنْعِشُه الصالح
أبلَــجَ بُهْلولا(١) وظنّى به * أنّ ثنائى عنــده راجح ١٦٣ / ٥
سَلِيمُ ما أنتَ بِنِكْسٍ(٢) ولا * ذمُّك لى غادٍ ولا رائح
أُعطيتَ وُدّى وثنــائى معا * وخَــلّةً ميزانُهــا راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لك الــرّشد وجَيبِى(٣) فآعلمنْ ناصح
إنى لِمَن سالمتَ سِلمٌ ومن * عاديتَ أُمْسِى وله ناطــح
فى الرأس منه وعلى أنفــه * مِنْ نَقَماتى مِيسَمٌ لائح
نِعْمَ فتى الحىّ إذا ليــلةٌ * لم يُورِ فيهــا زَندَهُ القــادح

(١) البهلول : السيد الجامع لكل خير . (٢) النكس (بالكسر) : الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والجيب : القلب والصدر . يقال فلان ناصح الجيب أى أمين ، ومنه قول الشاعر :

* وخشنت صدرا جيبه لك ناصح *

وفى ب، سـ : « وحبى » .

وراح بالشَّوْل[1] إلى أهلها * مغبرّةً أذقانُها[2] كالح[3]
وهبّت الريحُ شآميةً * فأنجحر القابسُ والنابح
قد علم الحيّ إذا أمحلوا * أنك رفّادٌ لهم مانح
في الليلة القالي قِراها التي * لا غابقٌ فيها ولا صابح
فالضيف معروفٌ له حقُّه * له على أبوابكم فاتح
والخيلُ قد تعلم يومَ الوغى * أنك من جَمْرتها[4] ناضح

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَلِم في السطح ، فسمعت الغناءَ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إني سمعت من أضيافك شعرًا ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فأستمع حتى فهِم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال : الشعر لهذا، وهو أبو المصبّح أعشى همدان ، والغناء لي، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني؛ فأنكبّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُماني أنفسكما ، وكِدْتما أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما، وأحتبسهما شهرًا ثم حملهما على فرسين، وقال : خَلِّفا عندي ما كان من دوابكما، وأرجعا من مَغْزاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حينًا ثم أنصرفا، فلما شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إني أرى عجبًا! قال: وما هو؟ قال : أرى فوق قصر سَليم ثعلبًا؛ قال : لئن كنتَ صادقا فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية،

(١) الشول : جمع شائلة على غير قياس . والشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٢) في حـ : «أرقابها» وفي أ، ء، م : «أذنابها» . (٣) الكالح : الأمر الشديد، وهو فاعل «راح» . (٤) الجمرة : القبيلة فيها ثلثمائة فارس، وقيل : ألف . أو هي كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس . والناضح : المدافع الرامي .

فوجدا سَلْمًا وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وآنتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالبَ سَلْمًا بمال عظيم، فلم يَخْرُج منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها، ثم باعه الحجاج عبدًا، فآشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أسماءُ بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

نسبة هذا الصوت الذى قال الأعشى شعره (١) وصنع أحمد النصبىّ لحنَه فى سَلْم

صـــوت

يأيها القلبُ المطيع الهوى * أنَّى آعتراك الطربُ النازحُ
تذكُرُ جُمْلا فإذا ما نأَت * طار شَعاعًا قلبُك الطامح
١٦٤/٥ أُعْطِيتَ ودّى وثنائى معًا * وخَلَّةً ميزانها راجح
إنى تخيرت آمرأً ماجدًا * يصدُق فى مِدْحته المادح
سَلِيمِ ما أنت بنِكْسٍ ولا * ذَمُّك لى غادٍ ولا رائح
نِعْم فتى الحىّ إذا ليلةٌ * لم يُورِ فيها زَنْدَه القادح
وراح بالشَّوْل إلى أهلها * مُغْبَرَّةً أذقانُها كالح
وهبَّتِ الريحُ شآميةً * فآنجحر القابسُ والنابح

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النُّصْبى، ولحنه ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحنا ولسنان الكاتب لحنا آخر.

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول: «الذى قاله الأعشى فى شعره ... الخ» وهو تحريف.

صـــوت

مـن المـائة المختـارة

تَنَكَّر من سُعْدَى وأقفر من هندِ * مُقامُهما بين الرَّغامين(١) فالفردِ(٢)
محلٌّ لسُعْدَى طالما سكنتْ به * فأوحشَ ممن كان يسكنه بَعْدِى

الشعر لحَمّاد الراوية . والغناء لعَبَادِل، ولحنـه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر(٣) الهشامىّ أنه للهُذَلىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبَادِل بن عطيّة(٤) .

---

(١) الرغام : اسم رملة بعينها من نواحى اليمامة بالوشم، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر. (٢) كذا فى حـ ، ب ، س . والفرد : موضعان . أحدهما (بفتح الفاء) : جبـل من جبلين يقال لهما الفردان فى ديار سليم بالحجاز . والآخر (بالكسر) : موضع عند بطن إياد من ديار يربوع . والظاهر أن كلا الموضعين ليس مرادا هنا لبعد ما بينهما وبين الرغام . وفى سائر الأصول : « بالقرد » (بالقاف) ولم نعثر فى المظان التى بين أيدينا على موضـع بهذا الاسم ، والظاهر أنه اسم موضع قـريب من الرغامين . (٣) فى جميع الأصول : « وذكر » بزيادة الواو . (٤) فى جميع الأصـول هنا : «عقبة» وهو تحريف . وسيأتى ترجمته فى هذا الجزء بعد قليل .

أخبار حمّاد الراوية ونسبه

نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيامها

هو حمّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهَيْثم بن عَدِىّ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به، وزعم أنه مولى [بنى] (١) شَيْبان . وذكر المَدائنىّ والقَحْذَمِىّ أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بنى أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيفِد عليهم ويناد مهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ وعمّى وإسماعيل العَتَكىّ قالوا حدّثنا الرِّيَاشِىّ قال :

قال الأصمعىّ : كان حمّاد أعلمَ الناس إذا نَصح . قال وقلت لحماد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبى من سَبْى سَلْمان بن رَبيعة، فطرَحَتْنا (٢) سَلْمانُ (٣) لبنى شَيْبان، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكىّ فى خبره : قال الرِّيَاشِىّ : وكذلك ذكر الهَيْثم بن عَدِىّ فى أمر حمّاد .

سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرى عن العُتْبى والهَيْثم بن عَدِىّ ولَقيط (٤) قالوا :

---

(١) زيادة عن حـ ومختار الأغانى وتجريد الأغانى . (٢) فى ب، س : «فطوحتنا» .
(٣) كذا فى أ، ء، م . وفى سائر الأصول : «سهمان» وهو تحريف .
(٤) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربى الكوفى من بنى محارب، من الرواة للعلم المصنفين للكتب، وكان شاعرا سيء الخلق، عاش إلى سنة تسعين ومائة، وله من الكتب : كتاب السمر، وكتاب الحراب واللصوص، وكتاب أخبار الجن . (راجع فهرست ابن النديم ص ٩٤ طبع أوربا) .

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : بِمَ آستحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفْه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعرا قديما ولا محدَثا[(١)] إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هـذا لعلم وأبيك كثير[(٢)] ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال : كثيرا ، ولكنى أُنشِدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك فى هذا ، وأمَره بالإنشاد ؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر ، ثم وكّل به من آستحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفىَ عليه ؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

١٦٥ / ٥

ما كان بينه وبين مروان بن أبى حفصة فى حضرة الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ المنجِّم قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن مَرْوانَ بن أبى حَفْصة ، وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو بكر العامرىّ عن الأَثْرَم[(٣)] عن مروان بن أبى حَفْصة قال :

دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثّقَفى والحسين بن مُطَير الأَسَدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلّما أنشد شاعرٌ شعرًا ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حمّاد الراوية . فلما وقفت بين يدى

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «شعرا لقديم ولا محدث» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : «كبير» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف .

(٣) هو أبو الحسن على بن المغيرة صاحب الأصمعى وأبى عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء العرب ، وتوفى سنة ثلاثين ومائتين . (راجع فهرست ابن النديم ص ٥٦ طبع أوربا) .

الوليدِ أنشــده قلت: ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنة لحّانة؛ فأقبــل الشيخ علىّ وقال : يآبن أخى ، إنى رجل أ كلِّم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروى من أشــعار العرب شيئا ؟ فذهب عنّى الشعرُ كله إلا شعرَ ابن مُقْبِل ؛ فقلت له : نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال : أَنْشِدْ، فأنشدتُه قوله :

سَـلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٍّ فواهبٍ * إذا ما رأى هَضْبَ القَليبِ المُضَيَّحُ (١)

ثم جُزْتُ ؛ فقال لى : قف فوقفت؛ فقــال لى : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لى حماد : يآبن أخى، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءَى الموضعان إذا تقابلا .

سأل الهيثم بن عدى عن معنى شعر فعجز

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانى عن العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ قال : قلت لحماد الراوية يوما : أَلْقِ علىّ ما شئت من الشــعر أفسّره لك؛ فضــحك وقال لى : ما معنى قولِ ابن مُزَاحِم (٢) الثُّمَـالِىّ :

تَخَوَّف السيرُ منها تامكًا قَرِدًا * كما تَخَوَّف عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ؟ (٣)

(١) كذا فى معجم ما استعجم . وحبر (بكسر أوّله وثانيه و بالراء المهملة المشدّدة) : جبل لبنى سليم وكذلك واهب . وهضب القليب : ماء لبنى قنفذ من بنى سليم، وهناك قتلت بنو قنفذ المقصص العامرى . والمضيح (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها حاء مهملة) : ماء لبنى البكاء . وقد ورد هذا البيت فى الأصول محرّفا هكذا :

سلى الدار من خبتى خبير فذاهب * إذا ما رأى هضب القليب المصبح

(٢) كذا فى مختار الأغانى وهامش لسان العرب (مادة سفن) . وفى جميع الأصول : «مزاحم» . وقد نسب هــذا البيت لذى الرمة كما نسب لابن مقبل ولعبــد الله بن عجلان النهــدى . (راجع اللسان والصحاح مادتى سفن وخوف) . (٣) التامك : السنام . والقرد : المتلبد الصوف . والسفن : الحديدة التى تبرد بها القسىّ . ورواية هذا البيت فى الصحاح (مادتى سفن وخوف) :

تخوف الرحل منها ... * ... ظهر النبعة السفن

فلم أَدْرِ ما أقول ؛ فقــال : تخوّف : تنقّص . قال الله عزّ وجل : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أى على تنقُّص .

قال الهَيْثم : ما رأيت رجلا أعلمَ بكلام العرب من حمّاد .

كذب الفــرزدق فى شعر نسبه لنفسه فأقــر

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى الكُرَانىّ محمد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال :

أنشدنى الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر :

وكنتَ كذئب السَّوْء لمـّا رأى دمًا * بصاحـــبه يومًا أحال على الدمِ (١)

فقال له حماد : آنت تقوله؟ قال : نعم؛ قال : ليس الأمر كذلك، هذا لرَجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرُك ! أفأردتَ (٢) أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ ورَوَوْه لى لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعًا غيرَك ! .

كان هو وأبو عمرو كل منهما يقــدم الآخر على نفسه

حدّثنى (٣) محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى الفَضْل قال حدّثنى ابن النَّطّاح قال حدّثنى أبو عمرو الشَّيْبانى قال :

ما سألت ابا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلا قدّمه على نفســه ، ولا سألت حَمّادا عن أبى عمرو إلا قدّمه على نفسه .

هو أحد الحمادين الثــلاثة

١٦٦
٥

حدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبدالله بن مسلم، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقَفىّ عن إبراهيم بن عُمَر [و] (٤) العامرى قالا :

---

(١) أحال على الدم : أقبل عليـه . (٢) فى ب ، سـ : « فأردت » .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « قال حدثنى » . (٤) زيادة عن م . ولا تستقيم العبـارة بغير هذه الزيادة .

كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون : حماد عَجْرد، وحماد بن الزِّبْرِقان، وحماد الراوية، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعا .

كان بخيلا فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه

أخبرنى الحسن بن يحيى المِرْداسىّ (١) قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مُطيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حماد الراوية، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات (٢) قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين، فقال له يحيى بن زياد : يا حماد، إنك لَمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع؛ فقال له مُطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى أقلَّ ثمنا منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقى وتَتّسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَّك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنما هى وديعة أو عارية؛ فقال له مطيع : أمَا إنه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يُخرِج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه ! قال مطيع : ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكنى أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته ! فقال لهما حماد : قوما عنى يا ٱبْنَىِ الزانيتين وٱخرُجا من منزلى، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيتَه .

كان منقطعا ابن يزيد لجفاء هشام ولما ولى الخلافة كتب ليوسف بن عمر بارساله ليسأله عن شعر وأكرمه

حدّثنى الحسن بن على قال حدّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدّثنى محمد ابن عبد الرحمن العَبْدى عن حُميد بن محمد الكُوفى عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشى عن محمد بن أَنَس، وأخبرنى الحسين (٣) بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الرواية، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

---

(١) فى جميع الأصول هنا : « الحسن » ، وقد مر فى أكثر من موضع من الأجزاء السابقة باسم «الحسين» وفى القليل منها باسم «الحسن» ولم نوفق إلى تصويبه . (٢) فى حـ : «قضبات» (بالضاد المعجمة) : جمع قضبة وهى القضيب أو القدح من نبع يجعل منه سهم . (٣) كذا فى ا ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « الحسن » . (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

قال حماد الراوية : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك،فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أميــة فى أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفْضَت الخلافةُ إلى هشام خِفْتُه، فمكثت فى بيتى سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً ؛ فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سـنةً أَمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عنــد باب الفيل فإذا شُرَطِيّانِ(٢) قد وقفا علىّ فقالا لى : ياحَمّاد، أجب الأمير يوسف ابن عمر، فقلت فى نفسى : مِنْ هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطِيَّيْنِ : هل لكما أن تَدَعانى آتى أهلى فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمتُ فى أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان(٣) الأحمر، فسلّمت عليه فردّ علىّ السلامَ، ورمى إلىّ كتاباً فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشــام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعــد ، فإذا قرأتَ كتابى هــذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعتَع، وادفع إليــه خمسمائة دينــار وجملا مَهْرِيّا(٤) يسير عليه اثنتى عشرة ليــلةً إلى دمشق" . فأخذتُ الخمسمائة الدينار، ونظرت فإذا جمل مَرْحول، فوضعت

---

(٢) يستبعد أن تكون هــذه القصة مع يوســف بن عمر الثقفى لأنه لم يكن واليا بالعراق فى التاريخ المذكور بل كان متوليه إذ ذاك خالد بن عبد الله القسرى . لأن هشاما تولى الخلافة لليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ . والخبر صريح فى أن هذه الحادثة وقعت بعد عام من تولى هشام الخلافة وكان الوالى على العراق حينذاك القسرى لا الثقــفى ، لأن هشاما عزل عمر بن هبيرة عن العــراق وولى مكانه خالدا فى شوّال ســنة ١٠٥ هـ، وبقى خالد واليا عليه حتى سنة ١٢٠ هـ وهى السنة التى عزله فيها عنه هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى . (راجع ابن خلكان ـــ فى ترجمتى حماد وخالد ـــ والطبرى ق ٢ ص ١٤٦٦) .

(٣) الإيوان : الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولا .

(٤) المهرية من الإبل : نسبة إلى مهرة بن حيدان وهو حى من قضاعة من عرب اليمن ، وهى نجائب تسبق الخيل ، وقيل : إنها لا يعدل بهـا شىء فى سرعة جريانها ، ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم مايراد منها بأقل أدب تعلمه ، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعـا .

رجلى فى الغَرْز (١) وسرتُ اثنتى عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام، فاستأذنتُ فأُذن لى، فدخلت عليه فى دارٍ قَوْراء (٢) مفروشة بالرُّخام، وهو فى مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء وعليه ثياب خَزّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى

١٦٧ / ٥ ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، فسلّمت فردّ علىّ، واستدنانى فدنوت حتى قبّلت رجلَه، وإذا جاريتان لم أَرَ قبلهما مثلهما، فى أُذُنَىْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان، فقال لى: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين، قال: أتدرى فيم بعثتُ إليك؟ قلتُ: لا، قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالى لم أدر مَنْ قاله، قلت: وما هو؟ فقال:

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت * قَيْنةٌ فى يمينها إبريقُ

قلت: هذا يقوله عَدِىّ بن زيد فى قصيدة له، قال: فأنشدْنيها، فأنشدتُه:

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألاَ تستفيقُ
ويلومون فيك يا ٱبنةَ عبد الله * والقلب عندكم مَوْهوق (٣)
لست أدرى إذ أكثروا العذلَ عندى * أعدوٌّ يلومنى أو صديق
زانها حسنُها وفَرْعٌ عَميم * وأثيثٌ (٤) صَلْتُ الجبين أنيق
وثنايا مُفَلَّجات عذاب * لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوق (٥)
فدعَوْا بالصَّبُوح يوما فجاءت * قَيْنةٌ فى يمينها إبريق

(١) الغرز: ركاب الرحل من جلد، فاذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب. (٢) قوراء: واسعة. (٣) الموهوق: المشدود بالوهق، وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان. (٤) الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير، يطلق على الشعر وعلى البدن الممتلىء اللحم، وهو المراد هنا. والصلت: الواضح. (٥) روق: طوال.

قـــدّمتْه على عُقـــار كعيْن الـ ـديـك صَـــفّى سُلافَهـا الرّاووق[1]
مُرّة قبـــل مزجهـا فإذا ما * مُزِجت لذّ طعمَها من يذوق
وطفَت فوقهـا فقاقيـــعُ كالد رّ صِـــغار يُثـــيرها التّصْـــفيق
ثم كان المِـــزاج ماءَ سمـاء * غـــيرَ ما آجنٍ ولا مَطْـــروق

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حمّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثلث عقلى . وقال : أَعِد ، فأعدت ، فآستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجـارية الأخرى : اسـقيه، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى . فقلت : إن سقتنى الثالثـةَ آفتضحت ، فقـال : سَلْ حوائجَك، فقلت : كائنـةً ما كانت؟ قال : نعم؛ قلت : إحدى الجاريتين؛ فقال لى : هما جميعا لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتْنى شَرْبةً سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسى، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة، فقال لى أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فآنتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وآنصرفت . هذا لفظ حمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد فى خبره أنه سـقاه شيئا ، ولكنّه ذكر أنه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لمّـا طلب إحداهما، وأنزله فى دار، ثم نقـله من غدٍ إلى منزل أعدّه له ، فآنتقل إليـه فوجد فيـه الجاريتين وما لهما وكلَّ ما يحتـاج إليه ، وأنه أقام عنـده مدّة فوصل إليـه مائةُ ألف درهم ، وهـذا هو الصحيح ؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقى أحد بحضرته مسكِرا، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه .

(١) الراووق : المصفاة وناجود الشراب الذى يروق فيه . والناجود : الوعاء .

فى أبيات عدىّ المذكورة فى هذا الخبر غناءٌ، نِسْبته :

صـــــوت

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون ماله لا يُفيـــقُ
ويلومون فيـــكِ يآبنـةَ عبـد الله والقلبُ عنـــدكم مُوْهـــوق ١٦٨ / ٥
ثم نادوْا إلى الصَّـــبُوح فقامت * قَيْــنة فى يمينهـا إبريـــق
قدّمتْـــه على عُقـار كعين الدِّيك صـــفّى سُـــلافَهـا الراووق

فى البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ فى صانعه، نَسَبه يحيى بن المكىّ إلى معبد، ونسبه الهشامىّ إلى حُنين . وفى الثالث وهو "ثم نادوا" والرابع لعبد الله ابن العباس الرَّبيعىّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيـل، ذكر[1] حَبَش أنه لحُنَين .

أجازه يوسف ابن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرما

أخبرنى[2] محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

قال حمـاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفـة إلى يوسـف بن عمر: آحمِلْ إلىّ حمادًا الراوية على ما أَحَبّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلما أتاه الكتّاب وأنا عنده نبذه إلىّ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يادُكَين بن شَجَرة، أعطه عشرةآلاف درهم، فأخذتُها . فلما كان اليوم الذى أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعا، فقال : ياحماد، أنا بالموضع الذى قـد عرفتَ من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنيًا عن ثنائك، فقلت : أصلح الله الأمير :

---

(١) فى جميع الأصول : « وذكر » ولا تستقيم العبارة بزيادة الواو .

(٢) وردت هذه القصة فى أخبار ابن عائشة فى الجزء الثانى من هذه الطبعة مع اختلاف يسير .

"إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمْرة"[1] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليــد بن يزيد وهو بالبَخْراء[2] ، فاستأذنتُ فأذن لى ، فإذا هو على سرير ممهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئًا ، وإذا عنــده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه ، فـتركنى حتى سكن جأشى ، ثم قال : أنشدْنى :

* أَمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتَوجّعُ *

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه ياسَبْرة أكؤسا ، فسقانى ثلاث أكؤس خدَّرتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يامعبد غنّنى :

ألا هل جاءكَ الأظعا * نُ إذ جاوزن مُطَّلَحا[3]

فغنّاه . ثم قال : غننى :

أتنسى[3] إذ تودّعنا سُلَيمى * بفرع بَشَامةٍ، سُقِىَ البَشَامُ[5]

فغنّى . ثم قال : غننى :

جلَا أُميّـــة عنّـا كلَّ مَظْلِمة * سهلُ الحجابِ وأوْفَى بالذى وَعَدا

---

(١) العوان : النصف فى سنها . والخمرة : من الاختمار اسم هيئة . وهذا مثل يضرب للرجل المجرب الذى لا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وهى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز . وفى سائر الأصول : « النجراء » (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

(٣) قال ياقوت فى معجمه فى الكلام على مطلح : «هو موضع فى قوله :

* وقد جاوزن مطلحا * »

ولم يتعرض له بأكثر من هــذا ولم نجده فى غيره من المظان . (٤) ورد صدر هــذا البيت فى اللسان مادة «بشم» هكذا :

* أتذكر يوم تصقل عارضيها *

وصدر هذا البيت فى التهذيب :

* أتذكر إذ تودعنا سليمى *

(٥) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به . يعنى بالبيت أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء .

فغنّاه . ثم قال : اسقنى ياغلام بزُبّ فرعون ، فأتاه بقدح معوَجّ فيه طول فسقاه به عشرين قدحا . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبتَ بالباب[1]؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أر أحسن منه وجها فى رجله فَدَع[2]، فقال : ياسَبْرة اسقه كأسا، فسقاه، ثم قال له : غنّى :

وهْى إذ ذاك عليها مئزر * ولها بيتُ جَوَار من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال : غنّى :

طَرَق الخيالُ فمرحَبَا * ألفًا برؤية زينبَا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمَزْجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبى ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلت قدرَك ولا سِنّك، ولكن هذا الغلام طرحنى على مثل الطّيَاجِن[3] من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام؟ فإذا هو ابن عائشة . ١٦٩/٥

كان فى حانة فطلبه المنصور لجفاءه وأنشده من شعر هفان بن همام

حدّثنى الحسن بن محمد المادَرَانىّ الكاتب قال حدّثنى الرياشىّ عن العُتْبىّ، وأخبرنى به هاشم بن محمد عن الرياشى — وليس خبره بتمام هذا — قال :

طلب المنصور حمّادًا الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجهوا إليه برسول يُشْخِصُه . قال الرسول : فوجدته فى حانة وهو عُريان يشرب نبيذًا من إجّانة[4] وعلى سوأته رأس دَسْتِجة[5] ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من

(١) فى ب ، س : «لم أر ... وجها من رجل فى رجله ...الخ» ولايستقيم الكلام بهذه الزيادة .

(٢) الفدع : عوج وميل فى المفاصل كأنها خلقة أو داء . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والطياجن : الطوابق يقلى عليها . وفى ب، سـ : «الطنابير» وهو تحريف . (٤) الإجانة : آنية تغسل فيها الثياب . (٥) كذا فى أ ، ء . والدستجة : الإناء الكبير من الزجاج معرب : «دستة» وفى حـ ، م : «دسيتجة» (بالتصغير) . وفى ب ، سـ : «دستيجة» ولعلها محرفة عما فى حـ ، م .

تلك . فأجاب، فأشخصتُه إليه . فلما مَثَل بين يديه، قال له : أنشدني شعرَ هِفّان ابن هَمّام بن نَضْلة يرثى أباه؛ فأنشده :

خليلىّ عُوجَا إنها حاجةٌ لنا * على قبر هَمّام سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتغى * جَداه إذا لم يَحمَد الأرضَ رائد
كريم الثَّنا(١) حلو الشمائل بينه * وبين المُزجَّى(٢) نَفْنفٌ متباعد
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن * عَيِيًّا ولا ثِقْلًا على من يقاعد
صبورٌ على العِلّات يُصبح بطنُه * خَميصا وآتِيه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كلّ الفتى في حَفيرة * بُحرِّين(٣) قد راحتْ عليه العوائد
صريعا كنصل السيف تضرِبُ حوله * ترائبَهن(٤) المُعْوِلاتُ الفواقد

قال : فبكى أبو جعفر حتى أخضَل لحيتَه، ثم قال : هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه .

ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستنشده فأنشده شعرا أغضبه فضربه

أخبرنى الحسين(٥) بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعا إليه وله معه منزلة حسنة، فذكَر له حمادا الراوية،

(١) الثنا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّ . وفى الأصول : «الثنا» . (٢) المزجى : الضعيف . وسمى مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن . والنفنف : المهواة بين الجبلين . (٣) كذا فى ب ، سـ . وحرين (بالضم ثم الكسر والتشديد وآخره نون) : بلد قرب آمد . وفى سائر الأصول : «بجوبين» ولم نجد بلدا بهذا الاسم فى المظان التى بين أيدينا . (٤) الترائب : عظام الصدر، واحدها تريبة . والفواقد : من فقدن أزواجهن أو أولادهن . (٥) فى جميع الأصول هنا : «الحسين» ويلاحظ أن هذا الاسم ورد مضطربا فيما مر من الكتاب بين : «الحسن» و «الحسين» ولم نوفق إلى مرجع نرجح به إحدى الروايتين .

وكان صديقَه، وكان مطَّرَحًا مجفوًّا فى أيامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأتى مطيع حمّادًا فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حماد : دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أمية ومالى عند هؤلاء خير ، فأبى مطيعٌ إلّا الذهابَ إليه ، فٱستعار حماد سَوَادا وسيفا ثم أتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسنا وأثنى عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أَنشِدْنى ؛ فقال : لمن أيها الأمير ؟ ألشاعر بعينه أم لمن حَضَر؟ قال : بل أنشدنى لجَرير . قال حمّاد : فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبى إلا قولَه :

بانَ الخليطُ برامتَيْن(1) فودَّعوا * أوَ كلَّما اعتزموا(2) لبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه ، حتى ٱنتهيتُ إلى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا * هلّا هَزِئتِ بغيرنا يابَوْزَعُ

قال حماد : فقال لى جعفر : أَعِد هذا البيت ، فأعدته ؛ فقال : بَوْزَع ، أىُّ شىء هو؟ فقلت : اسم ٱمرأة ؛ فقال : ٱمرأة ٱسمها بَوْزَع! هو برىء من الله ورسوله ونفِىٌّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولا من الغِيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع ؛ يا غلمان! قَفَاه ؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا ؛ ثم قال : جُرُّوا برجله : فجَرُّوا برجلى حتى أُخرجت من بين يديه مسحوبًا ، فتخرّق السواد وٱنكسر جفن السيف ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى علىّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامى ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف ؛ فلما ١٧٠ ٥

(1) رامتين : تثنية رامة ، وكثير من أسماء المواضع يأتى فى الشعر مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية . ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة . وهى آخر بلاد بنى تميم ، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، وقيل هى هضبة أو جبل لبنى دارم .

(2) فى النقائض (ص ٩٦١ طبع أوربا) : « رفعوا » . ورفع القوم : أصعدوا فى البلاد .

آنصرفت أتانى مُطيع يتوجّع لى؛ فقلت له: ألم أخبرك أنى لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّى قد مضى مع بنى أمية!.

حديثه مع مأبون

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال:

بلغنى أن رجلا تحدّث فى مجلس حماد الراوية فقال: بلغنى أن المأبون له رحم كرحم المرأة — قال: وكان الرجل يُرمَى بهذا الداء — فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله.

كتب الى بعض الأشراف شعرا يسأله جبة فأرسلها إليه

قال: وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إن لى حاجةً فرأيَك فيها * لك نفسى فِدًى من الأوصابِ
وهى ليست مما يبلِّغها[(1)] غيـ * ـرى ولا يستطيعها فى كتاب
غيرَ أنّى أقولها حين ألقا * ك رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجاب

فكتب إليه الرجل: اكتب إلىّ بحاجتك ولا تَشْهَرنى بشعرك؛ فكتب إليه حماد:

إننى عاشق لجُبّتك الدَّكـ * ـناءِ عشقًا قد حال دون الشرابِ
فآكسُنيها فدتْك نفسى وأهلى * أتَبَاهَى بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجـ * ـعلها عمرَها أميرَ ثيابى

فبعث إليه بها. وقد رُويتْ هذه القصة لمُطيع بن إياس.

هو والخزيمى وغلام أمرد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو يعقوب الخُزَيمىّ[(2)] قال:

---

(1) كذا فى مختار الأغانى وتجريد الأغانى. وفى الأصول: «يبلغه». (2) الخزيمى: هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب. وقد ورد فى الشعر والشعراء باسم الخريمى (بالراء). والظاهر أن هذه الرواية أصح لأنه كان مولى ابن خريم الذى يقال لأبيه: خريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بنى مرة (راجع الشعر والشعراء ص ٥٤٢ طبع ليدن والكامل للبرد ص ٣٢٨ طبع أوربا).

كنت فى مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد، فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أَدِبّ على هذا الغلام، فقلت : شأنَك به؛ ثم نِمنا، فلم أشعُر بشىء إلا وحماد ينيكنى، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت فى موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فيتنبَه الناس فأفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عينى العوراء ليعرفَنى؛ فقال : قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا ! وفديناه بذبح عظيم . قال : وما بَرِح(١) علم الله وأنا أعالجه جهدى فلا ينفعنى حتى أنزل .

أهدى إلى صديق له غلاما

قال إسحاق :

وأهدى حماد إلى صديق له غلامًا وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاما تتعلّم عليه كَظْم الغيظ .

ستهدى نبيذا من اصديق له فأجابه

قال :

واستهدى من صديق له نبيذا فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذ . فكتب إليه : لو عرفتَ فى العدد أقلّ من واحد، وفى الألوان شرًّا من السواد، لأهديتَه إلىّ .

رد على مغنية أخطأت فى شعر

قال :

وسمع مغنية تغنى :

* عاد قلبى من الطويلة عاد *

فقال : وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما . والشعر :

* عاد قلبى من الطويلة عِيدٌ(٢) *

(١) فى جميع الأصول : «قال : وما علم الله برح ... الخ» وهو خطأ يحتمل أن يكون من الناسخ، إذ لا يصح الفصل بين ما النافية والأفعال الناقصة، لأن ما لما لزمت هذه الأفعال وصارت معها بمعنى الإثبات صارت بجزئها . (٢) هذا الشعر للفضل . وأراد بالطويلة روضة بالصمان عرضها ميل فى طول ثلاثة أميال . والعيد : ما يعتاد من نوب وشوق وهم .

أنشده رجل شعرا فأنكره عليه وقال اهجنى فهجاه

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدى قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال حدّثنى أبو عثمان اللاحِق، وأخبرنى به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن بِشْر بن المفضَّل ابن لاحِق قال:

جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعرا وقال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقا فاْهْجُنى . فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك :

١٧١ / ٥ سـيعلم حَمّـاد إذا ما هجـوتُه * أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم تر حمـادًا تقـدّم بطنُه * وأُخّر عنـه ما تُجنّ المآزر
فليس براءٍ خُصْيتَيْه ولو جَثَا * لركبته، ما دام للزيت عاصر
فياليته أَمْسَى قعيـدةَ بيتـه * له بعلُ صـدقٍ كَوْمه(١) متواتر
لحماد نعم العِـرْس للمرء يبتغى الـنـكاح وبئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد: حسبُنا، عافاك الله، هـذا المقدارُ وحسـبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه، وأُحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَنى؛ فقال له: قد كنتَ غنيًّا عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب ممـا جَرَرْتُ على نفسى من البلاء! .

عاب شعرا لأبى الغول فهجاه

حدّثنى الأَسَـدى أبو الحَسَن قال حدّثنا الرِّيَاشى قال حدّثنـا أبو عبـد الله الفَهْمىّ قال:

عاب حَمّاد الراوية شعرًا لأبى الغُول(٢) فقال يهجوه:

---

(١) الكوم: النكاح . (٢) نسبت هذه الأبيات لحماد بن الزبرقان كما نسبت لبشار بن برد يهجو بها حماد عجرد (راجع الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٤٢ طبع الساسى . وابن خلكان فى ترجمة حماد عجرد) .

نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه * ويُقيمُ وقتَ صلاته حمّادُ
هَدَلتْ مشافرهَ الدَّنان فأنفُه * مثل القَدُوم يَسُنّها الحدّاد
وأبيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد
لا يُعجبنّك بَزُّه وثيابُه * إن اليهود ترى لها أجلادْ(1)
حمّاد يا ضَبُعًا تجُرّ جِعارَها(2) * أَخْنَى(3) لها بالقريتين جراد
سبعا يلاعبها ابنها وبناتها(4) * ولها من الخرق الكبار وساد

قال معنى قوله :

* أخنى لها بالقريتين جرادُ *

هو مثل قول العرب للضَّبُع : خامِرِى(5) أمَّ عامر، أَبْشِرى بجرادٍ عِظال(6) وكَمرِ رجال ؛ فإن الضبع تجئ إلى القتيل وقد استلقى على قفاه، وانتفخ غُرمُوله فكان كالمُنعِظ، فتحْتكّ به وتحيض من الشهوة، فيَثِبُ عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل . وفى مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرَى(7) الأَزْدِى .

---

(1) أجلاد الإنسان : جماعة شخصه أو جسمه و بدنه ؛ يقال فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخما قوى الأعضاء والجسم . (2) الجعار : جمع جعر (بفتح فسكون)، والجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار (كقطام) : اسم للضبع لكثرة جعرها . (3) كذا فى ب ، س . وأخنى الجراد : كثر بيضه . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة . (4) كذا ورد هذا البيت فى جميع الأصول وهو غير ظاهر المعنى . (5) خامرى : استترى . وأم عامر : الضبع ، وهى كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك . و يقال لها : أبشرى بجراد عظال وكمر رجال ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فيربط يديها و رجليها ثم يجرها . يضرب هذا المثل لمن يرتاع من كل شىء جبنا وقيل هو مثل لمن عرف الدنيا ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تغتر الضبع بقول القائل : خامرى أم عامر . (6) الجراد العظال : الذى ركب بعضه بعضا كثرة . (7) فى نسبة القصيدة التى منها هذا البيت للشنفرى خلاف ، فقيل إنها لتأبط شرا ، وقيل لابن أخته ، كما رجح أن تكون لخلف الأحمر (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزى ص ٣٨٢ طبع أوربا) .

تضحَك الضّبع لقتْلَى هُذَيْلٍ * وترى الذئبَ لهـا يَسْتَهِلّْ (١)

تضحك : تحيض (٢) .

وقال ٱبن النّطّاح :

كان لصا ثم تاب وطلب الأدب والشعر

كان حمّـاد الراوية فى أوّل أمره يتشطّر و يصحَب الصعاليـكَ واللصوص، فنقَب ليـلةً على رجل فأخَذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار، فقرأه حمـاد فٱستحلاه وتحفّظه، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ .

استنشده المهدى أحسن أبيات فى السكر ثم أجازه

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمِّى الفضـل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال :

دخلت على المهدىّ فقـال : أنشِدْنى أحسنَ أبيـات قيلت فى السُّكْر، ولك عشرةُ آلاف درهم وخِلعتان (٣) من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل (٤) :

---

(١) يستهل : يصيح ويستغوى الذئاب . واستهل الصبى بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة وكل شىء ارتفع صوته فقد استهل . (٢) قال التبريزى فى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «قول من قال تضحك بمعنى تحيض ليس بشىء» . وفى لسان العـرب مادة ضحك فى الكلام على هـذا البيت : «قال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر فى وجهه وعيدا فيتركها مع لحم القتيل ويمر ... وقال ابن الأعرابى : أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أوشربت دماءهم طمثت؛ وكان ابن دريد يردّ هذا ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض، وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا، وقيل أراد أنها تسرّبهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك إنمـا يكون منه» . اهـ ببعض تصرف .
(٣) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : «وخلعتان وكسوة ... الخ» . (٤) لم نجد هذه الأبيات بين شعر الأخطل المجموع فى دواوينه الثلاثة التى نشر الأوّل منهـا المرحوم الدكتور أو جينيوس غرّفينى الميـلانى الإيطالى مدير مكتبة جلالة ملك مصر سابقا (وهو محفـوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣ ٢٠ أدب) ونشر الثـانى والثالث منها الأب أنطون صالحانى اليسوعى (وهما محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقمى : ٣٩٣٧ ، ١١٠٢ أدب) . وجميعها طبع بيروت .

تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطْمَثْ(١) يُطيف به * كأنه من دم الأجواف مُختَضَبُ
حتى إذا ٱفتضّ ماءُ المُزن عُذرتَها * راحَ الزجاجُ وفى ألـوانه صَهَبُ
١٧٢/٥ تَنْزو(٢) إذا شجّها بالمـاء مازجُهـا * نَزْوَ الجنـادب فى رَمْضـاءَ تلتهب
راحوا وهم يحسَبون الأرض فى فُلُك * إن صُرِّعوا وقت الراحاتُ والرُّكَب

فقال لى : أحسنتَ وأمر لى بمـا شَرَطه ووعدنى به فأخذتُه .

مدح بلال بن أبى بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمى عبيدُ الله قال حدّثنى سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنى صالح بن سليمان قال :

قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبى بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشده حمادٌ شعرًا مدحه به؛ فقال بلال لذى الرُّمّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّدًا وليس له؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقـله ؛ فلمـا قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه ، قال له : إن لى إليـكَ حاجةً ؛ قال : هى مقضيةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ؟ قال : لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيرى؛ قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

أنشد بلالا شعرا فى مدح أبى موسى نسبه للحطيئة

قال صالح :

وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبى بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالهـا ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعرى يقول فيها :

---

(١) الطمث : المس . قال تعـالى : « لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان » . يريد أنه لم يفترع ولم يمسسه إنسان . (٢) تنزو : تثب وذلك إذا مزجت . وشجها : مزجها . والجنادب : ضرب من الجراد . والرمضاء : الأرض الحارة الحامية من شدّة حر الشمس .

جَمَعْتَ[(١)] من عامرٍ فيها ومن جُشَمٍ * ومن تميم ومن حَاء ومن حامِ
مُسْتَحقِبات رواياها جحافلَها * يسمو بها أَشْعَرِىٌّ طَرْفُه سامى

فقال له بلال : قد علمتُ أن هـذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْهَا تذهب فى الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ، ووصَله .

يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بتخليطه ونحله شعره للقدماء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابى يقول سمعت المفضَّل الضَّبِّى يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا . فقيل له : وكيف ذلك؟ أيخطئ فى روايته أم يلحَن؟ قال : ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله فى شعره، ويُحمَل ذلك عنه فى الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك ! .

اجتمع مع المفضل الضبي عند المهدى فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانىّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى قال حدّثنى السَّعيدى الراوية وأبو إياد المؤدِّب — وكان مؤدِّبى ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه — وحدّثنى بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم[(٢)] وحدّثنى به آبن غَزَالة أيضا وآتفقوا عليه :

(١) تقدّم شرح هذين البيتين فى الجزء الثانى من هذه الطبعة (فى الحواشى ٤، ٥، ٦ ص ١٧٥ والحواشى ١، ٢، ٣ ص ١٧٦) .

(٢) كذا فى حـ . ولعله سعيد بن سلم الباهلى أبو عمرو وقد كان معاصرا لعبد الله بن مالك الخزاعى. وفى ب، سـ : «سعيد بن مسلم» . وفى سائر الأصول : «سعيد بن سليم» .

أنهم كانوا فى دار أمير المؤمنين المهدى بِعِيساباذ(١)، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضَّل الضَّبِّىّ الراوية فدخل، فمكث مليًّا ثم خرج إلينا ومعه حمّاد والمفضَّل جميعا وقد بان فى وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفى وجه المفضَّل السرور والنشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما(٢)، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنه قد وصل حمادًا الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفا لصدقه وصحة ١٧٣/٥ روايته، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدَثا فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل؛ فسألنا عن السبب فأُخبِرنا أن المهدىّ قال للفضل لما دعا به وحده: إنى رأيتُ زُهَيرَ بن أبى سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال :

* دع ذا وعدِّ القول فى هَرِم *

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذى أمَر نفسَه بتركه ؟ فقال له المفضَّل : ماسمعتُ يا أمير المؤمنين فى هذا شيئًا إلا أنّى توهمته كان يفكّر فى قول يقوله، أو يُرَوِّى فى أن يقول شعرًا فعدل عنه إلى مدح هرِم وقال دع ذا، أوكان مفكرا فى شىء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أى دع ماأنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ فى هرِم ؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ماسأل عنه المفضَّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ ياأمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده :

---

(١) عيسا باذ : أى عمارة عيسى، لأن كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، وهذه محلة كانت شرقى بغداد ومنسوبة إلى عيسى بن المهدى وكانت إقطاعا له . وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى . وبها بنى المهدى قصره الذى سماه قصر السلام .

(٢) كذا فى جميع الأصول . ولعل هذه الكلمة مقحمة أو محرّفة عن «بعدهما» .

ــــن الديار بقُنّــــة[1] الحَجْــر ٭ أَقْوَيْنَ مُذْ[2] حِجَج ومُــذْ[2] دَهْر

قفـــر بمُنْدَفَــع النحائت[3] من ٭ ضَفْوَى[4] أُولَات[5] الضَّالِ والسِّدْر[6]

دع ذا وعَــدِّ القول فى هرم ٭ خيرِ الكهول[7] وسيِّد الحَضْر

قال : فأطرق المهــدىّ ساعةً ، ثم أقبل على حمــاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من آستحلافك عليــه ، ثم استحلفه بأيمــان البَيعة وكل يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنّه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بمــا توثّق منه . قال له : آصدُقنى عن حال هــذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهــير ؛ فأقرّ له حينئذ أنه قائلُها[8] ؛ فأمر فيه وفى المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعرا فى الخمر وأجازه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال حدّثنا أحمــد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

قال حمــاد الراوية : أرسل إلىّ أميرُ الكوفة فقال لى : قد أتانى كتابُ أمــير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرنى بحملك . فحُملت فقَدمت عليه وهو فى الصيد، فلما

---

(١) القنة : أعلى الجبــل ، وأراد بها هنا ما أشرف على الأرض . والحجر : موضع بعينه وهو حجر اليمــامة . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول وديوانه : « من » وهى بمعنى مذ . (٣) كذا فى ديوانه . والنحائت : آبار فى موضع معروف . وليس كل الآبار تسمى النحائت . وفى جميع الأصول : «النجائب» وهو تصحيف . (٤) كذا فى ديوانه . وضفوى (بالفتح ثم السكون وفتح الواو والقصر . ورواه ابن دريد بفتحتين) : مكان دون المدينــة . وقد وردت هــذه الكلمة فى جميع الأصول محرفة . (٥) فى ب ، س : «ألاف» . (٦) الضال : الســدر البرّى فان نبت على شطوط الأنهار فهو عبرى . وكأنه أراد بالسدر ما كان غير برى فلذلك عطفه على الضال .

(٧) فى ديوانه : « البداة » . (٨) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : «فأمر له فيه ... الخ» .

رجع أذِن لى، فدخلت عليه وهو فى بيت منجَّد(١) بالأَرْمَنِىّ(٢) أرضُه وحيطانُه؛ فقال لى : أنت حماد الراوية؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك؛ قال : فما بلغ من روايتك؟ قلت : أروى سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها : بانت سعاد؛ فقال : إنها لرواية ! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبّت فى الكأس ثم مزجته حتى رأيتُ له حَبَابا؛ فقال : أنشِدْنى فى مثل هذه؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هى كما قال عدىّ بن زيد :

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْنــةٌ فى يمينها إبـريق
قدّمتْه على سُلافٍ كريح الـ * ـمسك صفّى سُلافَها الرَّاوُوق
فترى فوقها فقاقيعَ كاليا * قوت يَجْرِى خلالَها التصفيق(٣)

قال : فشربها ولم يزلْ يستعيدنى الأبياتَ و يشرب عليها حتى سَكِر؛ ثم قام فتناول مِرْفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : من يَشترى لحومَ البقر؟ ثم قال لى : يا حماد، دونك ما فى البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلْتُه(٤) .

حمقه خلف الأحمر وطعن فى روايته

١٧٤/٥

حدّثنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا دَمَاذ(٥) عن أبى عُبَيدة قال :

قال خَلَف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول، فيقبل ذلك منى و يدخله فى أشعارها . وكان فيه حمق .

---

(١) المنجد : المزين . (٢) لعله يريد به نوعا من الحرير منسوبا إلى أرمن وهى إقليم جبلى من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير . (٣) مر هذا البيت فى ترجمة حماد هذه (ص ٧٧) على غير هذه الرواية . (٤) تأثل المال : اكتسبه . (٥) دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبى عبيدة . ودماذ لقب كان يتبرز به .

أنشد زيادا شعرا للأعشى فيه اسم أمه فغضب

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدىّ قال حدّثنى المِسْوَر العَنَزىّ — وكان من رُوَاة العرب وكان أسنَّ من سِمَاك بن حَرْب — [عن حماد](١) قال :

دخلت على زياد(٢) فقال لى : أنشدْنى؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه :

* بكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً أجمالُها *

قال: فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ فى وجهه؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أَعُد والله إليه . قال حماد : فكنت بعد ذلك إذا آستنشدنى خليفــة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشِــدَه لئلا يكون فى القصــيدة اسم أمّ له أو آبنة أو أخت أو زوجة .

سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَـرّاز عن المدائنىّ قال :

قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : لِمَ سُمّيت الراوية؟ وما بلَغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجرى على ثمانية وعشرين حرفا، أنا أنشدك على كل حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ! هاتِ، فآندفع يُنشد حتى ملّ الوليد، ثم آستخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) هو زياد ابن أبيه، وأمه سمية .

أمر الوليد يوسف ابن عمر بإرساله إليه واستنشده شعرا فى الخمر

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدثنى الحُسين بن محمد بن أبى طالب الدِّينارىّ (١) قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلىّ بمائتى دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملى إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألنى إلا عن طرفَيْه قريش وثقيف ، فنظرت فى كتَابَىْ قريش وثقيف . فلما قَدِمت عليه سألنى عن أشعار بَلِىّ ، فأنشدته منها ما آستحسنه (٢) ؛ ثم قال : أنشدنى فى الشراب — وعنده وجوه من أهل الشام — فأنشدته :

اِصْبَحِ القومَ قهوةً * فى أباريق تُحتذَى
من كُميتٍ (٣) مُدامةٍ * حبّذا تلك حبذا
يترك الأُذْنَ شربُها * أرجُوانًا بها خُذا

فقال : أعدْها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا ؛ قال : ثم حُملنا وطُرحنا فى دار الضِّيفان ، فما أيقظَنا إلا حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشأم يشتُمنى و يقول : فعَل الله بك وفعل ، أنت الذى صنعت بنا هذا .

أنشده الطرماح شعرا فزاد فيه وادّعاه لنفسه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ قال حدّثنى أبو عُبيدة قال حدّثنى يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدّه الطِّرِمّاح قال :

أنشدتُ حمّادا الراوية فى مسجد الكوفة (٤) — وكان أذكى الناس وأحفظَهم — قَوْلى :

(١) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٣١٩ ج ٥) من هذه الطبعة . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ما أحسنته» . (٣) الكميت : الخمر التى تضرب حمرتها إلى السواد .
(٤) هذه الكلمة زيادة عن ب ، سـ ومختار الأغانى وخزانة الأدب .

* بانَ الخليطُ بسُحْرةٍ(١) فتبدَّدُوا *

وهى ستون بيتــا، فسكتَ ساعةً ولا أدرى ما يريد ثم أقبــل علىّ فقال : أهــذه لك؟ قلت : نعم؛ قال : ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها علىّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتًا زادها فيها فى وقته؛ فقلت له : وَيْحَك ! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما ٱطلع عليه أحد؛ قال : قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فَعَلَىّ وعَلَىّ؛ فقلتُ : لله علىّ حِجّة حافيًا راجِلًا إن جالستُك بعد هذا أبدًا؛ فأخذ قبضةً من حَصَى المسجد وقال : لله علىّ بكل حَصاة من هــذا الحصى مائةُ حِجّــة إن كنتُ أبالى؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم ٱنصرفت . قال دَمَاذ : وكان أبو عبيدة والأصمعى يُنشدان بيتَىِ الطِّرِمَّاح فى هذه القصيدة وهما : ١٧٥/٥

مُجتــابُ حُــلّةِ بُرْجدٍ لسَرَاته * قِدَدًا وأخلَفَ ما سواه البُرْجُدُ(٢)
يبــدو وتُضمِره البــلادُ كأنه * سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناس فى هذين [البيتين](٣) .

(١) السحرة (كظلمة) : السحر الأعلى أى أوّل السحر . (٢) هذان البيتان فى وصف ثور . يقال : اجتاب القميص : لبسه . والبرجد : كساء من صوف أحمر؛ وقيل : هو كساء غليظ، أو هو كساء مخطط ضخم يصلح للخباء . وسراته : ظهره . (٣) زيادة عن أ ، ء .

أخبار عَبَادل ونسبه

نسبه ومنزلته من الغناء

عَبَادِل بن عطيّة مولى قريش، مَكِّىّ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التى منها يونُس الكاتب وسِيَاطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه، نظيفَ الثياب ظريفًا، ولم يفارق الحجاز ولا وَفَد إلى ملوك بنى أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَن(١) هو فوقها . ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

صفته، وكان يغنى مشيخة قريش وله صنعة كثيرة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد(٢) عن ابن أبى جَنَاح(٣) قال :

كان عَبَادِل بن عطيـة سَرِيًّا نبيلا نظيفا(٤) ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أحداثها، فإذا أرادوا(٥) الغناء منه غنّى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها :

تقول يا عَمَّتَا كُفِّى جوانبَه * وَيْلِى بَلِيتُ وأَبْلَى جِيدىَ الشَّعَرُ

ومنها :

أمِن حَذَرِ البين ما ترقُدُ * ودمعُك يجرى فما يَجْمُدُ

---

(١) فى حـ : «ومن دونها ومن فوقها» . (٢) كذا فى حـ . والمعروف أن هارون بن محمد يروى عن حماد بن إسحاق وحماد عن أبيه وهذا عن ابن أبى جناح، ولم نعرف لحماد رواية عن ابن أبى جناح مباشرة . وفى سائر الأصول : «حماد بن أبى جناح» وهو خطأ . (٣) ورد هذا الاسم فيما مر من الكتاب مضطربا بين : « ابن أبى جناح » و « ابن جناح » ولم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى . (٤) فى حـ : «ظريفا» . (٥) فى أ، حـ، ى : « فإذا أراد الغناء أو سئل غنى ... الخ » .

ومنها :

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذاقرأتَ صحيفتى فتفهّمِ

ومنها :

قُولَا لنائلَ ما تَقْضِين فى رجلٍ * يَهْوَى هواكِ وما جَنّبتِه[1] آجتَنبا

ومنها :

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِى لديكُمُ * حلالًا بلا ذنبٍ وقتلى محرّمُ

[قال][2] : وكانوا يقولون له : ألا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأبى أنتم، إنما أَنْحَتُه من صخر، ومَنْ أَكْثَرَ أَرْذل .

نسبة هذه الأصوات

صوت

أمن حَذَرِ البَيْنِ ما ترقد * ودمعُك يجرى فما يجمُدُ

دعانى إلى الحَيْنِ فآقتادنى * فؤادٌ إلى شِقْوتى يَعمِد

فلو أنّ قلبى صحا وآرْعَوَى * لكان له عنكمُ مَقْعَد

يَبِيدُ الزّمانُ وحُبّى لكم * يَزِيد خَبالًا وما يَنفَد

الغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة والوسطى عن ابن المكّىّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل .

١٧٦ / ٥ ومنها :

صوت

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذا قرأتَ صحيفتى فتفهّمِ

وعليكَ عهدُ الله إن أنبأتَه * أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

(١) جنبه (بالتضعيف) كتجانبه واجتنبه وتجنبه وجانبه . (٢) زيادة عن ح .

هكذا قال ٱبن هَرْمة، والمغنّون يغنّونه :

وعليكَ عهدُ الله إن أَخبرتَه * أحدًا وإن أظهرته بتكلُّمِ

الشعر لٱبن هَرْمة . والغناء لعَبَادِل .

طلب ابن هرمة بشعره من الحسن ابن حسن خمرا فوشى به إلى الوالى ففرّ هو وصحبه

أخبرنى عمّى(١) قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى عبد الله ابن محمد بن إسماعيل الجَعْفَرىّ عن أبيه :

أنّ حسن بن حسن بن علىّ(٢) كان صاحبَ شراب، وفيه يقول ابنُ هَرْمة :

إنى ٱستحيتُك أن أفوه بحاجتى * فإذا قرأتَ صحيفتى فتفهَّمِ

وعليك عهد الله إن أنبأتَه * أحدًا ولا أظهرتَه بتكلّمِ

قال عبدُ الله بن محمد الجَعْفَرىّ : وكان ابن هرمة — كما حدّثنى أبى — يشرب هو وأصحابٌ له بشَرَف السَّيَالة(٣) عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة(٤) فنفِد شرابُهم، فكتب إلى حسن بن حسن بن علىّ(٢) يطلب منه نبيذا، وكتب إليه بهذين البيتين . فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال : وأنا علىَّ عهدُ الله إن لم أُخبِر به عامل السَّيَالة، أمِنِّى يطلب الدعىُّ الفاعل نبيذا ! وكتب إلى عامل السيالة أن يجىء إليه فجاء لوقته، فقال له : إن ٱبنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فٱخرج فخُذْهم؛

(١) يلاحظ أنه من هذا الموضع الى آخر الترجمة أخبار لابن هرمة وللوابصى ونصيب ولم يرد بها عن عبادل شىء يذكر .

(٢) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما يأتى عدا (ح) فقد أوردته فيما يأتى : «حسن بن حسن بن حسين» . ولا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن على لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذى ولد سنة ٩٠ ﻫ . والصحيح أنها مع ابنه ابراهيم وقد كان ابن هرمة متصلا به وبأخويه . وقد أورد صاحب الأغانى هذه القصة فى أخبار علويه (ج ١٠ طبع بولاق) منسوبة الى ابنه إبراهيم هذا .

(٣) شرف السيالة : منزل بين ملل والروحاء . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ثم راح فتعشى بشرف السيالة وصلى الصبح بعرق الظبية» .

(٤) لم نستطع ضبط هذا الاسم لخلوّ المعاجم التى بين أيدينا منه .

فخرج إليه العامل بأهل السّيالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبقهم هَرَبًا ، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال فى حسن :

كتبتُ إليك أَستَهدِى نبيذًا * وأُدْلِى بالجِوار وبالحقوقِ
فخبّرتَ الأميرَ بذاك غَدْرًا * وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ(١)

ومنها :

صوت

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِى لديكمُ * حلالًا بلا ذنب وقتلى مُحَرَّمُ
لكِ النفس ما عاشت وِقاءً من الرَّدَى * ونحن لكم فيما تجَنَّبتِ(٢) أظلم

وأما صنعته فى :

* قولا لنائلَ ما تَقْضِين فى رجلٍ *

فإن الشعر لمَسْعَدة بن البَخْتَرِىّ(٣) ابن أخى المهلَّب بن أبى صُفْرة . والغناء لعَبَادِل . وقد ذكرتُ ذلك فى موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأن نائلة التى عُنِيتْ(٤) بهذا الشعر هى بنت المَيْلاء(٥) ، ولها أخبار ذُكِرت فى موضع منفرد صَلَحتْ له .

---

(١) الموق : الحمق . (٢) يحتمل أن تكون الرواية فيه : « فيما تجنيت » (بالياء المثناة من تحت) . (٣) كذا فى حـ . وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٢ ص ٧٧ — ٧٨ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول هنا : «لسعيد بن البحترى» وهو تحريف . (٤) فى ب ، سـ : «غنت» وهو تحريف . (٥) كذا فى جميع الأصول . والمعروف أن نائلة التى شبب بها ابن البخترى كما ذكر أبو الفرج هى نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى أحد بنى أسيد (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة وكسرها) بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيدا شريفا ، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج . ولم نجد ذكرا لنائلة بنت الميلاء فى أخبار مسعدة ولا فى موضع آخر من هذا الكتاب .

ومنها :

صـــوت

تقول ياعَمّتَا كُفِّى جوانبَه * وَيْلِى بَلِيتُ وأَبْلَى جِيدِىَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِدِ قد أعيا مَواشطَه * تَضِلُّ فيـه مَدَارِيهـا وتنكسر (١)
فإن نشرْتَ على عَمْد ذوائبَهـا * أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثر

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان و إلى الغَرِيض و إلى عَبادل أيضا . ١٧٧/٥

صـــوت
من المـائة المختـارة

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلَةً (٢) * من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
يكاد بابُك من عِلْمٍ بصاحبه * من دون بَوّابه للناس يَنْـدلِق (٣)

شعران متشابهان لابن هرمة وطريح ابن إسماعيل الثقفى

لإسحاق فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وذكر يحيى ابن على بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُرَيح . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنه لابن هَرْمة . والغناء فى اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر فى مجراها . فمن روى هـذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له

(١) الأساود : الحيات السود، واحدها أسود . والمدارى : جمع مدرى، وهو المشط .
(٢) مسجلة : مبذولة أو مرسلة .
(٣) اندلاق الباب : انفتاحه سريعا وهو مطاوع دلق الباب إذا فتحه فتحا شديدا .

يمدح بها الوليدَ بن يزيد . والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُرَيح والثانى لابن هَرْمة . فبيت طُرَيح من قصيدته التى مدح بها الوليد بن يزيد وهى طويلة، يقول فى تشبيبها :

تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأرحُلِها[1] * ألحقَّ أنّكَ[2] منا اليوم منطلقُ؟
قلتُ نعمْ فٱكظِمى قالت وما جَلَدِى * ولا أظنّ اجتماعًا حين نفترق
فقلت إن أَحْىَ لا أُطوِل بِعادَكُمُ * وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلِقُ[3]
فارقتُها لا فؤادى من تذكُّرها * سالِى الهمومِ ولا حَبْلِى لها خَلَقُ
فاضت على إثْرِهم عيناكَ دمعُهما * كما تَتابَعَ يجرى اللؤلؤ النَّسَق[4]

صوت

فٱستبقِ عينكَ[5] لا يُودِى البكاءُ بها * وٱكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبق
ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ * ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَق

— لإسحاق[6] فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو — يقول فيها فى مدح الوليد :

وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُسْجَلة * من التخلّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفى لا فٱختَصصتَ بها * وطار قومٌ بلا والذمّ فانطلقوا

(١) فى حـ : «بأرحلنا» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : «الحق فإنك» . (٣) كذا فى حـ . وغلق الرهن غلقا (من باب فرح) : استحقه المرتهن . وفى سائر الأصول : «علق» (بالعين المهملة) وهو تصحيف . (٤) النسق : المنظم . (٥) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : «عينيك» . (٦) فى حـ : «لإسماعيل» وهو ابن جامع . وله ولإسحاق يروى عمرو بن بانة .

قومٌ همُ شَرَف الدنيا وسُودَدُها (١) * صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رفَعُوا * أو عاقدوا ضَمِنوا (٢) أو حَدَّثوا صدَقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التى فيها هـذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومِنْ أبى أحمدَ (٣) رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق فى الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله.

ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعباس بن الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثنى به وَكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة — وخبره أتم — قال:

١٧٨/٥ قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك — وكان بخيلا لا يحبّ أن يُعطِى أحدا شيئا — ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتى أجمع ولا تمدحنى! . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان:

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه * من المديح ثوابُ المدح والشَّفَق
يا آبِىَ المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره (٤) * ذو نيقة (٥) فى حواشى شعره أَنَق (٦)
إنك والمدحَ كالعذراء يُعجبها * مسُّ الرجال ويَثْنى قلبَها الفَرَق

(١) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «قوم لهم». (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، سـ: «حكموا». (٣) هو أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم من شيوخ أبى الفرج. (راجع ترجمته فى الحاشية رقم ٣ ص ١٧ من تصدير هذا الكتاب).

(٤) فى حـ: «يخبره». (٥) النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان فى منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ. (٦) كذا فى حـ. والأنق (بفتح النون): الروعة والحسن. وفى سائر الأصول: «من حواشى شعره أنق».

لكنْ بمَدْيَنَ من مفْضَى سُوَيمرةٍ[1] * من لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُقُ
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه * والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

— يعنى عبد الواحد بنَ سليمان —

لا يستقرّ[2] ولا تخفى علامته * إذا القَنا شالَ فى أطرافها الحرَقِ[3]
فى يومِ لا مالَ عند المرء ينفعه * إلا السِّنانُ وإلا الرمحُ[4] والدَّرَق
يَطعن بالرمح أحياناً ويضربهم * بالسيف ثم يُدَانِيهم فيعتنق

وهذا البيت سرقه ٱبن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعًا، فإنهما سبقا إليه .

قال مُهلهل وهو أقدمهما :

أَنْبَضوا[5] مَعْجِسَ[6] القِسيّ وأبرقـ[7] * ـنا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولَا

يعنى أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكالحوهم بها[8] .

وقال زهير — وهو أشرح من الأوّل — :

يطعنُهم ما ٱرتمَوْا حتى إذا ٱطّعنوا * ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقَا

فما ترك فى المعنى فضلًا لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة :

يكاد بابُك من جود ومن كرم * من دون بَوّابه للناس يَنْدلقُ

---

(١) كذا فى حـ ومعجم البلدان (ج ٣ ص ٢٠٢) . ومدين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل . وسويمرة : موضع فى نواحى المدينة . وفى أ ، ء ، م : « مقصى سوتمرة » وفى ب ، سـ : « مقصى سويمرة » . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « لايستفز » .
(٣) شال : ارتفع . والحرق (محركة) : لهب النار . (٤) فى حـ : « وإلا السيف » .
(٥) كذا فى حـ . وأنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . وفى سائر الأصول : « انتضوا » ، وهو تصحيف . (٦) المعجس (كمجلس) : مقبض القوس . (٧) أبرق الرجل : لمع بسيفه . (٨) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ويكالحوهم بالسيوف » .

— ويُروى : « إذا أطاف به الجادون » . و « العافون » أيضا . ويروى : « ينبلق » —

إنّى لأَطْوِى رجالًا أن أزورَهمُ * وفيهمُ عَكَرُ الأنعام والوَرِق[(١)]
طىَّ الثياب التى لو كُشِّفت وُجِدتْ * فيها المَعاوِز[(٢)] فى التفتيش والخِرَق
وأترك الثوبَ يومًا وهْو ذو سَعة * وأَلْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَق
إكرامَ نفسى وأنى لا يوافقنى * ولو ظَمِئتُ فَحُمْتُ المَشْرَبُ الرَّنِق[(٣)]

مدح والى المدينة بعد عبد الواحد بجفاه ثم رضى عنه بشفاعة عبد الله ابن الحسن

قال هارون[(٤)] بن الزيات فى خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان — وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز — فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّية من ثيابه، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه فى كل سنة و يكفى عياله من البُرّ والتمر، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَة، وقال له : هذا لك علىّ ما دمتُ ودمتَ فى الدنيا ، واقتطعه لنفسه[(٥)] وأَنِس به ، وقال له : لستُ بُحوجِك إلى غيرى أبدا . فلما عُزِل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالى مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولى عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل[(٦)] عليه بعبدالله بن الحسن [بن الحسن[(٧)]]، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه .

١٧٩ / ٥

(١) العكر (محركة) : جمع عكرة وهى القطيع الضخم من الإبل ؛ قيل : هى ما فوق خمسمائة من الإبل ؛ وقيل : ما بين الخمسين إلى المائة . والورق : المال من الإبل والغنم .
(٢) كذا فى حـ . والمعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز . وفى سائر الأصول : « العواوير » وهو تحريف .
(٣) الرنق : الكدر .
(٤) هو هارون بن محمد بن عبد الملك الذى ورد فى سند هذا الخبر .
(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « واقتطعه إلى نفسه » .
(٦) تحمل بفلان على فلان : تشفع به إليه .
(٧) زيادة عن حـ .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّيَاشيّ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشيّ — وخبره أتمّ — قال الرياشيّ حدّثني أبو سَلَمة الغِفَاريّ قال قال ابن رُبَيْح[1] راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال :

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألّا أمدح أحدًا غيرَه ، وكان واليًا على المدينة ، وكان لا يدع بِرّي وصلتي والقيامَ بمؤونتي . فلم ينشَب أن عُزِل ووُلّي غيرُه مكانَه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعتني نفسي إلى مدحه طمعًا أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ ، فأُخبِر أنّي مدحت الذي عُزِل به ، فأمر بي فَحُجِبت عنه ، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ ، فلم أَدَع بالمدينة وجهًا ولا رجلا له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلما أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب — صلوات الله عليه وعليهم — فقلت : يآبن رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألّا أمدحَ غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهدًا ، ثم دعاني الشَّرَه والكدّ إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لمّا دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم ؛ قال : كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألّا تستثني في حاجتي فأفعل ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛

(١) في أكثر الأصول هنا : «قال ربيح» . وفي حـ : «قال ربيحة» وكلاهما تحريف (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلتــه؛ قال : فتأذن له أن يُنشــدك؛ قال : تُعفينى من هذه؛ قال : أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشــدته قولى فيه :

وجدنا غالبًـا كانت جنـاحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

قال فغضب عبــد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[1] ثم وثب مُغضَبًا ، وتجوّزت فى الإنشاد ثم لحِقتُــه فقلت له : جزاك الله خيرًا يآبن رسول الله؛ فقــال : ولكنْ لا جزاك الله خيرًا ياماصّ بَظْر أمه ، أتقول لآبن مروان :

* وكان أبوك قادمةَ الجَناح *

بحضرتى وأنا آبن رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — وابن علىّ بن أبى طالب — عليه الســلام — ! فقلت : جعلنى الله فــداك ، إنى قلت قولًا أخدَعُه به طلبًا لدنياه ، والله ماقِسْتُ بكم أحدًا قطُّ . أفلم تسمعنى قد قلتُ فيها :

* وبعضُ القول يذهب بالرياح *

فضَحِك عبد الله وقال : قاتلك الله ، ما أظرفكَ ! .

حائية ابن هرمة فى مدح عبدالواحد

وهذه القصيدة الحائية التى مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً ، وأولُها :

صَرمتَ حبائلًا من حبّ سَلْمَى * لهنــدٍ ما عَمَــدتَ لمُســتراحِ[2]
فإنك إنــ تُقِم لا تلقَ هنــدًا * وإن ترحــل فقلبُــك غيرُ صاحى
يظَــلّ نهــارَه يَهْــذِى بهنــد * ويأرَق ليــلَه حتى الصــباح

١٨٠
٥

(١) الرز : الصوت . وفى جميع الأصول : « زره » وهو تصحيف .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «ما عهدت بمستراح» . وفى ب ، سـ : « ما عهدت لمستراح » .

أعبدَ الواحد المحمودَ إنى * أَغَصُّ حذارَ سخطك بالقَراحِ
فشُلَّتْ رَاحتاىَ وجال مُهْرى * فألقانى بمُشتجَر الرماح
وأقعدنى الزمانُ فبِتّ صِفْراً * من المال المُعزَّب والمُراح
إذا نَخَّمتُ غيرَك فى ثنائى * ونصحى فى المَغيبة وآمتداحى
كأنّ قصائدى لك فآصطنعنى * كرائمُ قد عُضِلن عن النكاح
فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير * فعَنْ غير التطوّع والسماح
ولكنْ سَقْطةٌ عِيبتْ(١) علينا * وبعضُ القول يذهب فى الرياح
لعمرك إننى وبَنى عَدِىٍّ(٢) * ومَنْ يهوَى رشادى أو صلاحى
إذا لم ترضَ عنّى أو تَصِلْنى * لفى حَيْن أعالجه مُتَاح
وإنك إن حطَطتُ إليك رحلى * بغربىّ الشَّراة(٣) لذو ارتياح
هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى * ولم تبخل بناجزة السَّراح
وجَدنا غالبًا خُلقتْ جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح
إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرسًا * وكان سلاحَه دون السلاح
فإنّ سلاحك المعروفُ حتى * تفوزَ بعِرْض ذى شِيَمٍ صِحاح

سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى إبراهيم بن إسحاق العُمَرىّ قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال :

قلت لابن هرمة : أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيرَه فتقول فيه هذا البيت :

(١) كذا فى حـ . وفى ب، سـ : « عيت » . وقد ورد هذا الشطر فى سائر الأصول غير مستقيم المعنى . (٢) بنو عدى : هم قوم ابن هرمة . وعدى هذا : هو عدى بن قيس بن الحارث بن فهر . (٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجـــدنا غالبـا كانت جنـاحا * وكان أبوكَ قادمـــةَ الجنـاحِ

ثم تقول فيها :

أعبـدَ الواحد الميمونَـ[١] إنى * أَغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَـراحِ

فبأى شىء آستوجب ذلك منك ؟ فقال : إنى أخبرك بالقصة لتعذرنى : أصابتنى أزمة[٢] بالمدينة، فآستنهضتْنى بنتُ عمّى للخروج؛ فقلت لها : ويحك! إنه ليس عندى ما يُقلّ جناحى؛ فقالت : أنا أُنهضك بمـا أمكننى، وكانت عندى نابٌ لى فنهضتُ عليها تُهجّد النوّام وتؤذى السمّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس : ابن هرمة! حتى دَفَعتُ إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد فى جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق[٣] عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صـلّى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبـد الواحد، فقمتُ فدنوت منـه وسلّمت عليه؛ فقال لى : أبو إسحاق! أهلا ومرحبا؛ فقلت لَبَّيك، بأبى أنت وأمى! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت : لا تسلنى — بأبى أنت وأمى — فإن الدهر قد أخنى علىّ فمـا وجدت مستغاثا غيرك؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب

١٨١/٥ إنْ شاء الله . فوالله إنى لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنهم الأَشْطان[٤]، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهمَس إليه بشىء دونى ودون أخو يه ؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشىء دونى ثم ولّى، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٥] يحمل عِبئًا من الثياب حتى ضرب به بين يدىّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد،

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « المحمود » وقد اتفقت عليها جميع الأصول قبل هذا الموضع بقليل . (٢) فى حـ : « أصابتنى أزمة وقحمة بالمدينة » . والقحمة السنة الشديدة والقحط . (٣) فى حـ : «ينبلق» . (٤) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل . (٥) ضابط : قوى شديد .

وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ . فقال لى عبد الواحد : ٱدْنُ يا أبا إسحاق ، فإنى أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، نخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا ؛ ودفع إلىّ ألفَ دينار، وقال لى : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتى ضِقتُ؛ فقال لى : تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قَدِّم له جملى فلانًا . فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سرورًا منى بكل ما نِلْته ؛ فهل تلوموني أن أَغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح ! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتًا واحدًا .

مدح المنصور فعاتبه لمدحه بنى أمية ثم أكرمه

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ قال حدّثنى عثمان(١) بن حَفْص الثَّقَفىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين — صلّى الله عليه — قال :

دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس فى دار مروان ، فلما اجتمع الناس قام ٱبن هَرْمة فقال : يا أميرالمؤمنين، جعلنى الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لى فى الإنشاد، قال هاتِ؛ فأنشده قولَه :

* سَرَى(٢) ثوبَه عنك الصِّبا المتخايِلُ *

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ(٣) سريره * إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

فأُمُّ الذى آمنتَ آمنــةُ الرَّدَى * وأُمُّ الذى خوّفتَ بالثُّكل ثاكل

(١) كذا فى حـ . وقد مر فى أكثر من موضع فى الأجزاء السابقة : وفى سائر الأصول هنا : « عمر بن حفص الثقفى » . (٢) سرى عنه الثوب : كشفه . (٣) حفاف الشىء : جانبه .

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك فى هذه الدار قائمًا بين يدى عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه :

وجدنا غالبًا كانت جَناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجَناح

قال : فقُطع بآبن هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق شيئا(١) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرَى عليه منها ما يكفيه ويكفى عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجارى(٢) أن يُجرِيَها عليهم فعل؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن :

ما غَيّرت وجهَه أمٌّ مُهجَّنة * إذا القَتامُ تَغشّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدّثنى يحيى بن على بن يحيى ، وأخبرنا آبن أبى الأزهر وجَحْظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن على فى خبره عن الفضل بن يحيى ، ولم يقله الآخران :

دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين ، إنى قد مدحتك مديحاً

١٨٢ / ٥ لم يمدح أحد أحداً بمثله ؛ قال : وما عسى أن تقول فىّ بعد قول كعب الأشقرىّ(٣) فى المهلّب :

(١) لا يليق شيئا : أى ما يمسكه ولا يلصق به . (٢) كذا فى ب ، س . والظاهر أنه يريد بالجارى الدائم المتصل من الوظائف . وفى سائر الأصول : « الجار » .

(٣) هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب . وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها المهلب ويذكر قتاله الأزارقة . وله ترجمة تقع فى الأغانى (ج ١٣ ص ٥٦ — ٦٤ طبع بولاق) .

براكَ اللهُ حين براكَ بحرًا * وفَجّر منك أنهارًا غِزارًا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا؛ قال : هات، فأنشده قولَه :

له لَحَظَاتٌ عن حِفَافَىْ سَرِيره[1] * إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهدىّ : يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها؛ فقال له المنصور : يا بُنَىّ، إنى قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسَه، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجَى * لمُعْتَرِّ[2] فِهْرٍ ومحتاجِها

ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى * بإلجامها قبلَ إسراجها

أشارت نساءُ بنى غالب * إليكَ به قبْلَ أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها :

أجارَتَنا رَوِّحى نَغْمَةً * على هائم النفس مُهتاجِها

ولا خيرَ فى وُدِّ مُسْتَكرِهٍ * ولا حاجةٍ دون إنضاجها

— يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان — :

كأن قُتودى[3] على خاضبٍ * زَفُوفِ العَشِيّات هَدّاجِها

إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقة * كَسَتْه الملوكُ ذُرَا تاجها

تَحُلُّ[4] الوفود بأبوابه * فتَلْقى الغِنى قبْلَ إرتاجها

بقَرّاع أبواب دور الملو * كِ عندَ التحية وَلّاجها

---

(١) كذا فى حـ هنا وفيما مضى فى جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : « فى » .

(٢) المعتر : الفقير والمتعرض للعروف من غير أن يسأل . (٣) القتود : جمع قتد وهو خشب الرحل . والخاضب : ذكر النعام . وزفوف : حسن المشى سريعه . والهدّاج : الذى فى مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش .

(٤) فى س : « تحلى » وهو تحريف .

إلى دار ذى حسبٍ ماجدٍ * حَمُــول المَغارم فَرّاجهــا
رَكُودِ[(١)] الجِفان غداةَ الصَّــبا * ويومَ الشَّمال و إرهاجِهــا[(٢)]
وقفتُ بمَدْحِيه عنــد الجِما * رِ[(٣)] أُنشده بين حُجّاجهــا

دس المنصور اليه من يسمع منه مدحه لعبد الواحد فقطن لذلك وأنشده من شعره فى المنصــور وأخذ جائزته

أخبرنى محمــد بن جعفر النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحىّ قال حدّثنى محمد بن سليمانَ[(٤)] بن المنصور قال :

وجّه المنصور رسولًا قاصــدا إلى ٱبن هرمة ودفع إليــه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنك تراه جالسًا فى موضع كذا من المسجد ، فانتسبْ له إلى بنى أمية أو مواليهم، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التى يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

فإذا أنشــدكها فأخرجه من المســجد وٱضرب عنقَه وجئنى برأســه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التى يمدحنى بها فٱدفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال : فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليــه واستنشده قصيدته فى عبد الواحد؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياى مَنْ يُعادينى ،ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده : ١٨٣ / ٥٠

* سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ *

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أمــير المؤمنيــن بدفعــه إلىّ ؛ فقال : أىّ شىء تقول يا هذا وأىّ شىء دَفع إلىّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك ، فوالله

(١) الركود من الجفان : الثقيل المملوء . (٢) الإرهاج : الإمطار . (٣) الجمار : اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث . (٤) فى جـ : « محمد بن سليمان المنصور » .

ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إلىّ، وأمرك أن تسألنى عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنق وحملتَ رأسى إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمرى؛ ودفع إليه الألف الدينار والخلعة . فما سمعنا بشىء أعجب من حديثهما .

استقل المهدى على المنصور جائزته له فأجابه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثنا عمّى عن جدّى قال :

لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللامية التى مدحه بها أمر له بألف(1) درهم ؛ فكلّمه فيه المهدىّ واستقلّها ؛ فقال يا بُنى ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدى عبد الواحد بن سليمان يُنشده :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللته ، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إنى يا بُنىّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبى إلى ضده حتى أهُمّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهدىّ .

بعض شعره الذى يغنى فيه

ومما يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة فى عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغى من ذكر الأبيات ، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتًا لغيره :

صــــوت

ولما أنْ دنا منّا ارتحالٌ * وقُرِّب ناجياتُ السيرِ كُومُ(2)

تَجاسَرَ واضحاتُ اللون زُهْرٌ * على ديباج أوجهها النعيم

(1) فى أ ، ء : « بألفى »

(2) الناجيات : النوق السريعة تنجو بمن ركبها . والكوم : النوق الضخمة السنام .

أَتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا * لدَى أكوارها خوصٌ هُجُومُ(١)
فكم من حُرَّة بين المُنَقَّى(٢) * إلى أُحُدٍ إلى ما حاز رِيمُ(٣)

ويروى :

* فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى(٤) *

وهو أجود .

إلى الجَمَّاء(٥) من خدٍّ أَسيل * نقيِّ اللون ليس به كُلُومُ
كأنّى من تذكُّرِ ما ألاقى * إذا ما أظلم الليلُ البهيمُ
سَلِيمٌ مَلَّ منه أقربوه * وأسلمه المُداوِى والحميمُ

ذكر الزُّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبى المِنْهال نُفَيلة(٦) الأشجعىّ . قال(٧) : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنه لمَعْمَر بن العَنْبر(٨) الهُذَلىّ . والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء، والخوص : ضيق العين وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوما : غارت ودخلت فى موضعها . (٢) المنقى : طريق بين أحد والمدينة . (٣) الريم : (بالكسر والهمز وبهمل) : واد لمزينة قرب المدينة . (٤) الذى فى المعاجم : الأقرع (بالإفراد) وهو جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر . وقد تقدّم غير مرة أنه يسوغ فى الشعر أن يجىء اسم المكان مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية والكل واحد . (٥) الجماء : جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (بضم الجيم وسكون الراء)؛ وقيل : هى إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة . وقيل : الجماوات ثلاث بالمدينة : جماء قضارع التى تسيل على قصر أم عاصم وبئر عروة ، وجماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وجماء العاقر وبينها وبين جماء أم خالد فسحة وهى تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها . (٦) فى أ ، ء هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول ما عدا ب ، س : «بقيلة» (بالباء والقاف) . (٧) كلمة «قال» ساقطة فى حـ . (٨) فى حـ : «العنبرى» . ولم نوفق لترجيح إحدى الروايتين .

مخفوضة الميم، ولمّا غُنِّيَ فيها وفى أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيِّر إلى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التى أولها :

أجارتَنا بذى نَفَر[(١)] أقيمى * فما أَبكى على الدهر الذميم
١٨٤/٥ أقيمى وجهَ عامك ثم سِيرى * بلا واهى الجوار ولا مُلِيم
فكم بين الأقارع فالمُنقَّى * إلى أُحُدٍ إلى أكناف رِيم
إلى الجمّاء مِنْ خدٍّ أسيلٍ * نقىّ اللون ليس بذى كُلوم
ومن عينٍ مكحَّلة الأماق * بلا كُحْل ومن كَشْح هَضيم
أرِقتُ وغاب عنّى من يلوم * ولكنْ لم أَنَمْ أنا للهموم
أرِقتُ وشفّنى وَجَعٌ بقلبى * لزينبَ أو أُميمةَ أو رَعُوم
أقاسى ليلةً كالحَوْل حتى * تبدّى الصبحُ مُنقطعَ البَرِيم[(٢)]
كأنّ الصبح أبلقُ فى حُجُول * يَشُبّ ويتّقى ضربَ الشَّكيم
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا * روائعُه بحجة مستقيم
إذا ناكرتُه ناكرتُ منه * خصومةَ لا أَلدَّ ولا ظَلُوم
وودّعنى الشباب فصِرتُ منه * كراضٍ بالصغير من العظيم
فدَعْ مالا يُرَدّ عليك شيئًا * من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقُلْ قولا تُطَبِّق[(٣)] مفصِلَيْه * بِمِدْحة صاحب الرأى الصَّروم[(٤)]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وذو نفر (بالتحريك ، ويروى بالسكون) : موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الربذة ، وقيل : خلف الربذة بمرحلة فى طريق مكة . وفى حـ : «بذى بقر» . وذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة . وذو نفر وذو بقر متقاربان .

(٢) البريم : ضوء الشمس مع بقية سواد الليل . (٣) تطبق مفصليه : تصيب فيه الحجة ، وأصله : إصابة المفصل وهو طبق العظمين أى ملتقاهما فيفصل بينهما . (٤) الصروم : القاطع .

لعبد الواحد الفَلْجُ(١) المعلَّى * علا خُلُقَ النُّفُورة(٢) والخُصومِ
دعتـه المَكْرُماتُ فناولتـه * خِطامَ المجد فى سِنّ الفَطِيم

وهى طويلة . فمن الأبيات التى فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت فى هذه القصيدة ، وإنما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنِّى فيها . وأما أبيات نُفيلة فما بقى من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه :

يُضىء دجى الظلام إذا تبدَّى * كضوء الفجر منظرَه وَسيمُ
وقائلةٍ ومُثْنيـةٍ علينـا * تقول وما لهـا فينا حميم
وأُخرى لُبُّهـا معنا ولكنْ * تَصَبَّرُ وهى واجمةٌ كظوم
تَعُـدّ لنا الليـالى تحتصيها * متى هو حائنٌ منه(٣) قُدوم
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها(٤) * تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجوم

والغناء فى هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ آبن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثانى ينسب إلى الوابِصىّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

الوابصى وأخباره

وهذا الوابصىّ هو الصَّلْت بن العاصى بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله آبن عمرو بن مخزوم . كان تنصّر ولحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز — فيما ذُكر — حدّه فى الخمر، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك، ومات هنالك نصرانيا .

حدّه عمر بن عبد العزيز فى الخمر فذهب إلى بلاد الروم وتنصر ومات نصرانيا

(١) الفلج : الظفر والغلب . (٢) نفورة الرجل : نافرته وهى أسرته وفصيلته التى تغضب لغضبه .
(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « منا » . (٤) فى حـ : « يوما » .

رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذى ذهب الى الروم لفك الأسرى

فأخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزبير ابن بكّار قال حدثنى عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرنى ابن العلاء[1] — أظنه أبا عمرو أو أخاه — عن جُوَيرِيَة بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وأخبرنى ١٨٥/٥ أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا سعيد بن عامر[2] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدىّ فى خبره : إن إسماعيل حدّث : أن عمر بن عبد العزيز بَعث فى الفِداء . وقال عمر بن شَبّة : إن إسماعيل حدّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذى جاء من القسطنطينية فحدّثه قال : بينا أنا أَجُول فى القسطنطينية إذ سمعت رجلا يغنّى بلسان فَصيح وصوت شَجٍ :

فكم من حُـرَّة بين المُنَقَّى * إلى أُحدٍ إلى جَنَباتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلما سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربيّة فى ذلك الموضع . فدنوت من الصوت، فلما قرُبت منه إذا هو فى غرفة، فنزلت عن بغلتى فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفَاه يغنّى هذين البيتين[3] لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرَغ بكى فيبكى ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مرارا؛ فقلت : السلام عليكم؛ فوثب وردّ السلام؛ فقلت : أَبْشر فقد فَكّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بنِ عبد العزيز إلى هذا الطاغية فى فداء

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ابن أبى العلاء»، وهو تحريف .

(٢) هو سعيد بن عامر الضبعى (بضم المعجمة وفتح الموحدة) أبو محمد البصرى وهو ابن أخت جويرية بن أسماء وعنه يروى . وقد ورد فى حـ : «سعيد بن عامر بن جويرية ... الخ» . وورد فى سائر الأصول : «سعيد بن عباس»، وكلاهما تحريف . (٣) يلاحظ أن الذى تقدم بيت واحد .

الأسارى . ثم سألته : من أنت؟ فقال : أنا الوابصىّ، أُخذت فعُذّبت حتى دخلت فى دينهم؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإلىّ إن لم تكن دخلتَ فى الكفر؛ فقال : قد والله دخلت فيه؛ فقلت : أَنْشُدك اللهَ إلّا أسلمتَ؛ فقال : أأُسلم وهذان ابناى وقد تزوّجت ٱمرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لى يا نصرانىّ وقيل مثل ذلك لولدىّ وأمهما! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئا للقرآن فما بقى معك منه؟ قال : لا شىء إلا هذه الآية ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنك لا تُعيَّر بهذا؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير؟ فقلت : سبحان الله! أمَا تقرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ فجعل يُعيد علىّ قولَه : فكيف بما فعلت! ولم يجبنى إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهم لا تمتنى حتى تمكننى منه . قال : فوالله مازلت راجيا لإجابة دعوة عمرَ فيه . قال جويرية فى حديثه : وقد رأيت أخا الوابصىّ بالمدينة .

لقيه رجل بصرى فأخبره أن سبب تنصره عشقه لامرأة منهم

وقال يعقوب بن السِّكِّيت فى هذا الخبر . أخبرنى ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت ٱسمَه قال :

نزلنا فى ظلّ حصن من الحصون التى للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن :

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى * إلى أُحُدٍ إلى ميقات رِيم
إلى الزَّوْراء(١) من ثغر نَقِىٍّ * عوارضه ومن دَلٍّ رخيم
ومن عين مُكَحَّلة الأماقى * بلا كُحْلٍ ومن كَشْحٍ هضيم

(١) الزوراء : اسم يطلق على أكثر من موضع . والظاهر أنه يريد بها هنا موضعا عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة فى البيت السابق .

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي، فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس. فقلت: مَن الرجل وما قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها، فقالت: إن دخلتَ في ديني لم أخالفك، فغلب عليّ الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: أكنتَ تقرأ القرآن؟ فقال: إي والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شيء إلا قوله عزّ وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قلت: فهل لك أن نُعطِيَهم فداءك(١) وتخرج؟ قال: ففكّر ساعة ثم قال: انطلقْ صَحِبك الله.

١٨٦/٥

بعض ما ورد في شعر ابن هرمة من الأخبار

ومما في الأخبار من شعر ابن هرمة:

صـــوت

من المـائة المختارة

في حاضرٍ لَجِبٍ بالليـل سامرُه(٢) * فيـه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ
وخُرّدٍ كالمَهَـا حُور مدامعُها * كأنهـا بين كُثْبان النَّقا البَقَر

الشعر لابن هرمة. والغنـاء في اللحن المختار لحُنين، ولحنـه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأول أيضا. وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبرا فأذكره.

(١) في حـ: «أن نعظم لهم فداءك».

(٢) الحاضر: الحي العظيم. والسامر: المتسامرون. والعكر: جمع عكرة (محركة) وهي القطعة من الإبل، قيل: ما فوق خمسمائة، وقيل: ما بين الخمسين إلى المائة.

صـــوت

من المـائة المختارة

بزينب أَلْمِمْ قبل أن يرحل الركبُ * وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملَّكِ القلبُ

وقل فى تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنما * عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما له عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء فى اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامىّ وَدَنانِيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشامىّ .

بعض أخبار لنصيب

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

ذكر عن نفسه أنه قال شعرا فعلم أنه شاعر

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنا عمى الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن ابن كُناسة قال :

قال نصيب : ما توهمت أنى أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ *

سمع جميل وجرير من شعره فتمنيا لو أنهما سبقاه إليه

أُخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامىّ عن محمد بن مَعْن الغِفارىّ قال أخبرنى ابن الربيح (١) قال :

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة (٢) ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكون سَبقتُ الأسود إلى قوله :

---

(١) كذا فى أ ، ء . وفى ب ، سـ : « الذبيح » . وفى حـ ، م : « الزبيح » ، وكلاهما تحريف . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هـذه الطبعة) .

(٢) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة من بلاد نجـد . وقيل : هى صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية المعروف ، يليه أمراء المدينة و ينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة .

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

أحبُّ إلىّ مِنْ كذا وكذا — لشيءٍ قاله عظيم —

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى سعيد بن عمرو عن حَبيب بن(١) شَوذب الأَسَدىّ قال :

مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَى ونحن بضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لَأَنْ أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إلىّ من كذا وكذا ؛ يعنى قولَه : ١٨٧/٥

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

أنشده الكميت من شعره وبكى

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق الموصلى عن ابن كُناسة قال :

اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب فى الحمّام ، فقال له الكميت : أنشدنى قولك :

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّى أحفظها ، أفأُنشدك إياها ؟ قال نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكى .

كان مع زوجته فمر به ابن سريج يتغنى بشعره فيها فلامته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبى قالا(٢) حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبى الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنا لبِمِنًى إذ نظرتُ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حبيب بن شوذب » . والمعروف بابن شوذب هو عبد الله أبو عبد الرحمن البلخى ، وقد تقدّم فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

(٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « قال » . وهو تحريف .

إلى أبنيــة مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أَدْرِ لمن هى ، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنــه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان :

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فرأيت الســوداء تخبط الأسود وتقــول له : شهّرتنى وأذعت فى النــاس ذكرى(١)؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق فى خبره : وكان الذى اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

كان ابن سريج يغنى لنسوة فى شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال](٢) نُصيب : والله إنى لأسير على راحلتى إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ(٣) قولى :

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

وإذا معهنّ ابن سُرَيج؛ فقلن له : يا أبا يحيى، غَنِّنا فى هذا الشــعر، فغناهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أن نُصــيبا معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحــرّكتُ بعيرى لأتعرّف بهنّ وأُنشــدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إلىّ فقالت حين رأتنى : والله لقد زعموا أن نُصــيبا يشبه هذا الأسود لاجَرَم؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ . قال : وكان الذى تغنى به ابنُ سُرَيج من شعرى :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ * وقُــل إن تَمَلّينا فمـا ملَّك القلبُ
وقُلْ إن تُنَــلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ * فمـا مثلُ ما لُقِّيت من حُبكم حب
وقل فى تَجَنّيهـا لكَ الذنبَ إنمـا * عتابكَ من عاتبتَ فيما له عَتْب

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فكرى» ، وهو تحريف . (٢) التكملة عن حـ .
(٣) فى الأصول : « يتناشدون » وهو تحريف .

فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالمـًا * لذى ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ

سـأله جد جمال بنت عون أن ينشـده قصيدته فى زينب فأنشده

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العـلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم ابن عبد الله السَّعْدى(١) عن جدّته جَمَال بنت عَوْن عن جدّها قال :

قلت للنُّصَيب : أنشدنى يا أبا مِحْجَن من شعرك شيئا؛ فقال: أيَّه تريد؟ قلت: ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أو تقترحَ ما تريد؛ فقلت : قولك :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ *

قال : فتبسّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأنا غلام ؛ ثم أنشدنى القصيدةَ . قال الزبير : وهى أجود ما قال .

لامه عمـر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجازه فأجازه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدَائنى عن أبى بكر الهُـذَلِىّ قال حدّثنى أيوب بن شاس ، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهـذلى عن أيوب بن شاس — وروايتـه أتم من رواية عمر بن شَـبّة — قال أيوب : حدّثنى عبد الله بن سعيد :

١٨٨/٥

أن النصيب دخل على عمر بن عبـد العزيز لمـّا ولى الخلافة ؛ فقال له : هِيـه يا أسـود :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقُـلْ إن تَمَلِّينا فـما ملَّكِ القلبُ

أأنت الذى تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ! فقـال : يا أمير المؤمنين ، إنى قـد تركت ذلك وتُبْت من قول الشـعر ، وكان قد نَسَـك؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولا

---

(١) فى ب ، س : « السعيدى » .

جميلا(١)، فقال له : أمّا إذْ أثنى عليك القوم فسَلْ حاجتَك؛ فقال : يا أمير المؤمنين، لى بُنَيّاتٌ سويداوات أرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البيضان، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل .

رأى عثمان بن الضحاك امرأة فتمثل بشعره فى زينب فكانت هى وأخبرته أنه آت لزيارتها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمد بن المؤمّل ابن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزامى قال :

خرجت على بعير لى أريد الحج، فنزلت فى فِناء خيمة بالأبواء(٢)، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيدها؛ فآستاهانى حسنُها، فتمثّلتُ قولَ نُصيب :

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ * وقل إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر؟ قلت : نعم، ذاكِ نصيب؛ قالت: أفتعرف زينبَ هذه؟ قلت : لا؛ قالت : فأنا والله زينبُه، وهو اليومُ الذى وعدنى فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترحل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريبًا منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتْ عليه؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتى فشددتُ عليها؛ فقال : على رِسْلك، أنا معك؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه؛ فقال لى : كأنك قلت فى نفسك كذا وكذا؛ قلت : قد كان ذاك؛ فقال لا، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأثنى عليه القوم خيرا وقالوه فيه فقال ... الخ » .

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع (بضم الفاء وسكون الراء) من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . وقيل : هى جبل على يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم .

شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبو ربيعة :

لو لم تكن هذه القصيدة :

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

لُنصيب، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر آمرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ! قلت : ما شأنُك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لى مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من آتفاقكما .

منقذ الهلالى وطربه بشعر نصيب

قال هارون وحدّثنى حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفى عن رجل سمّاه قال :

أتانى مُنقذ الهلالى ليلةً وضرب علىّ البابَ، فقلت : من هذا؟ فقال : منقذ الهلالىّ؛ فخرجت فزِعا، فقلت : فيم السُّرَى(1) — أى ما جاء بك تسرى إلىّ ليلا — فى هذه الساعة ؟ قال : خير، أتانى أهلى بدجاجة مشويّة بين رغيفين، فتغذّيت(2) بها معهم، ثم أُتيتُ بقنّينة نبيذ قد التقى طرفاها، فشربتُ وذكّرت قول نُصَيْب :

* بزينب ألِمْ قبل أن يَرحلَ الرّكبُ *

فأنشدتُها فأطربَتْنى، وفكّرت فى إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا ؟ ! قال : لا، وآنصرف .

قال حماد : معنى قوله «التقى طرفاها» أى قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء فى الصفاء .

١٨٩ / ٥

وممّا يُغنَّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه :

---

(1) كذا فى حـ . وفى أ ، ى ، م : «فما السرى أى ما جاء بك ... الخ» وفى ب ، سـ : فما السر الذى جاء بك ... الخ» .
(2) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فتغديت» (بالدال المهملة) .

صـــــوت

خليلىّ من كَعْبٍ ألِمّا هُدِيتُما * بزينب لا يَفْقِدْكُما أبدًا كعبُ
مِنَ اليـومِ زُوراها فإن رِكابَنا * غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ

الغناء لمـالك خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صـــــوت

من المـائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه :

النَّشْرُ مِسكٌ والوجـوهُ دنا * نيرٌ وأطـرافُ الأكفّ عَنَمْ
والدار وَحْشٌ والرسـوم كما * رَقَّش فى ظهـر الأَديم قَـلَم
لستُ كأقـوام خلائقُهـم * نَثُّ أحاديث وهتـكُ حُرَم

ــ نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر، وقيل : بل هو دود أحمر كالأسَاريع (١) يكون فى البقل فى أيام الربيع . والأديم : الجلد . وجلد كل شىء أديمه . ورقَّش : زين ــ الشعر لمرقّش الأكبر (٢)، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر فى مجراها .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «كالتساريع» . ولعلها مصحفة عن «اليساريع» وهى بمعنى الأساريع . (٢) هـذا الشعر من قصيدة للرقش يرثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك ابن ضبيعة ، قتله مهلهل فى ناحية التغلبين ، وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلا من تغلب يقال له عمرو بن عوف . وقد وردت هذه الأبيات فى المفضليات (ص ٤٨٤ — ٤٩٢ طبع أوربا) على غير هذا الترتيب و باختلاف يسير .

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقرابته للرقش الأصغر

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله :

الدار وَحْشٌ والرسومُ كما * رقَّش فى ظهر الأديم قَلَمْ

وهو أحد من قال شعرا فلُقِّب به . واسمه — فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانى — عمرو . وقال غيره : عَوْف[1] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن[2] ابن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يهوى ابنةَ عمه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة ، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخى المرقش الاكبر . واسمه — فيما ذكر أبو عمرو — ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك . وهو أيضا أحد المتيَّمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك و يتشبّب بها . وكان للمرقِّشين جميعا موقعٌ فى بكر بن وائل وحروبِها مع بنى تغلب ، و بأسٌ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّم فى المَشَاهد ونكايةٌ فى العدوّ وحسنُ أثر .

عوف بن مالك المعروف بالبرك

وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل . وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل ، أفى كل يوم فرار! ومَحْلوفى[3] لا يمرُّ بى رجل من بكر بن وائل منهزماً إلّا ضربتُه بسيفى . و بَرَكَ يقاتل ؛ فسمِّىَ البُرَكَ يومئذ .

عمرو بن مالك وأسره لمهلهل

وكان أخوه عَمْرو بنُ مالكٍ أيضا من فُرْسان بكر ، وهو الذى أَسَر مُهلهلا ، التقيا فى خَيْلين من غير مُزَاحفة فى بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلب ، فى موضع يقال له نقاَ

(١) قيل سمى عوفا باسم عمه والد أسماء التى كان يهواها و يتشبب بها . (راجع المفضليات) .

(٢) كذا فى حـ وقد صححها الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) . وفى سائر الأصول : « الحصين » وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٤٧ ، ٤٨) .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أما ومحلوفى » .

الرَّمْل ، فآنهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسَره فانطلق به إلى قومه ، وهم فى نواحى هَجَر(١)، فأحسَنَ إسارَه . ومرَّ عليــه تاجر يبيع الخمر قــدِم بها من هجر ، وكان صديقا لمهلهل يشترى منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر؛ فاجتمع إليه ١٩ ٥ بنو مالك فنحروا عنده بَكْرًا وشربوا عند مهلهل فى بيته — وقــد أفرد له عمرٌو بيتا يكون فيه — فلما أخذ فيهمُ الشّرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ؛ فسمع ذلك عمرٌو بن مالك فقــال : إنه لريّانُ ، والله لا يشرب ماءً حتى يَرِد رَبِيبُ — يعنى جملًا كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدَّهاس(٢) من أجواف هجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عشر فى حَمارّة القَيْظ — فطلبت رُكْبانُ بنى مالك ربيباً وهم حِراص على ألّا يُقتَل مهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا . ونحر عمرو بن مالك يومئذ نابًا فأسرج جلدها على مهلهــل وأخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُجَلِّل(٣) أحدِ بنى تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير؛ فقال يذكرها :

ظَبْيةٌ ما ابنةُ المجلِّل شَنْبا(٤) * ءُ لَعُوب لذيذةٌ فى العِناقِ(٥)

فلمــا بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبَنَّقَةُ القيسىّ أحدُ بنى قيس ابن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول — وكان مُحَمَّقا وهو الذى تَضْرِب به العربُ المثلَ

(١) هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . والظاهر أنه يريد به هنا هجر التى قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمســة عشر يوما على الإبل لقربها من ديار بكر وتغلب . (٢) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . (٣) كذا فى الطبرى وفيما مر فى أكثر الأصول من الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١) . وفى ب ، سـ هنا وفيما مر من الجزء الخامس وهامش الطبرى : «المجلل» (بالجيم) . وفى سائر الأصول هنا غير ب ، سـ : «المجالد» . (٤) الشنباء : التى فى أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة . (٥) رواية هذا البيت فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١) :

طفلة ما ابنة المحلل بيضا * ءُ لعوب لذيذة فى العناق

فى الحمق — : لا يكون لى جمل أبدًا إلا سميتُه رَبِيبًا (يعنى أن ربيبا كان مباركا لقتله مهلهِلا) . ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبي وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميّة التى فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها فى مَرْثِيَة ابن عم له . وفيها يقول :

بل هل شجَتْك الظُّعْن[1] باكرةً * كأنها[2] النخيلُ من مَلْهَم[3]

عشق المرقش أسماء بنت عوف وخطبها فزوجها أبوها فى بنى مراد فى غيبته

قال أبو عمرو — ووافقه المفضّل الضبى — : وكان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشِق ابنة عمه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك، وهو البُرَك، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أزوّجك حتى تُعرَف[4] بالبأس — وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن — وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زمانًا ومدحه فأجازه . وأصاب عوفًا زمانٌ شديد، فأتاه رجل من مُراد أحدُ بنى غُطَيْف[5]، فأرغبه فى المال فزوّجه أسماءَ على مائةٍ من الإبل، ثم تنحّى عن بنى سعد ابن مالك . ورجع مرقش، فقال إخوته : لا تخبروه إلّا أنها ماتت، فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفُّوها فى مِلْحَفة ثم قبَروها . فلما قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتَوْا به موضعَ القبر، فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ ٱختصما فى كعب، فقال أحدُهما : هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء . فكشَف مرقّش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضَنِيَ ضَنًا شديدا — فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادىّ أسماء،

أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادى رحل إليها ومات عندها

---

(١) الظعن : النساء بهوادجهن . (٢) فى المفضليات : « كأنهن النخل ... » .

(٣) ملهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل . (٤) فى المفضليات : « حتى ترأس » أى تكون رئيسا . (٥) كذا فى حـ والمفضليات . وغطيف : بطن من مراد، وهم بنو غطيف بن ناجية بن مراد . وفى سائر الأصول : «عطيف» (بالعين المهملة) وهو تصحيف .

فدعا مرقِّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة(١) كان عَسِيفًا(٢) لمرقِّش، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المرادىَّ [عليها](٣) فأحضره إياها، فركبها ومضى فى طلبه، فمرض فى الطريق حتى ما يُحمَل إلا معروضًا . و إنهما نزلا كهفًا بأسفل نَجْران ، وهى أرض مراد ، ومع الغُفَلىّ(٤) امرأتُه وليدةُ مرقِّش؛ فسمع مرقِّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقمًا وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعًا . فجعلت الوليدةُ تبكى من ذلك؛ فقال لها زوجها : أطيعينى ، و إلا فإنى تاركُك وذاهب . قال : وكان مرقِّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملةَ — وكانا(٥) أحبَّ ولده إليه — إلى نَصرانىّ من أهل الحِيرة فعلّمهما الخطَّ . فلما سمع مرقِّش قولَ الغُفَلىّ(٤) للوليدة كتب مرقِّش على مُؤَخَّرة الرحل هذه الأبيات : ١٩١ / ٥

يا صاحبىّ تَلَبَّثا لا تعجَلا * إنّ الرواح رهينُ ألّا تفعَلا(٦)
فلعلّ لُبثَكما يُفرِّط سَيِّئا(٧) * أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْباً مُقْبِلا(٨)

(١) فى أكثر الأصول : «عقيلة» . وفى حـ : «عقيل» (بالعين المهملة والقاف) . وفى تجريد الأغانى : «عميل» (بالفاء) . والتصويب عن المفضليات وكتاب المعارف والقاموس . وغفيلة : حى من ولد عمرو بن قاصد ولهم عدد بالجزيرة فى بنى تغلب . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى والمفضليات . والعسيف : الأجير والعبد المستعان به . وفى سائر الأصول : «عشيقا» وهو تصحيف .
(٣) زيادة عن حـ . (٤) فى الأصول هنا وفيما يأتى : «العقيلى» والتصويب عن المفضليات .
(٥) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول والمفضليات وتجريد الأغانى : «وكان ... الخ» .
(٦) فى هذا البيت عدة روايات ذكرها ابن الأنبارى شارح المفضليات . (ص ٤٥٨ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت) . (٧) كذا فى المفضليات ولسان العرب مادة «فرط» . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرّفة . (٨) قال صاحب المفضليات فى التعليق على هذا البيت : «قال أبو عكرمة : يفرط : يقدّم، مأخوذ من الفارط وهو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء والأرشية والحياض . يقول : لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروها . ولعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما، فانتظاركما أوفق . قال : وقال أبو عمرو : الإفراط : التقدّم والعجلة ، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما و إن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما» .

يا راكبًا إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ * أَنَسَ بنَ سعدٍ (١) إن لَقِيتَ وحَرْمَلا

لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما * إن أفلتَ العَبْدانِ (٢) حتى يُقتَلا

مَنْ مُبْلِغُ الأقوامِ أنّ مرقِّشًا * أضحى على الأصحاب عبئًا مُثْقَلا (٣)

وكأنما تَرِدُ السباعُ بِشِلْوه * إذْ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعةَ مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَلِىّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ الأبيات ؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب فى طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ (٤) ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشا كان فى الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلما بَصُر به قال له : من أنت وما شأنُك؟ فقال له مرقِّش : أنا رجل من مُراد ، وقال للراعى (٥) : من أنت ؟ قال : راعى فلان ، و إذا هو راعى زوج أسماءَ . فقال له مرقِّش : أتستطيع أن تكلِّم أسماء امرأةَ صاحبِك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتينى جاريتُها كلَّ ليلة فأحلُب لها عنزًا فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمى هذا ، فإذا حلبتَ فألقه فى اللبن ، فإنها ستعرفه ، و إنك مُصيبٌ به خيرًا لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك . فأخذ الراعى الخاتم . ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيّتَها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ؛ فقالت للجارية :

---

(١) أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقش . (٢) فى المفضليات : «إن أفلت الغفلى ... الخ» .

(٣) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت وقبل الأخير بيتا وهو :

ذهب السباع بأنفه فتركنه * أعثى عليه بالجبال وجيئلا

و يعنى بالأعثى : الضبعان وهو ذكر الضباع . والجيئل : الأنثى .

(٤) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «هم» وهو تحريف .

(٥) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « قال فراعى من أنت » .

ما هذا الخاتم؟ قالت: مالى به علم؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو فى شَرَفٍ(١) بنَجْران؛ فأقبل فَزِعًا، فقال لها: لِمَ دعوتِنى؟ قالت له: ادْعُ عبدَك راعىَ غنمك فدعاه؛ فقالت: سَلْه أين وجد هذا الخاتم! قال: وجدتُه مع رجل فى كهف خُبّان(٢). — قال: ويقال كهف جبار — فقال: اطرحه فى اللبن الذى تشرب به أسماء فإنك مصيبٌ به خيرا، وما أخبرنى مَنْ هو، ولقد تركته بآخر رَمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأَعْجِل السّاعةَ فى طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طَرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سَرى ليلًا خيالٌ من سُلَيْمَى * فأرّقنى وأصحابى هُجُودُ
فبِتّ أُدير أمرى كلّ حالٍ * وأذكر أهلَها وهمُ بعيد
على أنْ قد سما طَرْفى لنارٍ * يُشَبّ لها بذى الأرْطَى(٣) وَقود
حَوَالَيها مَهًا بِيضُ التّراقِى(٤) * وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود ١٩٢/٥
نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيشٍ * أوانسُ لا تروح(٥) ولا تَرُود
يرُحْن معًا بِطاءَ المشى بُدًّا(٦) * عليهنّ المجاسد والبُرُود
سَكنّ ببلدة وسكنتُ أخرى * وقُطِّعتِ المواثقُ والعهود
فما بالى أَفِى ويُخان عهدى * وما بالى أُصاد ولا أَصيدُ

(١) فى المفضليات: «شرب» جمع شارب. (٢) فى الأصول: «جبان» (بالجيم) وهو تصحيف. والتصويب عن كتاب معجم ما استعجم ومعجم البلدان وشرح المفضليات.
(٣) الأرطى: شجر ينبت بالرمل وهو شبيه النصى، ينبت عصيا من أصل واحد و يطول قدر قامة، وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة. (٤) فى المفضليات: «جم التراقى». يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها. (٥) فى المفضليات: «لا تراح». (٦) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.

ورُبَّ أسيلة الخدّين بكرٍ * مُنعَّمةٍ لها فرعٌ وجِيد (١)
وذو أُشُرٍ(٢) شَتِيتُ النبت عذبٌ * نقىُّ اللون بَرّاقٌ بَرود
لهوتُ بها زماناً فى شبابى(٣) * وزارتها النجائب والقَصيد
أُناسٌ كلّما أخلقت وصلاً * عنانى منهمُ وصلٌ جديد

ثم مات عند أسماء، فدُفِن فى أرض مُراد .

خرج لقتل زوج أسماء فرده أخواه وعذلاه فمرض وقال شعرا

وقال غيرُ أبى عمرو والمفضل :

أتى رجل من مُراد يُقال له قرنُ الغَزَال، وكان مُوسِرًا، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقًا ؛ فزوّجها أبوها من المرادىّ سرًّا ؛ فَظَهر على ذلك مرقّش فقال : لئن ظفرتُ به لأقتلنّه . فلما أراد أن يَهتديها(٤) خاف أهلُها عليها وعلى بعلها من مرقّش، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقّش فى إبله، وبنى المرادىُّ بأسماء وآحتملها إلى بلده . فلما رجع مرقّش إلى الحىّ رأى غلاماً يتعرّق عظما؛ فقال له : يا غلام، ما حدث بعدى فى الحىّ؟ وأوجس فى صدره خيفةً لِمَا كان؛ فقال الغلام : اهتدى المرادىُّ امرأتَه أسماء بنت عوف . فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأْمته وركب فرسه الأغرّ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المرادىّ . فلما طلع لهم قالوا للمرادىّ : هذا مرقّش ، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأسماء : إنه سيمرّ عليك ، فأطلعى رأسَك إليه وآسْفِرى ؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه . وقالوا للمرادىّ : تقدّم فتقدّم .

(١) استشهد بهذا البيت فى النحو على حذف الصفة و إبقاء الموصوف ، أى لها فرع فاحم وجيد طويل . إذ هذا البيت للدح ، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين . (٢) الأشر : تحزز فى الأسنان يكون فى الأحداث . (٣) فى المفضليات : «من شبابى» . (٤) يقال : اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها .

وجاءهم مرقّش . فلما حاذاهم أطْلَعَت أسماءُ من خِدْرها ونادته، فغَضَّ(١) من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعذَلَاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُرَادىّ فألحقها بحيّه . وضَنِيَ(٢) مرقِّش لفراق أسماء . فقال فى ذلك :

أمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدّوارِسُ * تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابسُ(٣)

وهى قصيدة طويلة . وقال فى أسماء أيضا :

أغالِبُكَ القلبُ اللَّجُوجُ صبابةً * وشوقًا إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهِيم ولا يعيا بأسماءَ قلبُه * كذاك الهوى إمرارُه وعَوَاقِبُه
أيُلْحَى آمرؤ فى حبّ أسماء قد نأى * بغَمْزٍ(٤) من الواشين وآزْوَرّ جانبه
وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالمًا * وبادى أحاديث الفؤادِ وغائبه
إذا ذكَرتْها النفسُ ظَلْتُ كأننى * يُزعزعنى قَفْقاف وِرْدٍ وصالبُه(٥)

كان مع المجالد ابن ريان فى غارته على بنى تغلب وقال شعرا

وقال أبو عمرو : وقع المجالِد بن رَيّان ببنى تَغْلِب بجُمْران(٦) فَنَكى فيهم وأصاب مالًا وأسرى، وكان معه المرقِّش الأكبر، فقال المرقش فى ذلك : ١٩٣/٥

أتتنى لسانُ(٧) بنى عامرٍ * فجَلّى أحاديثُها عن بَصَرْ

---

(١) يقال : غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وضنى : مرض مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس . وفى ب ، سـ : « وغنى » وهو تحريف . (٣) قال شارح المفضليات فى التعليق على هذا البيت : « قال أبو عمرو : تخطط فيها الطير أى ترعى » . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « بغم » .

(٥) الورد : من أسماء الحمى . وقفقافه : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . وصالبه : شدّة حرارته مع رعدة . (٦) جمران (بضم أوله وإسكان ثانيه) : موضع ببلاد الرباب، أو هو ماء . وقد ورد هذا الاسم فى أكثر الأصول : « حمران » (بالحاء المهملة) . وفى حـ : « بجران » ، وكلاهما تحريف . وراجع المفضليات (ص ٤٨٣ طبع أوربا) . ومعجم ما استعجم (ص ٢٤٥) .

(٧) اللسان هنا : الرسالة . وجلى أحاديثها عن بصر : أى كشفت أحاديثها العمى .

بأنّ بنى الوَخْم (١) ساروا معا * بجيش كضوء نجوم السَّحر (٢)
بكلّ خَبُوبِ (٣) السُّرى نَهْدَةٍ * وكل كُمَيْتٍ طُوالٍ أغرّ
فما شَعَر الحىُّ حتى رأوا * بريقَ القَوَانِسِ فوقَ الغُرَر (٤)
فأقبلْنَهم (٥) ثم أدبرنهم * وأصدرنهم قبلَ حين الصَّدَر
فيارُبَّ شِلْوٍ تَخَطْرَفنه (٦) * كريمٍ لَدَى مَزْحَف أو مَكَرّْ (٧)
وكائن بِجُمْرانَ (٨) من مُزْعَفٍ (٩) * ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِر

---

(١) فى حـ : « الرخم » وفى باقى الأصول : « الرحم » . والتصويب عن المفضليات . وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة . (٢) فى شرح المفضليات : « قال الأصمعى : خص نجوم السحر لأن النجوم التى تطلع فى آخر الليل كبار النجوم ودراريها وهى المضيئة منها » .

(٣) فى أكثر الأصول : «جنوب السرى » . والتصويب عن حـ . ويروى « بكل نسول السرى » — والنسول : السريعة السير — و«بكل خنوف السرى » أى خفيفة لينة رجع اليدين بالسير . (راجع المفضليات وشرحها ص ٤٨٣) . ونهدة : ضخمة . (٤) القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه . ويروى : « فوق العذر » . والعذر : شعر العرف والناصية . (راجع شرح المفضليات) . (٥) فى الأصول : « فأقبلتهم ثم أدبرتهم ... الخ » (بالتاء المثناة) . والتصويب عن المفضليات . (٦) كذا فى المفضليات والشلو : بقية الجسد . وتخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وخلفنه . وفى جميع الأصول : «تخاطرفته» (بالتاء) . (٧) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت بيتا وهو :

وآخر شاص ترى جلده * كقشر القتادة غب المطر

والشاصى : الرافع رجليه ويديه . وإذا أصاب المطر القتاد انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم . يريد قتيلا قد انتفخ فكأن جلده لحاء قتادة . (٨) فى جميع الأصول هنا : « بجران » وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٦ من الصفحة السابقة) . (٩) كذا فى حـ والمفضليات ومعجم ما استعجم . وزعفه وأزعفه : رماه أو ضربه ففات مكانه سريعا . وفى سائر الأصول : « مرعف » (بالراء المهملة) .

وأمّا المرقِّش الأصغر

نسب وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره فى ذلك وتعرّه

فهو — على ما ذكر أبو عمرو — رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة. والمرقِّش الأكبر عمّ الأصغر، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولها عُمُراً. وهو الذى عشِق فاطمةَ بنت المنذر، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان، وكان لها قَصْر [بكاظمة](١) وعليه حَرَس. وكان الحرس يَجُرّون كل ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لبنت عجلان فى كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جَنَاب(٢) بن مالك لمرقِّش: إنّ بنت عَجلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلًا ممن يُعجبها فيبيت معها. وكان مرقِّش تَرْعِيَةً(٣) لا يفارق إبلَه، فأقام بالماء وترك إبلَه ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهًا وأحسنهم شَعْرا. وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس. فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان، حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك؟ — وإذا نُكَتٌ كأنها التين(٤) وكآثار السِّيَاط من شدّة حَفْزه إياها عند الجماع — قالت: آثار رجل بات معى الليلة. وقد كانت فاطمةُ قالت لها: لقد رأيت رجلا جميلا راح نحوَنا بالعشيّة لم أره قبلَ ذلك، قالت: فإنه فتًى قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذى رأيته، وهو الذى بات معى فأثر فىّ هذه

---

(١) زيادة عن حـ والمفضليات وتجريد الأغانى. وكاظمة: على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر. (٢) كذا فى تجريد الأغانى والمفضليات وفيما سيأتى فى جميع الأصول. وفى حـ: «عمرو بن حباب». وفى سائر الأصول: «حسان». وكلاهما تحريف. (٣) رجل ترعية (مثلثة الأول مع تشديد الياء وقد تخفف) وتِرعاية (بالكسر) وتراعية (بالضم) وترعى (بالكسر): يجيد رعية الإبل، أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل. (٤) كذا فى أكثر الأصول. وفى حـ: «البثر». وفى ب والمفضليات: «التبن». وقد أشير فى هامش المفضليات إلى أن هذه الرواية (التين) لا معنى لها، وأنه يحتمل أن يكون محرفة عن «النبر» وهو الورم فى الجسد.

الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقـدّمى له مِجْمَرًا ومُريه أن يجلس عليه وأَعطيه سِواكًا ، فإن آستاك به أو ردّه فلا خير فيه ، وإن قعد على المجمر أورده فلا خير فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه ؛ فأبى وقال : أدنيه منى ، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعـد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه وآستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع ؛ فآزدادت به عجبا وقالت : ائتينى به . فتعلقتْ به كما كانت تتعلق ، فمضى معها وآنصرف أصحـابه . فقال القوم حين آنصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويُجَرُّون عليه ثوبًا حين تُمسِى ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقَافَة فينظرون أثَرَ من دخل إليها ويعودون فيقولون له : لم نر إلا أثر بنت عجلان . فلما كانت تلك الليـلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشًا على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، وأدخلته إليها فبات معها . فلما أصبح بعث الملك ١٩٤ ٥ بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثر بنت عجلان وهى مُثْقَلة . فلبث بذلك حينا يدخل إليها . فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتنى عهدا لا تكتمنى شيئا ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟ ! فأخبره مرقِّشٌ الخبرَ ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبدًا أو تُدخلَنى عليهـا ، وحلف على ذلك . فآنطلق المرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيـه بنتَ عجـلان فأجلسه فيه وآنصرف وأخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أَشْعر ، فأتته بنت عجلان فآحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مباشرتهـا وجدتْ شعرَ فخذيه فآستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها فى صدره وقالت : قبّح الله سرًّا عند المُعَيْدِى . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وآنطلق إلى موضع صاحبه . فلما رآه قد أسرع الكَرّةَ ولم يلبث إلا قليلا ، علم أنه قد

افتضح، فعَضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذى كان فيه — يعنى الإبل التى كان مقيما فيها — حياءً مما صنع. وقال مرقش فى ذلك:

أَلَا يا ٱسلَمى لا صُرمَ لى اليوم فاطمَا * ولا أبــدًا ما دام وصلُكِ دائمَا
رمتكَ ابنــةُ البَكْرىّ عن فرع ضالَةٍ (١) * وهُنّ بنــا خُوصٌ يُخَلْن نعائمَا
تراءت لنــا يوم الرحيــل بِوارِدٍ (٢) * وعــذبِ الثنايا لم يكن متراكمَا
سقاه حَبابُ المُزنِ (٣) فى متكلل * من الشمس رَوّاه ربابا سَوَاجِمَا (٤)
أَرَتْك بذات الضّالِ منهــا معاصمًا * وخــدًّا أسيلا كالوذِيلة (٥) ناعمَا
صحا قلبُــه عنها على أنّ ذِكرةً * إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائمَا
تَبَصَّرْ خليــلى هل ترى من ظَعائن * خَرجْن سِراعًا وٱقتعدن المفائمَا (٦)
تحمّلن من جوّ الوَريعــة (٧) بعــد ما * تعالى النهــارُ وٱنتجعن الصَّرائمَا (٨)
تحلَّين ياقوتا وشَــذْرا (٩) وصِيغــة * وجَــزْعا ظَفاريًّا ودُرًّا تَوَائمَا

(١) الضال من السدر: ما لم يشرب الماء. والخوص: الإبل الغائرة العيون من جهد السفر. والنعائم: جمع نعامة. (٢) الوارد من الشعر: الطويل. والفم المتراكم: المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضا. (٣) فى المفضليات: "حبّ المزن" وحبى المزن: ما اقترب منه. (٤) كذا فى حـ والمفضليات. وفى سائر الأصول: «سرا كما» وهو تحريف. (٥) الوذيلة: سبيكة الفضة. (٦) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٩٢٩). والمفائم: العظام من الإبل، وقيل: هى المراكب الوافية الواسعة، واحدها مفأم. وفى جميع الأصول: «المقائم» (بالقاف). واقتعدن: ركبن. (٧) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان. والوريعة: حزم لبنى فقيم ابن جرير بن دارم. والحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس والإبل إلا بالجهد. وفى جميع الأصول: «الوديعة» بالدال المهملة، وهو تحريف. (٨) الصرائم: جمع صريمة وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل. (٩) الشذر: اللؤلؤ الصغير، وقيل: هو خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم. والجزع (بالفتح): الخرز. وظفارى: نسبة إلى ظفار، بلد باليمن ينسب إليها الجزع. وفيها يقال: «من دخل ظفار حمّر» (بتشديد الميم) أى تكلم بلغة حمير. وذلك أن رجلا من العرب دخل على ملك حمير وهو على سطح، فقال له: ثب، فوثب فتكسر. ووثب بلغة حمير قعد. وتوائم: اثنين اثنين.

سلكن القُرَى والجِزعَ تُحدَى جمالها * ووَرّكن قوًّا واجتزعن المخارما[1]
ألا حبّذا وجهٌ تُرِيك بياضَه * ومُنْسَدِلاتٌ كالمثانى فواحما[2]
وإنى لأستحيى فُطَيْمَةَ جائعًا * خميصًا وأستحيى فُطيمة طاعما
وإنى لأستحييك والخَرْقُ[3] بيننا * مخافةَ أن تَلْقَى أخًا لى صارما
وإنى وإن كلّت قَلُوصى لَرَاجمٌ * بها وبنفسى يا فُطَيمَ المَرَاجما
ألَا يا ٱسلمى بالكوكب الطَّلْق[4] فاطمَا * وإن لم يكن صَرْفُ النوى متلائما
ألَا يا ٱسلمى ثم ٱعلمى أنّ حاجتى * إليك فرُدِّى من نوالك فاطما
أَفاطِمَ لو أنّ النساء ببلدةٍ * وأنت بأُخرى لَٱتبعتك[5] هائما
متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه * ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالما
وآلَى جَنابٌ حِلفةً فأطعتَه * فنفسَك ولِّ اللّومَ إن كنت نادما ١٩٥ / ٥
فمن يلقَ خيرًا يحمدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغْوِ لا يعدَم على الغَىِّ لائما
ألم تر أنّ المرء يَجْذِمُ[6] كفَّه * ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجَاشما
أمن حُلُمٍ أصبحتَ تَنكُت واجمًا[7] * وقد تعترى الأحلامُ من كان نائما

(١) رواية المفضليات : «جمالهم» . والجزع (بالكسر) : منعطف الوادى . ووركن : عدلن . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة ، يرحل من النباج فينزل قوا ، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو . وقيل : قو بين فيد والنباج . وهو أيضا واد بين اليمامة وهجر نزل به الحطيئة على الزبرقان بن بدر فلم يجهزه فقال فيه شعرا . واجتزعن : قطعن وفى ب ، سـ : « واخترعن » وهو تصحيف . والمخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طريق . وقيل : هو أطراف الطارق فى الجبال . (٢) فى أكثر الأصول : «يريك» . والتصويب عن حـ . ورواية المفضليات : «تريبا» . ومنسدلات : يريد ذوائب من الشعر مسترخية . والمثانى : الحبال . شبه ذوائب الشعر بالحبال فى الطول . وفواحم : سود . (٣) الخرق : ما اتسع من الأرض . (٤) كذا فى المفضليات . والطلق : الذى لا حر فيه ولا قر ولا شئ يؤذى . وفى جميع الأصول : «بالكوكب الفرد» . (٥) فى المفضليات : «لا تبعتك» . (٦) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه . (٧) نكت فى الأرض : خطط فيها بعود ، وكذلك يفعل المغتم . وواجما : حزينا .

٢/٦

صـــــوت

من المـائة المختـارة

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهى المُنَى * أَبَى القـلبُ إلّاحبَّ أُمِّ حَـكيمِ
مُنعَّمـةٍ صَفْـراء (١) حُلْوٌ دلالُهـا * أَبِيتُ بها بعـدَ الهُـدُوء (٢) أَهِيمِ
قَطُوفُ الخُطَـا (٣) مَحْطوطةُ المَتْنِ (٤) زانها * مع الحُسن خَلْقٌ فى الجَمَال عَمِيـمِ

الشعر مُختَلَف فى قائله ، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَمىّ ، ومنهم من يرويه لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة المازِنىّ (٥) ، ومنهم من يرويه لعبيدة بن هِلال اليَشْكُرِىّ . والغناء لسِيَاط ، وله فيه لحنان : أحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة فى هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرٌ لأمّ حَكيم هذه أيضا ، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة ، ويُختلف (٦) فى قائلها كالاختلاف فى قائل هذه . وفيها أيضا غناء وهو فى هذه الأبيات منها :

---

(١) الهدوء : الهزيع من الليل . (٢) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .

(٣) قطوف الخطا : ضيقتها . (٤) كذا فى حـ . ويقال : جارية محطوطة المتنين أى ممدودتهما أو هى ممدودة حسنة مستوية . وفى ب ، سـ : « مخطوطة » (بالخاء المعجمة) . وفى سائر الأصول : « محظوظة » (بظاءين معجمتين) . وكلاهما تصحيف . (٥) ضبط هذا الاسم فى حـ بفتح العين ، وكذلك ضبط فى الطبرى بفتح العين وكسر الباء . وورد فى الكامل للبرد طبع أوربا مضبوطا بفتح العين وكسر الباء فى مواضع وبضم العين وفتح الباء (مصغرا) فى مواضع أخرى . وضبط فى الاشتقاق لابن دريد بضم العين . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وفيه » .

لَعَمْرُكَ إنّى فى الحياة لزاهدٌ * وفى العيش مالم أَلْقَ أُمَّ حكيم
ولو شهدتنى [(١)] يومَ دُولابَ [(٢)] أبصرتْ * طِعانَ فتًى فى الحرب غيرِ ذَميم

ذكر المبرّد أن الشعر لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة ، وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ أنه لعَمْرو القَنَا ، وذكر وَهْب بن جَرير أنه لحَبِيب بن سهم التَّميمىّ ، وذكر أبو مِخْنَف [(٣)] أنه لعبيدة بن هلال اليَشْكُرىّ ، وذكر خالد بن خِدَاش [(٤)] أنه لعمرو القنا أيضا . والغناء لمَعْبد ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . ٣/٦

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « شهدتنا » . (٢) دولاب (بفتح أوّله وأكثر المحدثين يروونه بالضم) : قرية تعرض لهـا أبو الفرج بالشرح بعد قليل . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم ، كان صاحب أخبار وأنساب ، والأخبار عليه أغلب . وجدّه مخنف بن سليم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفى ب ، س : «أبو محنف» (بالحاء المهملة) . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٧٥ طبع بولاق) .
(٤) كذا فيما سيأتى فى جميع الأصول ، وتهذيب التهذيب . وهو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبى (نسبة الى المهلب بن أبى صفرة) . روى عن حماد بن زيد وصالح المرى وغيرهما ، وروى له البخارى فى الأدب ، وقد مات سنة ٢٢٣ هـ .

وقعة دولاب وشىء من أخبار الشراة

خبر الوقعة التى قيل فيها هذان الشعران وهى وقعة دولاب وشىء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

هـذان الشعران قِيلا فى وقعـة دُولاب، وهى قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس ابن كُرَيز خليفةِ عبـد الله بن الحـارث بن نَوْفل بن عبـد المطلب، وذلك فى أيام ابن الزبير. أخبرنى بخبر هـذه الحرب أحمد بن عبـد العزيز الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنى، وأخبرنى بها عُبيد الله بن محمد الرازى عن الخَرّاز عن المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش:

أن نافعَ بنَ الأزرق، لمّـا تفرقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقـد كان متشكّكا فى ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفَرت بعـد إيمانك وشَكَكتَ فيه، فدع نِحْلتك ودَعْوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتـل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأَثْخن فى النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. فقَبِل قولَها واستعرضَ الناسَ[(1)] وبَسَط سيفَه، فقتل الرجال والنساء والوِلْدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطىء بلدًا فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعا ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ ويضع الجِباية فيجبى الخراجَ. فعظم أمرُه واشـتدّت شوكته وفشا عمّالُه فى السواد. فارتاع لذلك أهـلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان،

(١) استعرض الناس: قتلهم ولم يبال من قتل مسلما أو كافرا من أى وجه أمكنه.

وسِيرتُهم كما تَرى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم فى مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم فى سوادكم ، فخذوا فى جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل فى السلاح . فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل ، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميرا ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة ، وكان فارسًا شجاعا دَيِّنا ، فأمَّره عليهم وشيَّعه . فلما نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنى ما خرجت لامتيار ذهب ولا وفضة ، وإنى لأحاربُ قومًا إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحهم . فمن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَضْ ، ومن أحبّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجِراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقُتل فى المعركة ابنُ عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك فى جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضا ؛ فعجب الناس من ذلك ، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسَا العسكرين ، والشُّراة يومئذ ستُّمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذ وبأس الشراة واقعا بنى[(1)] تميم وبنى سَدُوس . وأتى ابنُ عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدَانىّ ، وكان يقال له الأَجْذم ، كانت يده أصيبت بكابُل ٤/٦ مع[(2)] عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز أحدَ بنى سَليط بن يَرْبوع . فكان رئيسَا المسلمين والخوارج جميعا من بنى يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بنى غُدانة بن يَرْبوع ، ورئيس الشُّراة من بنى سَليط بن يربوع ،

(١) كذا فى ا ، ى . وفى سائر الأصول : « بين تميم ... » . (٢) كذا فى الكامل للمبرد فى أكثر من موضع والطبرى . وفى جميع الأصول : « الماخور » . (بالخاء المعجمة والراء المهملة) .

فاتَّصَلَتِ الحربُ بينهم عشرين يومًا . قال المدائنى فى خبره : وادّعى قتلَ نافع ابن الأزرق رجلٌ من باهلة يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلتُه على بِرْذَون[١] وَرْد فإذا أنا برجل ينادِى ، وأنا واقف فى خُمس[٢] بَنى تَمِيم[٣] ، فإذا به يَعْرِض علىّ المبارزَةَ فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلنى ، فصِرْتُ إلى رَحْلى ثم رجعت فدعانى إلى المبارزة ، فلما أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفْنا ضربتين فضربتــه فصرَعتُه ، ونزلتُ فأخذت رأسَه وسلبتَه ، فإذا آمرأة[٤] قد رأتنى حين قتلت نافعا ، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبيس ولّى الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل[٥] يقاتل الشُّراة نيّفًا وعشرين يوما ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إنى مقتول لا محالة ، قالوا : وكيف ذلك؟ قال : إنى رأيت البارحة كأنّ يدى التى أُصيبتْ بكابُل انحطّتْ من السماء فاسْتَشْلتْنِى . فلما كان الغــد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[٦] فقُتل يومئذ — قال : استشلاه : أخذه إليــه . يقال : استشلاه واشتلاه — قال : فلمــا قُتل الربيع تدافع أهــلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَرىّ . وقــد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالًا شديدا لم يقتتلوا مثــلَه ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ ،

---

(١) البرذون : واحد البراذين ، وهى من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب . (٢) كذا فى حـ هنا وفيما يأتى والكامل للبرد . وأخماس البصرة خمســة : الخمس الأول العالية ، والثــانى بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد . وفى سائر الأصول هنا وفيما يأتى : « خميس » .
(٣) فى الكامل (ج ٢ ص ٦١٧ طبع أوربا) : « وأنا واقف فى خمس قيس (صوابه عبد القيس) ينادى : يا صاحب الورد ، هلم الى المبارزة ، فوقفت فى خمس بنى تميم داذا به يعرضها علىّ ... الخ » .
(٤) كذا فى حـ والكامل للبرد . وفى سائر الأصول : « فاذا هى امرأته ... الخ » .
(٥) فى ب ، سـ : « ولم يرل » . (٦) كذا فى الكامل للــبرد . وغاداهم : باكرهم . وفى جميع الأصول : « ثم عاد ... الخ » .

ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغنِي شيئا من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون(١) بالأفواه . فلما تدافع القومُ الراية وأَبَوْها واتّفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنهـا مكْرُمة ؛ فقال : إنهـا لراية مشئومة ، ما أخذها أحد إلا قُتـل . فقال له كُرَيب : يا أعور ! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتـل ! خذ اللواءَ ويحك ! فإن حضر أَجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواءَ وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرَادِيس(٢) ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن(٣) . وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيـه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قـد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دمًا ، ويفتح عينيه فيَرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلُّ قوم فى ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ(٤) ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ؛ وأصبح أهل البصرة — وقد هرب عامّتُهم ، وولّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانىّ أَمْرَهم — ليس بهم طِرْق(٥) ولا بالخوارج . فقالت ٱمرأة من الشُّراة — وهى أم عِمْـران قاتلِ ٱلحجّاج بن باب وقَتيلِه — ترثى ابنَها عِمْران :

أللهُ أيَّـــد عِمْـــراناً وطَهَّـــره ❊ وكان عمرانُ يدعو الله فى السَّحَرِ

---

(١) تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

(٢) الكراديس : كتائب الخيل ، واحدها كردوس .

(٣) الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

(٤) كذا فى أ ، ء والكامل . وفى سائر الأصـول : « الراسى » .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والطرق (بالكسر) : القوة . وفى ب ، سـ : « لهم طرف » بالفاء وهو تصحيف

يدعوه سِـــرًّا و إعلانا ليرزقَـه * شهادةً بيَـدَىْ مِلْحادةٍ[1] غُـدَر

ولَّى صحابتُه عن حَرِّ[2] مَلْحَمةٍ * وشدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة الذكر[3]

قال: فلما عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتُوا، فإذا فَتَح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالى زيادةُ فريضة؛ فندَب الناسَ فآلتقَوْا وليس بأحد منهم طِرق، وقد فَشَت فيهم الجِراحاتُ فلهم أنين، وما تطأُ الخيل إلا على القتلى . فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمـامة جمعٌ من الشُّراة — يقـول المُكَثِّر إنهم مائتان والمقلِّل إنهم أربعون — فاجتمعوا وهم يُرِيحون[4] مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً[5] واحدة، فحملوا على المسلمين . فلما رآهم حارثة بن بَدْر نَكَص برايته فانهزم وقال:

كَرْنِبُـوا[6] ودَوْلِبُـوا * وحيثُ شئتم فاذهبُوا[7]

وقال :

أيرُ الحمـار فريضـةٌ لعبيدكم * والخُصيتان فريضة الأعرابِ

---

(١) الملحادة : مفعال من الإلحاد (وهو الجور والعدول عن الدين) كما يقال رجل معطاء ومكرام . وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة . وغدر (بضم ففتح) : كثير الغدر .

(٢) الضرغامة : من أسماء الأسد . (٣) فى الكامل : «الهصر» والهصر : الذى يهصر كل شىء أى يثنيه . (٤) فى ب ، س : «مع أصحابهم» ولا معنى لها . (٥) الكبكبة : الجماعة .

(٦) كذا فى حـ والطبرى (ق ٢ ص ٥٨٠) ومعجم البلدان . وكرنبوا : انزلوا كرنبى وهى موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب . وفى سائر الأصول : «أكرنبوا» وهو تحريف . (٧) يقال: إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش وجاء الخوارج هـذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا ، وبقى حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقى معه بالأهواز. فلما ولى ابن الزبير عمر بن عبد الله بن معمر على البصرة أرسل عمر أخاه عثمان لقتال الأزارقة وانضم إليه حارثة . ثم كان بين عثمان وحارثة خلاف اعتزل بسببه حارثة . ثم لما أفضى الأمر فى محاربة الخوارج إلى المهلب وبلغ حارثة بن بدر أن المهلب قد أمر على الجيش لقتال الخوارج قال لمن معه :

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا

قد أمر المهلب

فذهب من كان معه إلى البصرة ، فردهم الحارث بن عبد الله إلى المهلب . (راجع الطبرى فى حوادث سنة ٦٥).

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارجُ، فألقَوا أنفسهم في دُجَيْل (١) فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتُهم . وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان . ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم، فعطفت عليهم خيلٌ من بنى تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراه حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم . وعبَرتْ بقيّةُ الناس، فصار حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى (٢) والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام . وكان على الأزد يومئذ قَبِيصَة بن أبى صُفْرة أخو المُهلَّب، وهو جدّ هَزَارْمَرْد (٣) . قال : وغرِق يومئذ من الأزد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرَى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شيوخَ الأَزْد طافيةً لِحَاهَا

وقال شاعر آخر منهم :

شَمِتَ ابنُ بدر، والحوادث جمة، * والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصبِّحْهُ نهارًا يَطْرُقِ (٤)
فلئن أميرَ المؤمنين أصابه * ريبُ المنون فمَنْ تُصِبْه يَغْلَقِ (٥)

قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة، فيما ذكر المبرّد، وقال المدائنى فى خبره : إن صالح بن عبدِ الله العَبْشَمِىّ قائلُ ذلك، وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنَا، قال

(١) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس، واسمه بالفارسية : «ديلدا كودك» ومعناه : دجلة الصغير فعرب على دجيل . ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه فى بحر فارس . وكانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج . وهو أيضا نهر مخرجه من أعلى بغداد، وليس مرادا هنا .
(٢) تيرى (بكسر التاء المثناة الفوقية وياء ساكنة وراء مفتوحة، مقصورا) : بلد من نواحى الأهواز : ونهر تيرى حفره أردشير الأصغر بن بابك .
(٣) كذا فى حـ هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول والطبرى واللباب فى معرفة الأنساب لابن الأثير الجزرى مضبوطا بالقلم بنسخة مخطوطة بخط قديم جدا، ومعناه ألف رجل . وفى سائر الأصول هنا : «هزامرد» وهو تحريف .
(٤) طرقه يطرقه (من باب نصر) : أتاه ليلا .
(٥) أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق، أى لا ينفلت ولا ينجو . مأخوذ من غلق الرهن فى يد المرتهن، إذا لم يقدر على فكاكه واستخلاصه .

وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثنى به أحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أحمد بن أبى خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه : إن حَبيب بن سَهْم قائلُها :

لعمرُك إنّى فى الحياة لزاهـدٌ * وفى العيش مالم أَلْقَ أمَّ حَكيم[1]
مِنَ الخَفِرات البِيض لم أَر مثلَها * شِـفاءٌ لِذى بَثٍّ ولا لِسَـقيم
لعمرُك إنى يومَ أَلْطِمُ وجهَها * على نائبـات الدهر غيرُ حليم
ولو شَهِدَتْنى يوم دولاب أبصرتْ * طِعـانَ فتًى فى الحرب غيرِ لئيم
غَداةَ طَفَتْ عَلْماءِ[2] بكْرُ بن وائل * وأُلَّافُها مِنْ حِمْيرٍ وسَـليم[3]
ومالَ الحجازيّون نحوَ بلادهـم * وعُجْنا صـدورَ الخيل نحو تَميم ٦/٦
وكان لعبد القَيْس أوّلُ جِدّها * وولّتْ شيوخُ الأَزْدِ فهى تَعُوم[4]
فلم أَرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا * يَمُـجّ دمًا من فائظٍ وكَليم[5]
وضاربةٍ خدًّا كريمًا على فتًى * أغرَّ نجيبِ الأمهـات كريم
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطنًا * له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حُمَيم[6]
فلو شَهِدتنـا يومَ ذاك وخيلُنا * تُبيح من الكُفّار كلَّ حريم
رأت فتيةً باعوا الإلٰهَ نفوسَهم * بجنّـات عَدْنٍ عنده ونَعـيم

حدّثنى حَبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنـا عمر بن شَـبّة قال حدّثنـا خَلّاد الأرقط[7] قال :

---

(١) وردت هذه القصيدة فى الكامل (ص ٦١٨ — ٦١٩ طبع أوربا) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٦٢٣) باختلاف فى بعض الألفاظ والأبيات .

(٢) يريد : على الماء . (٣) يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن . وسليم أبو قبيلة ، وهو سليم ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر . (٤) فى هـذا البيت إقواء .

(٥) المقعص : يقال : أقعصه بالرمح إذا طعنه به فات مكانه . والفائظ : الميت ، فعله فاظ يفيظ و يفوظ فيظا وفوظا . والكليم : الجريح . (٦) دير حميم : موضع بالأهواز ، ذكره ياقوت واستشهد بهذا البيت .

(٧) هو خلاد بن يزيد الباهلى البصرى المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوى .

كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون و يتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضا . فتواقف يومًا عبيدة بن هِلال اليَشْكُرِىّ وأبو حَزَابَةَ التَّميمى (١) وهما فى الحرب؛ فقال عبيدة: يا أبا حُزَابة، إنى سائلُك عن أشياء، أفتصْدُقنى فى الجواب عنها ؟ قال: نعم، إن تضمّنْتَ لى مثلَ ذلك؛ قال: قد فعلتُ. قال: سل عمّا بدالك. قال: ما تقول فى أئمتكم ؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام. قال: وَيْحَك ! فكيف فعلُهم فى المال ؟ قال: يَجْبونه من غير حِلّه، ويُنفقونه فى غير حقه. قال: فكيف فعلُهم فى اليتيم ؟ قال: يظلمونه مالَه، ويمنعونه حقه، وينيكون أمّه. قال: ويلك يا أبا حُزَابة ! أفمثلَ هؤلاء نُتّبع ؟! قال: قد أجبتُ، فآسمع سؤالى ودع عنكَ عتابى على رأيى؛ قال: قل. قال: أىُّ الخمر أطيبُ: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك! أتسأل مثلى عن هذا ؟ قال: قد أَوْجبتَ على نفسك أن تُجيب؛ قال: أمّا إذ أبَيْتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس. قال أبو حُزَابة: فأىّ الزَّوانى أَفْره: أزوانى رَامَهُرْمُز (٢) أم زوانى أَرَّجَان (٣) ؟ قال: ويلك! إن مثلى لا يُسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بدّ من الجواب أو تغدُر؛ فقال: أمّا إذ أبيت فزوانى رَامَهُرْمُز أرقّ أبشارًا، وزوانى أَرَّجان أحسن أبدانا. قال: فأىّ الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق ؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله! أيهما الذى يقول:

(١) كذا فى حـ. وهو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية. (راجع شرح القاموس مادة حرب. وترجمته فى الأغانى ج ١٩ ص ١٥٢ — ١٥٦ طبع بولاق). وفى سائر الأصول: «أبو خرابة» (بالخاء المعجمة والراء المهملة) وهو تصحيف.

(٢) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحى خوزستان والعامة يسمونها «رامز» اختصارا.

(٣) أرجان (بفتح الألف وبتشديد الراء مفتوحة — وقيل بسكونها — وجيم وألف ونون، وعامة العجم يسمونها «أرغان»): مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه، وهى برية بحرية سهلية جبلية، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا.

وطَوى الطِّرادُ مع القِياد[(١)] بطونَها * طىَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قال : جرير؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له فى ذلك ؛ فقال[(٢)] : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنى أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

اخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

حُدِّثت أن آمرأة من الخوارج كانت مع قَطَرِىّ بن الفُجَاءة يقال لها أُمّ حَكِيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهًا وأحسنِهم بدينهم تمسُّكًا ، وخطَبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك ؛ فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

٧/٦ أحمِلُ رأسًا قد سئمتُ حَمْلَهْ * وقد مَلِلْت دَهْنَه وغسلَهْ

* ألَا فتًى يحمل عنّى ثِقْلَهْ *

قال : وهم يُفَدّونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

---

(١) كذا فى أ ، ء وديوان جرير . وهو من قصيدة طويلة مطلعها :

أهوى أراك برامتين وقودا * أم بالجنينة من مدافع أودا

وفى سائر الأصول : « الغياد » (بالغين المعجمة) وهو تحريف .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال إن أردتم ...» وظاهر أن كلمة « إن » مقحمة .

كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إليّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ، فيقول لهم : أيّما أحبُّ إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون .

أخبار سياط ونسبه

أخبار سياط ونسبه وتلامذته وأستاذه

سِيَاطٌ لقب غلب عليه ، واسمُه عبدالله بن وهب ، ويُكْنى أبا وهب ، مكىّ مولى خُزَاعة . وكانَ مقدّما فى الغناء روايةً وصنعةً ، ومقدّما فى الضرب معدودا فى الضُّرّاب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلى ، وعنه أخذا ونَقَلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم ، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أمّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء :

ما سمعتُ الغناءَ إلّا شَجَانى * مِنْ سياطٍ وزادَ فى وَسْواسِى
غَنِّنى ياسياطُ قد ذهب الليـ * ـل غناءً يَطير منه نُعاسى
ما أُبالى إذا سمعتُ غناءً * لسياطٍ ما فاتنى للرُّؤاسى

والرؤاسىّ الذى عَنَاه هو عباس بن مِنْقار ، وهو من بنى رُؤاس . وفيه يقول محمد بن أَبَان الضَّبِّىّ :

إذا واخيتَ عبّاسًا * فكن منه على وَجِلِ (١)
فتًى لا يقبل العذرَ * ولا يرغب فى الوصلِ
وما إن يتغنّى مَنْ (٢) * يُوَاخيه من النُّبْلِ

سبب تلقيبه بسياط

قال حمّاد بن إسحاق : لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيرًا ما يتغنّى :

كأنّ مَزَاحِفَ الحيّاتِ فيه * قُبَيْلَ الصبح آثارُ السِّيَاطِ

---

(١) كذا فى الأصول . والوجل بالتحريك ، ولعله سكن لضرورة الشعر ، ويحتمل أن يكون صوابه : « على دخل » . والدخل بسكون الخاء كالدخل بالتحريك وهو الريبة . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « ومن » .

مدح إبراهيم الموصلي غناءه

وأخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى هارون بن مخارق(١) عن أبيه، وأخبرنى به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعى(٢) عن وسواسة الموصلىّ — ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة — عن حماد عن أبيه، قالا(٣) :

طلبه المهدى مع حبال وعقاب فظن الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم

غنّى إبراهيمُ الموصلىّ يوماً صوتا لسِيَاط، فقال له ابنه إسحاق : لمن هـذا الغناء يا أبتِ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله : لسياط . قال : وقال المهدىّ يوماً وهو يشرب لسَلّام الأبرش(٤) : جئنى بسِيَاط وعقاب وحِبـال ؛ فارتاع كلُّ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّى وعقاب المـدنى — وكان الذى يُوقِـع عليه — وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدىّ يضحك .

مر بأبى ريحانة المدنى وهو فى الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقى فى البرد

أخبرنى محمـد بن خلف قال حدّثنى أبو أيّوب المدنىّ قال حدّثنى حماد ابن إسحاق عن أبيه قال :

مرّ سياط على أبى ريحـانة المدنىّ فى يوم بارد وهو جالس فى الشمس وعليه
٨ / ٦ ثوب رقيق رَثّ ؛ فوثب إليـه أبو ريحـانة وقال : بأبى أنت يا أبا وهب ، غنّنى صوتَك فى شعر ابن جُنْدَب(٥) :

(١) فى الأصول : « هارون بن مخالف » وهو تحريف ، لأن الذى يروى عنـه محمد بن خلف وكيع هو «هارون بن مخارق» . (٢) كذا فى حـ وفى جميع الأصول : «الربعى» وهو تحريف . راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٢٥٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « قال » . (٤) كذا فى حـ والطبرى فى أكثر من موضع وفيما مر فى جميع الأصـول فى الجزء الخامس . وهو سـلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية فى أيام البرامكة ، وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعى لأرسطو المعروف بسماع الكيان ، وهو ثمـانى مقالات . وقد ترجم هذا الكتاب من اليونانى إلى السريانى ومنها إلى العربى ، ومن الرومى إلى العربى ، ولم ندر اللغة التى ترجمه منها الى اللغة العربيـة أهى السريانية أم الرومية . (راجع فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطى وكشف الظنون) . وفى سائر الأصول هنا : «سلام بن الأبرش» ، وهو تحريف . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فى شعر ابن جندب قال ... الخ » . والظاهر أن كلمة « قال » مقحمة من الناسخ .

فؤادى رَهِينٌ فى هواك ومهجتى * تذوب وأجفانى عليك هُمولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجَهدا . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يآبن أخى ، إن الشعر الحسنَ من المغنّى الحسنِ ذى الصوتِ المُطْرِب أدفأ للقرور من حمّام مُحمًى . فقال له رجل : أنت عندى من الذين قال الله جل وعزّ : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾؛ فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد أخبرنى بهذا الخبر علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه (١) فذكر قريبا من هذا، ولفظُ أبى أيوب وخبرُه أتم .

وأخبرنى إسماعيل بن يُونس الشِّيعى ، المعروف بابن أبى اليَسَع ، قال حدثنا عمر بن شَبّة :

أنّ سِياطًا مَرّ بأبى رَيْحانة المدَنىّ، فقال له : بحق القبر ومَنْ فيه غَنّنى بلحنك فى شعر ابن جُنْدب :

لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ إذا بكى * ودمعُك منهلٌّ وقلبك يخفُقُ
مخافةَ بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وهجرةٍ * تكون ولمّا تأتِ والقلبُ مُشْفِق
ولى مهجةٌ ترفضّ من خوف عَتْبها * وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَق
أظلّ خَليعًا بين أهلى متيَّماً * وقلبى لما يرجوه منها معلّق

فغنّاه إياه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشى عليه . فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقىَ الخبر مثلَ ما تقدّم .

---

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « على بن عبد العزيز بن خرداذبه » وهو تحريف ؛ لأن ابن خرداذبه هو عبيد الله بن عبد الله . وقد سبقت رواية على بن عبد العزيز عنه .

سمع أبو ريحانة جارية تغنى فشق قربتها واشترى لها عوضها

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مرّت جارية بأبى ريحانة يومًا على ظهرها قِربةٌ وهى تغنّى وتقول :

وأَبكى فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ * إلىّ ولا ليلَى لذى الودّ تبذُلُ
وأخنع بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنباً * وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصّل

فقام إليها فقال : يا سيّدتى أعيدى ؛ فقالت : مولاى تنتظرنى والقربة على ظهرى ؛ فقال : أنا أحملها عنك ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنته الصوت ، فطرب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمن حقّ أن أغنّيك وتشقّ قربتى! فقال لها : لا عليك ، تعالَىْ معى إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفته واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عز وجل : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾؛ فقال : بل أنا كما قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ .

مر بأبى ريحانة المدنى وهو فى الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقى فى البرد

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبىّ قال حدّثنى أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصلىّ :

بلغنى أنّ أبا رَيْحانة المدنىّ كان جالسًا فى يومٍ شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقيق ؛ فمرّ به سِيَاط المغنّى فوثب إليه وأخذ بلِجامه وقال له : ياسيّدى ، بحق القبر ومَنْ فيه غنّنى صوتَ ابن جُنْدب ، فغنّاه (١) :

فؤادى رهينٌ فى هَواك ومُهجتى * تَذُوب وأجفانى عليك هُمُولُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فغناه وقال ... الخ » . والظاهر أن كلمة « وقال » مقحمة من الناسخ .

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقى عاريًا وغُشى عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِيَاطٌ واقفٌ متعجِّب مما فعل . ثم أفاق وقام إليه؛ فرحمه سِياط وقال له : مالك ٩/٦
يا مشئوم ؟ أىَّ شىء تريد ؟ قال : غنِّنى بالله عليك :

وَدِّعْ أُمَامةَ حان منكَ رَحِيلُ * إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه * فالريح تجذب مَتْنَه فيَميل
إنْ كان شأنكمُ الدلال فإنه * حَسَنٌ دلالكِ يا أُميمَ جميل

فغنّاه إياه؛ فلطَم وجهَه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعًا . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ! تخرقتَ قميصَك وليس لك غيره! فقال : دعونى، فإن الغناء الحسن من المغنّى المطرب أدفأ للقرور من حَمّام المهدىّ إذا أُوقِد سبعةَ أيام . قال : ووجّه له سِيَاط بقميص وجُبّة وَسَراوِيلَ وعِمامة .

زاره إبرهيم الموصلى وابن جامع فى مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبو أيّوب المدنىّ قال حدّثنى محمد ابن عبد الله الخُزَاعىّ وحمّاد بن إسحاق جميعا عن إسحاق قال :

كان سياطٌ أستاذَ أبى وأستاذَ ابن جامع ومن كان فى ذلك العصر . فاعتلّ علةً ، فجاءه أبى وابن جامع يعودانه . فقال له أبى : أَعْزِزْ علىّ بعلتك أبا وهب! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها. قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْمَ الأستاذ والسيِّد . قال : قد غنّيتُ لنفسى ستين صوتا فأُحبّ ألّا تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبى : أَفعلُ ذلك يا أبا وهب، ولكن أىَّ ذلك كرهتَ : أن يكون فى غنائك فضلٌ فأقصّر عنه فيُعْرَف فضلُك علىّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحسانى إليك و يأخذه الناس عنى لك؟ [قال] (١) : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعىّ

(١) زيادة عن ح .

فى خبره : ثم قال لى إسحاق : كان سياط خُزاعيًّا، وكان له زامر يقال له حِبال، وضارب يقال له عقاب . قال حماد قال أبى : أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء، سِيَاطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه فى أوّل أيام موسى الهادى .

زاره ابن جامع فى مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه

أخبرنى يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعَب قال :

دخل ابن جامع على سِيَاط وقد نزل به الموت، فقال له : ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد فى غنائى شيئا ولا تنقُص منه، دعه رأسًا برأس، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتا .

دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدثنا حمّاد قال حدثنى محمد بن حَديد أخو النَّضْر آبن حديد :

أن إخوانًا لسياط دعَوْه، فأقام عندهم وبات،(١) فأصبحوا فوجدوه ميِّتًا فى منزلهم، فجاءوا إلى أُمِّه وقالوا : يا هذه، إنّا دعونا آبنك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فآحتكمى ماشئتِ، ونَشَدْناكِ اللهَ ألّا تعرّضينا للسلطان أو تدّعى فيه علينا مالم نفعلْه . فقالت : ماكنتُ لأفعل، وقد صَدَقتم، وهكذا مات أبوه فجأة . قال : فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكرت هذه القصةُ بعينها فى وفاة نُبَيْه المغنِّى، وخبره فى ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

غنى أحمد بن المكى إبراهيم بن المهدى صوتا له فاستحسنه

أخبرنا يحيى بن علىّ وعيسى بن الحسين الزيات(٢) — واللفظ له — قالا حدّثنا أبو أيوب قال حدّثنا أحمد بن المكِّىّ قال :

---

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « ومات » . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ح : «عيسى بن الحسين» (بسقوط كلمة : الزيات) . ولم نجد فى المراجع التى بين أيدينا ولا فيما تقدّم من الأغانى شيخا روى عنه أبو الفرج اسمه : « عيسى بن الحسين الزيات » . ولكن الذى سبقت رواية أبى الفرج عنه فى أكثر من موضع هو : « عيسى بن الحسين الورّاق » .

غَنّيتُ إبراهيمَ بن المهدىّ لسياط :

* ضافَ قلبى الهوى فأَكْثر سَهْوِى (١) *

فاستحسنه جدًّا، وقال لى : ممن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشِيَّةَ الزَّبّاء ؛ فقال : أُشعِرتُ أنه كان لأبى ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهن تسمّى قرشيّة، منهن ١٠/٦ قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنَهن غناء — يعنى التى أخذتُ منها هذا الصوت — قال : وكنت أسمعها كثيرا تقول : قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيَهم، فما رأيت فيهم مثلَ سِياط قطُّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هذا الصوت

صوت

ضاف قلبى الهوى فأكْثرَ سَهْوِى * وجَوَى الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْوِ
لو علا بعضُ ما علانى ثَبِيرًا (١) * ظَلَّ ضَعْفًا ثبيرُ من ذاك يَهْوِى
من يكن من هوى الغوانى خَلِيًّا * يا ثِقاتى فإننى غيرُ خِلْو

الغناء لسِياط ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق .

صوت

من المائة المختارة

يا أمَّ عمرو لقد طالبتُ ودَّكُمُ * جُهدى وأَعْذرتُ فيه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ، وقد أصبحتِ سالمةً، * مما أُعالج من همٍّ وتَذكارِ

(١) ثبير (بفتح أوله وكسر ثانيه بعده ياء وراء مهملة) : جبل معروف بمكة من ناحية الشرق فى طريق منى، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة فى عطف وادى إبراهيم عليه السلام من يسار المار إلى منى، وعرف برجل من هذيل، مات فدفن به فعرف به الجبل، ويرى من منى والمزدلفة .

لم يُسَمَّ قائلُ هـذا الشعر . والغنـاء للرَّطّاب . والرَّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرّطّاب لأنه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة. ولحنُه المختارهزجٌ بالوسطى .

صـــوت

من المـائة المختـارة

تَصَـدّع الأَنَس[1] الجميــعُ * أمْسَى فقلبي به صُــدوعُ

في إثرهم وجفـونُ عيــني * مُحْضَـلّةٌ[2] كلها دُمـوع

لم يُسم لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفي . ولحنه المختار [3] من خفيف الثقيل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوت في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين ، وجنّســه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضا فيه لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبرًا * كُلِّفَ ما ليس يستطيــعُ

عاصٍ لمن لام في هواكُمْ * وهْوَ لكُمْ سامعٌ مطيــع

صـــوت

من المـائة المختـارة

يأيهـا الرجـــلُ الذي * قد زان منطقَه البيــانُ

لا تَعتِبنّ عــلى الزما * ن فليس يُعْتِبك الزمانُ

---

(١) الأنس (بالتحريك) : الحي المقيمون . (٢) كذا في حـ . وفي سائر الاصـول : « طلها » . (٣) في حـ : «من الثقيل ... الخ »

١١/٦ الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضىّ . والغناء لنُبَيه المُغَنّى ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلىّ له خبرٌ إلا ما شُهر من حاله فى نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع ، مولى قريش ، من أهل البصرة . وأخذ العروضَ من الخليل ابن أحمد ، فكان مقدَّمًا فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن على وأدّب أولادَهم ، وكان يمدحهم كثيرا ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جدًّا . وكان يقول أوزانا من العروض غريبةً فى شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضىّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله ابن هارون فما عرفت له خبرا ولا وقع إلىّ من أمره شىء غير ما ذكرتُه .

ذكر نُبيـــه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء

زعم ٱبن خُرْدَاذْبه أنه رجل من بنى تَيم صَلِيبةً، وأن أصلَه من الكوفة، وأنه كان فى أوّل أمره شاعرًا لا يغنّى، ويقول شعرا صالحا . فهوِىَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سببًا للدخول عليها، ولم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه وصنعَ فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدّ فى المُحسِنين . فمما قاله فى هذه الجارية وغَنَّى فيه قولُه :

صـــوت

يا ربّ إنى ما جفوتُ وقد جفتْ * فإليــك أشكو ذاك يا ربّاهْ
مولاةُ سَــوْءٍ ما تَرِقُّ لعبــدها * نِعْم الغــلامُ وبئست المولاه
يا ربّ إن كانت حياتى هكذا * ضررًا علىّ فما أُريــد حياه

الغناء لِنُبَيــه ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى . ومن النـاس من يَنسُب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهدىّ .

سمع مخارق مدح إبراهيم الموصلى لغنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال :

قلت لمخارق[1]، وقد غنّى هذا الصوت يومًا :

متى تجمع القلبَ الذكىّ وصارمًا * وأنفا حَمِيًّا تجتنِبْـك المظالمُ[2]

فسألته لمن هو ؟ فقال : هذا لنُبَيه التّيمى، وكان له أخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان،

---

(١) فى جميع الأصول : « قال لى مخارق » . وهو غير مستقيم مع سياق الكلام .

(٢) هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر، قالها لما استرد إبله وخيله من حريم الهمدانى وكان قد أغار عليها وأخذها . (راجع أخباره ج ٢١ ص ١٧٥ — ١٧٦ من الأغانى طبع ليدن) .

وكان ينزل شَهَارْسُوج الهَيْثم[(١)] فى درب الرَّيْحان. قال أبو زيد: وسمعتُ مخارقًا يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول — وقد ذكر نُبَيْهًا — : إن عاش هذا الغلام ذهب خبرُنا[(٢)]. قال: وكنت قد غنّيته صوتًا أخذته[(٣)] عنه، وهو:

شكوتُ إلى قلبي الفراقَ فقال لى * مِن الآن فآيْأَس لا أغُرَّك بالصبرِ
إذا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وأسلمنى العزا * فَفُرْقة من أَهوى أحرُّ من الجمر

كان مع على بن المفضل عند عبيد الله بن أبى غسان فأكل لحم غزال ومات

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثنى ابن أبى سعد[(٤)] عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى علىّ بن المفضَّل قال:

اصطبحنا يومًا أنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أبى غسّان، فغنّانا نُبيه لحنَه:

يأيها الرجل الذى * قد زان منطقَه البيانُ

١٢/٦ فما سمعت أحسنَ منه، وكان صوتُنا عليه بقيةَ يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألَنا عُبيد الله أن نَبِيتَ عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنُبَيْه: أىَّ شىء تشتهى أن يُصلَح لك؟ قال: تشترى لى غزالًا فتُطعمنى كبدَه كَبابًا، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أَحبّ. فلما استوفى أَكْلَه استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزِعْنا من ذلك. وبعث عبيدُ الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجَعتْ[(٥)] ثم قالت: لا بأس عليكم! هو

(١) شهارسوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد فى قبلة الحربية. والهيثم الذى أضيفت إليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية. (٢) فى حـ: «خيرنا» (بالياء المثناة). (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «أجدته عنه» بالجيم. (٤) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن أبى سعد وقد تقدّمت روايتـه عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى ورواية ابن مهرويه عنـه فيما مر من الأجزاء السابقة كثيرا. وفى سائر الأصول: «ابن أبى سعيد» وهو تحريف. (٥) استرجع فى المصيبة: استعاذ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتتهم جميعًا وميتةَ أبيهم من قبلهم؛ فسكتّا إلى ذلك. وغُسّل فى دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلِّى عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك.

صوت

من المائة المختارة

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرتى * ترَقْرَقُ فى العينين ثم تَسِيلُ
أسائل ربعًا قد تعفّتْ رسومُه * عليه لأصناف الرياح ذُيول (1)

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(1) كذا فى حـ. والذيول من الريح: ما تتركه فى الرمل كأثر ذيل مجرور. وفى سائر الأصول: «ذبول» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف.

أخبار سُلَيْم

انقطع إلى إبراهيم الموصلى وهو أمرد فأحبه وعلمه

هو سُلَيم بن سَلّام الكُوفِىّ، ويُكْنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ الموصلىّ، فمال إليه وتعشّقه، فعلّمه وناصحه، فبرُع وكثرت روايتُه، وصنع فأجاد. وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه. واتّفق له اتفاقٌ سيئ : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح ابن العَوْراء وحَكَم الوادىّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملةً عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه :

أن إسحاق قال فى سُليم :

سُلَيمُ بْنُ سَلّام على بَرْدِ خَلْقِه * أحرُّ غِناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِزِ

سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى ابن علىّ عن أبيه عن إسحاق :

أنّ الرشيد قال لبَرْصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول فى ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أَسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزيد حَوْراء ؟ قال : ما أبْيَدَ أسنانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فحُسَين آبن مُحْرِز؟ قال: ما أهسن خظامه[(١)] ! (يريد ما أحسن خضابَه) . قال : فسُلَيم بن سلّام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

نصحه برصوما فى موضع غناء فضحك الرشيد

قال إسماعيل بن يونس فى خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق :

---

(١) فى حـ : « حضابه » .

وغنّى سُلَيم يومًا وبَرْصُومَا يزمُر عليه بين يدى الرشيد، فقصّر سُلَيم فى موضع صيحة، فأخرج برصوما النّاىَ من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله، صَيهة(١) أشدّ من هذا، صيهة(١) أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى آستلق . قال: وما أذكر أنى ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

كان يجيد الأهزاج فغنى الرشيد فوصله

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعَب :

١٣/٦

إنما أخّر سُلَيمًا عن أصحابه فى الصنعة وَلَعُه بالأهزاج، فإن ثُلُثَى صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنّى سُلَيم يومًا بين يدى الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهَزَج وِلاءً، أوّلها :

* مُتْ على من غبتَ عنه أسَفَا *

والثانى :

* أسرفتَ فى الإعراض والهَجْرِ *

والثالث :

* أصبح قلبى به نُدوبُ *

فاطر به وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال [له](٢) : لو كنت الحكَمَ الوادىّ ما زدْتَ على هذا الإحسان فى أهزاجك . (يعنى أنّ الحكم كان منفردًا بالهزج) .

نسبة هذه الأصوات

صوت

مُتْ على من غبتَ عنه أسَفَا * لستَ منه بمُصيبٍ خَلَفَا
لن تَرَى قُرّةَ عينٍ أبدًا * أوْ ترى نحوَهمُ مُنْصَرَفَا

(١) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : «ضبة» .   (٢) زيادة عن حـ .

قلتُ لمّا شفَّنى وجدى بهم * حَسْبِىَ اللهُ لِمَا بى وكفَى
بيّنَ الدمعُ لمن أبصرنى * ما تضمّنتُ إذا ما ذرَفا

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان ، أحدهما فى الأوّل والثانى هَزَج بالوسطى ، والآخر فى الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها :

صـــوت

أسرفتَ فى الإعراض والهجرِ * وجُزْتَ حدّ التّيه والكبرِ
الهجرُ والإعراض من ذى الهوى * سُلَّمُ ذى الغدر إلى الغدر
مالى وللهِجْران حَسْبِى الذى * مرّ على رأسى من الهجر
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى * ما عرّف الخيرَ من الشر

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر .

ومنها :

صـــوت

أصبح قلبى به نُدوبُ * أَنْدَبه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمَادِيًا منه فى التّصابى * وقد علا رأسىَ المَشيب
أظننى ذائقًا حِمامى * وأنّ إلمامَه قريب
إذا فؤادٌ شجاه حبٌّ * فقلّما ينفَع الطبيب

الشعر لأبى نُوَاس . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشامىّ . وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها .

كان أبوه من دعاة أبى مسلم

أخبرنى عمى قال حدثنا أحمـد بن أبى طاهر قال حدّثنى هارون بن مخارق عن أبيه قال :

كان سُليم بن سَلّام كوفيًّا ، وكان أبوه من أصحاب أبى مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته ، فكان يكاتب أهـلَ العراق على يده . وكان سُـليم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلا .

دعا صديقين ولما جاعا اشتريا طعاما فأكل معهما

قال أحمد بن أبى طاهر وحدثنى أبو الحواجب الأنصارىّ ، واسمه محمد ، قال :

١٤/٦

قال لى سُلَيم يومًا : اِمض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه ووَافِيانى مـع الظهر ؛ فجئناه مع الظهر ، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذًا ، ولم يُطْعمنا شيئا ، ولم نكن أكلنا شيئا . فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزا وبيضا ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل ؛ فدخل علينا ، فلمـا رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل النـاس ! تأكلون ولا تُطعمونى ! وجلس معنا فى الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِى الخبز والبيض .

طلب من محمد اليزيدى نظم شعر يغنى به الخليفة ففعل

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنى الفضل بن محمد اليزيدىّ قال حدثنى أبى قال :

كان سُلَيم بن سَلّام صديق وكان كثيرًا ما يغشانى . فجاءنى يومًا وأعلمنى الغلامُ بمجيئه ، فأمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك فى حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعـد غد ، وقد أُمِرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأريد أن أغنّيه لحنًا أصنعه فى شعرلم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أبياتا أُغنّى فيها مِلاحًا ؛ فقلت : على أن تُقيم عندى وتصنع بحضرتى اللحن ؛ قال : أفعل . فردّوا دابّته وأقام عندى ، وقلت :

صـــوت

أتيتُـــك عائذًا بك منْ * ـك لمّـا ضاقت الحِيَلُ
وصـــيّرنى هواك وبى * لحَيْنى يُضرب المثـــل
فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فمـا لا قيتُـــه جَلَـل
وإنْ قَتل الهوى رجلًا * فإنى ذلك الرجـــل

فغنّى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنّانا عدةَ أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذ .

سرق محمد اليزيدى معنيين من شعر مسلم بن الوليد

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدثنى محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثنى عبد الله(١) بن محمد اليزيدىّ قال حدّثنى أخى محمد قال :

سمعت أبى يقول(٢): ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلا معنيين : قال مسلم بن الوليد :

ذاك ظبيٌ تحيَّر(٣) الحسنُ فى الأر * كان منـــه وجال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الجبـالُ فمـا يَلْـ * ـقاك إلا فى النوم أو فى الأمانى

فاستعرتُ(٤) معناه فقلت :

صـــوت

يا بعيدَ الدار موصو(٥) * لًا بقلـــبى ولسانِى
ربّمـا باعَدَك الدهـ * ـرُ فأدنتْـك الأمانى

ــ الغناء فى هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشامىّ ــ .

---

(١) الظاهر أنه : «عبيد الله» لا : «عبدالله» ، وهو أخو الفضل والعباس ولدى محمد اليزيدى .

(٢) فى الأصول : «قول» ، وهو لا يلتئم مع سياق الكلام الآتى .

(٣) فى ب ، سـ : «تخير» (بالخاء المعجمة) وهو تصحيف .

(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فاستعرضت» .

(٥) نسبت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٤٤ طبع مصر) ليحيى بن المبارك اليزيدى المقرئ النحوى اللغوى صاحب أبى عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدى المنسوب اليه الشعر هنا .

قال : وقال مسلم أيضا :

متى ما تسمعى بقتيلِ أرض * فإنى ذلك الرجل القتيلُ

— ويُروى : "أُصيبَ فإننى ذاك القتيل" — فقلت :

أتيتُك عائذًا بك منْـ * ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرنى هواك وبى * لَحَيْنِى يُضرب المثل
فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فما لاقيتُه جَلَل
وإن قَتل الهوى رجلًا (١) * فإنى ذلك الرجل

١٥ / ٦

غنى مخارقا صوتا، فلما بلغ ابن المهدى طلبه وغناه إياه

وجدت فى كتاب علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعه من أحد :

أن إبراهيمَ بن المهدىّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده — قال حمدون : وكنت فيهم — وكان فيمن دعا مُخَارِق، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؛ فقال : لا والله أيها الأمير، ما كان آفتِي إلا سُليم بن سلّام؛ فإنه مرّ بى فدخل علىّ فغنّانى صوتًا له صنعه قريبًا فشربت عليه إلى السَّحَر حتى لم يبق فىّ فضلٌ وأخذتُه . فقال له إبراهيم : فغَنّنَاه (٢) إملالا، فغنّاه :

صوت

إذا كنتَ نَدْمانِى فباكِرْ مُدامةً * معتّقةً زُفّت إلى غير خاطبِ
إذا عُتّقَت فى دَنّها العامَ أقبلتْ * تَرَدّى (٣) رداءَ الحسن فى عين شاربِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول هنا : « فإن » . (٢) يريد : غننا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص . (٣) تردّى فلان : لبس الرداء .

— الغناء لسُليم خفيف ثقيل مطلق فى مجرى البنصر — قال فبعث إبراهيم إلى سُليم فأحضره، فغنّاه إياه وطرّحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا حتى صِرْنا فى حالة مُخارق وصار فى مثل أحوالنا .

صــــوت

من المـائة المختـارة

عَتَق الفؤادُ من الصِّبا * ومن السَّفاهـة والعـلاق
وحَطَطتُ رحـلى عن قَلو * ص الحبّ فى قُلُصٍ عِتـاق (١)
ورفعتُ فضـلَ إزارىَ الْـ * ـمجرور عن قدمى وساق
وكففت غربَ النفس حتّى ما تَتُـوق إلى مَتـاق

لم يقع إلينـا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنـه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره، بل قيل : إنه لعمرو .

(١) فى ب ، س : « العتاق » .

أخبار ابن عبّاد

نسبه وكنيته وصناعته

هو محمد بن عبّاد، مولى بنى مخزوم، وقيل : إنه مولى بنى جُمَح، ويُكْنَى أبا جعفر. مكّىّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخَذ عنه الغناء، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفِى عن أبى خالد الكِنَانىّ عن ابن عبّاد الكاتب قال :

والله إنى لأمشى بأعلى مكة فى الشِّعْب(١)، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان(٢) من أهل المدينة، فظننتُ أنهم قالوا له : هذا ابن عبّاد؛ فمال إلىّ فمِلْتُ إليه، فقال لى : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم؛ قال: مِلْ معى هاهنا، ففعلت؛ فأدخلنى شعبَ ابن عامر ثم أدخلنى دِهليز ابن عامر وقال : غنِّنى؛ فقلت : أغنّيك هكذا وأنت مالك ! — وقد كان يبلغنى أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم — فقال : بالله إلا غَنَّيْتَنى صوتا من صنعتك . فاندفعت فغنّيته :

١٦
―
٦

صوت

أَلَا ياصاحبىّ قِفَا قليلًا * على ربع تقادمَ بالمُنيف(٣)
فأمستْ دارهم(٤) شَحِطَت وبانت(٥) * وأضحى القلبُ يَخفُق ذا وجيف

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « فى الشعر » . (٢) فى حـ : «فتيان من أهل المدينة فما ظننت إلا أنهما قالا له » . (٣) المنيف : موضع قبل عمق (بفتح أوله وإسكان ثانيه : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز) وقيل : المنيف : حصن فى جبل صبر (ككتف) من أعمال تعز (بالفتح ثم الكسر والزاى مشددة) باليمن . وهناك منيف لحج أيضا وهو حصن قرب عدن .
(٤) فى حـ : « دورهم » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وناءت » .

وماغنّيته إياه إلا على احتشام . فلما فرغتُ نظر إلىّ وقال لى : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقكَ كأنه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبادٍ . ولحنه من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

وفاته ببغداد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيّوب المَدِينى قال حدّثنى جماعة من أهل العلم :

أنّ ابنَ عبّاد الكاتب تُوُفِّى ببغداد فى الدولة العباسية ودُفن بباب حرب[1] . وقال أبو أيوب : أظنه فيمن قدِم من مُغَنِّى الحجاز على المهدىّ .

صوت

من المائة المختارة

ياطللاً غيّره بَعدِى * صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنس ذا وَحْشَةٍ[2] * لستَ كما كنتَ على العهد
مالى أُبَكِّى طللا كلما * ساءلتُه عَىَّ عن الردِّ
كان به ذو غَنَجٍ[3] أهيفٌ * أحْورُ مطبوعٌ على الصَّدّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[4] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكىّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

---

(١) باب حرب : موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى أحد قواد أبى جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد . وفى مقبرة باب حرب قبر أحمد بن حنبل و بشر الحافى وأبى بكر الخطيب ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين . (٢) فى حـ : « فى وحشة » .
(٣) الغنج : التكسر والتدلل . (٤) أبو أحمد هو يحيى بن على بن يحيى المنجم .

اخبار يحيي المكى ونسبه

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبنى أمية لخدمته الخلفاء من بنى العباس

هو يحيي بن مرزوق، مولى بنى أمية، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بنى العبــاس خوفًا من أن يجتنبوه و يحتشموه ؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطن الذى ولاؤه لهم(1)، واستعفَى مَن سأله عن ذلك. ويُكْنى يحيي أبا عثمان. وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه مــولى خُزَاعة . وليس قولُه مما يحصَّل، لأنه لا يَعتمد فيه على رواية ولا دِرَاية .

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعى صديقنا رحمه الله قال حدثنى وَسْواسة بن الموصلىّ — وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن(2) إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّما، ولم أسمع هذا منه فكتبتهُ وأشياءَ أُخَرعن أبى بكر رحمه الله — قال حدثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبى :

سألت يحيي المكىّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش ؛ فاستزدتُه فى الشَّرح فسألنى أن أُعفيَه .

أخبرنى(3) عيسى بن الحسين الورّاق ويحيي بن علىّ بن يحيي قالا حدثنا أبو أيوب المدينى قال :

كان يحيي المكى يُكنَى أبا عثمان، وهو مولى بنى أُمَيّة، وكان يكتم ذلك و يقول: أنا مولى قريش .

مدحه أبان اللاحق وعارض الأعشى فى مدح دحمان

ولمــا قال أعشى بنى سُلَيم يمدح دَحْمان :

١٧ / ٦ كانوا فحو لًا فصاروا عند حَلْبتهم * لمّــا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيــانَا

(1) فى أ ، ء ، م : « له » . (2) راجع الحاشية — رقم ١ ص ١٥٤ من الجزء الخامس من الأغانى من هذه الطبعة . (3) فى ب ، س : « قال » . وهو تحريف .

فأَبلِغـوه عن الأعشَى مقالتَـه * أعشىٰ سُلَيم أبى عمرو سُليانـا
قولوا يقول أبو عمـرو لصُحْبته * ياليت دحمانَ قبل الموت غنّانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ — و يقال إن ابنه حَمْدان بن أبان قالها . والأشبه عندى أنها لأبان، وما أظنّ ابنه(١) أدرك يحيى — :

يامَنْ يُفضّل دحماناً و يمدحه(٢) * على المغنّين طُرًّا قلتَ بهتانَا
لوكنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به * لم تمتدح أبدًا ما عشتَ إنسانا
ولم تقُل سَفَهًا فى(٣) مُنيةٍ(٤) عَرَضتْ * ياليت دحمانَ قبل الموت غنّانا
لقد عجِبتُ لدحمانٍ ومادحِه * لاكان مادحُ دحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جرَيَا * بل قام فى غاية المجرى وما دانَى
بذّ الجيادَ أبو بكر وصيّرها * من بعد ما قَرِحتْ جُذْعًا وثُنيانا(٥)

يعنى بأبى بكرابنَ صغير العين، وهو من مغنّى مكة . وله أخبار(٦) تُذكَر فى موضعها إن شاء الله تعالى .

منزلته فى الغناء وتلاميذه

وعُمِّر يحيى المكى مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء مالم يُصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدىّ فى أوّل خلافته ، فخرج أكثرُهم وبقى يحيى بالعراق هو وولده

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول: «أنه» ، وهو تحريف . (٢) فى حـ : «يمدحته» .
(٣) فى أ ، ء ، م : «من» . (٤) المنيـة (بالضم وتكسر) : البغية وما يتمنى .
(٥) قرح الفرس : صار قارحا . والقارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل، وذلك فى الخامسة من سنه . والجذع (بضمتين وسكن لضرورة الشعر) : جمع جذع (بالتحريك) وهو ما كان فى الثانية من سنه . والثنيان (بالضم) : جمع ثنى وهو ما كان فى الثالثة من سنه .
(٦) لم نجد لأبى بكر هذا أخبارا فى الأغانى المطبوع فى بولاق . فلعل المؤلف أنسى أن يذكره، أو ذكره وسقط من الكتاب .

يُخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكى، وكان يغنّى مرتجِلا، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيُوقِع بقضيب على دواة . ولَقِيَه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا(1) من عجائز المغنّيات، منهم قُمْرية العَمْريّة، وكانت أمّ ولد عمرو بن بانة . وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة، وكتبنا عنه عن ابن المكى هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيح يفزَعون إليه فى الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايى(2) بعضُهم بعضا بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا(3) منها ووفّروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتاب فى الأغانى ونِسَبها وأخبارها [وأجناسها](4) كبيرٌ جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه فى رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيرا مما أفسده أبوه، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقّق مانسبه من الأغانى إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

عمل كتابا فى الأغانى وأهداه لعبد الله بن طاهر فصححه ابنه لحمد ابن عبد الله

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثنى وَسْواسة بن الموصلى قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى قال :

عَمِل جدّى كتابا فى الأغانى وأهداه إلى عبد الله بن طاهر، وهو يومئذ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرّ به؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عوارا(5) كثيرا

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ممن دركناه » .

(2) كذا فى أكثر الأصول . وعايا فلان فلانا معاياة : ألقى إليه كلاما أو عملا لا يهتدى لوجهه . وفى ب ، سـ : « يعانى » . وهو تصحيف . (3) فى ب : « أخذوه » وقد صححها المرحوم الشنقيطى فى نسخته فجعلها : « أحذوه » (بالحاء المهملة) . وأحذاه من الغنيمة : أعطاه .

(4) زيادة عن أ ، ء ، م . (5) العوار (مثلثة) : العيب .

فى نَسَبه، لأن جدّى كان لا يصحّح لأحد نسبة صوت البتّة، وينسُب صنعته إلى المتقدمين، وينحل بعضَهم صنعة بعض ضنًّا بذلك على غيره، فسقط من عين عبد الله وبقى فى خِزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد الله، فدعا أبى، وكان إليه محسنًا وعليه مُفْضِلا، فعرَضه عليه؛ فقال له : إن فى هذه(١) النِّسب تخليطا كثيرا، خلّطها أبى لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكنى أعمل لك كتابا أصحح هذا وغيرَه فيه . ١٨/٦ فعمل له كتابا فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم . وصحّح له الكتاب الأوّل أيضا فهو فى أيدى الناس . قال وَسْواسة : وحدّثنى حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكىّ تقديما كثيرا ويفضّله(٢) ويناضل(٣) أباه وآبنَ جامع فيه، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذى لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين : إمّا أن يكون مُحقًّا [فيه](٤) كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل[له](٤) وأوضح لتقدّمه عليكم . قال : وكان أبى يقول : لولا ما أَفسد به يحيى المكى نفسَه من تخليطه فى رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد . وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط فى نِسَب الغناء تخليطا كثيرا، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وآبن مُحرز، ويجتهد فى إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه](٥) من ذلك، فيأتى بأحسن(٦) صنعة وأتقنها،

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « هذا » .

(٢) فى ب، سـ : « ويصله » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ويواصل » وهو تحريف . (٤) زيادة عن حـ . (٥) هذه الكلمة ساقطة فى ب، سـ . (٦) فى ب، سـ : « أحسن » .

وليس أحد يعرفهـا؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يُشَكّ فى قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفى بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغنـاء وأخذه من مَظانّه ودوّنه، وكشف عَوَار يحيي فى منحولاته و بيّنها للناس .

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هـدايا وعاتبه

أخبرنى عمّى [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمـد آبن سعيد المـالكىّ — وكان مغنياً منقطعا إلى طاهر وولده وكان من القوّاد — قال:

حضرتُ يحيي المكىّ يوماً وقد غَنّى صوتا فسُئل عنه فقال : هذا لمـالك — ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت — ثم غَنّى لحنًا لمـالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لى؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا؟ فديتُك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنّى الصوت . فخجل يحيي حتى أمسك عنه؛ ثم غنّى بعد ساعة فى الثقيل الأول، واللحن:

صـــــوت

إنّ آلخليـطَ أَجَدّ فآحتملَا * وأراد غيظَك بالذى فعـلَا
فظَلِلْتَ تأمُل قربَ أَوْبَتهم * والنفسُ ممـا تأمُل الأَملا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض . فقال له إسحاق : يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته فى الغناء، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب . فآستحيا يحيي ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه . فلمـا انصرف بعث إلى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع، وكتب إليـه يعاتبه ويستكفّ شرَّه ويقول له : لستُ من أَقْرانك فتُضَادّنى، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَنى، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأعطيك ما تعـلم أنك لا تجده عنـد غيرى فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضَنى، فأُعطِى غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له، وأنت

١٩/٦ أولَى وما تختار . فعرف إسحاقُ صِدْقَ يحيى، فكتب إليه يعتذر، وردّ الألطافَ التى حملها إليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشَرط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد؛ فوفّى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان إذا حَزَبه أمرٌ فى شىء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونَصَحه؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى، فكان إذا سُئل بحضرته عن شىء صَدَق فيه، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق بطا ب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لآبنه أحمد : تعالَ حتى تأخذ مع أبى محمد ما الله يعلم أنى كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصّبا شديدا، ويَصفه ويقدّمه ويعترف بر ياسته، وكذلك كان فى وَصْف أحمدَ آبنِه وتقريظه .

عدد أصواته التى صنعها

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع فى كتب الأغانى إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد، والباقى متوسِّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد آبن يحيى المكىّ عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذى صحّ عندى منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعا مَنْ تقدّم منهم ومن تأخّر، فلم يُقِم له فيها أحد .

كان ينسب الأصوات عمدا لغير أصحابها فافتضح أمره

وقال حماد بن إسحاق قال لى أبى :

كان يحيى المكى يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسُبه إلى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسُبه غيرَ تلك النسبة؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فظهر عَواره، ولو لا ذلك لما قاومه أحد .

أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد

وقال أحمد بن سعيد المالكىّ فى خبره :

قال إسحاق يومًا للرشيد، قبل أن تَصْلُح الحال بينه و بين يحيى المكى : أتحب يا أمير المؤمنين أن أُظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسُبه من الغناء ؟ قال نعم . قال : أعطنى أىَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألنى بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنى سأنسُبه إلى رجل لا أَصْلَ له ، وآسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنه لا يمتنع من أن يدّعى معرفته . فأعطاه شعرًا فصنع فيه لحنا وغنّاه الرشيدَ؛ ثم قال له : يسألنى أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلما حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المدينى(1) . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنت لقيتَ غناديس المدينى ؟ قال : نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتا وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثا وعِتْقِ جواريه : أن الله ماخلق أحدا آسمه غناديس، ولا سُمع فى المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الآسم فى وقته ذلك لينكشف أمره .

علم إسحاق صوتا غناه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم

حدثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّى المرتجل قال :

غنى جدّى يومًا بين يدى الرشيد :

صوت

هل هَيّجتكَ مَغانِى الحىّ والدُّورُ(2) * فآشتقْتَ إن الغريبَ الدارِ معذورُ
وهل يُحَلّ بنا إذ عيشُنا أَنِقٌ(3) * بِيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمَى حُورُ

(1) فى حـ : « لعتاديس المدنى » .
(2) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « مغرور » .
(3) أنق الشىء (من باب علم) : راع حسنه .

— والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ — فسار إليــه إسحاق (١) وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال : نعم ، حبًّـا وكرامةً لك يٱبن أخى ، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليــه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلما انصرف بعث إلى جدّى بتَخْتِ (٢) ثياب وخاتم ياقوت نفيس .

٢٠/٦

دس له إبراهيم ابن المهدى من أخذ عنه صوتا بثمن عال

حدثنى جَحْظة قال حدثنى القاسم بن زُرْزُور عن أبيــه عن مولاه علىّ بن المـارِقىّ (٣) قال :

قال لى إبراهيم بن المهدىّ : وَيْلَك يامارقىّ! إن يحيى المكىّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذِكْرُ زينبَ ، وقد كان النبيذ أخذ منى فأُنسيت شعرَه ، وٱستعدتُه إياه فلم يُعِده ، فٱحتَلْ لى عليه حتى تأخذه لى منه ولك علىّ سبَق (٤). فقال لى المارقىّ — وأنا يومئذ غلامُهُ — اذهب إليه فقل له إنى أسأله أن يكون اليومَ عندى ؛ فمضيت إليه فجئته به . فلما تغدَّوْا وُضع النبيذ ؛ فقال له المـارقى : إنى كنت سمعتك تغنّى صوتا فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك — وكان يحيى يوفّى هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنــه إلا بحذر ، ولا يدع الطلبَ والمسألة ، ولا يُلقى صوتا إلا بِعوَض . قال لى جحظة فى هذا الفصل : هذا — فديتُك — فعلُ يحيى مع ماأفاده من المـال ، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر النا س ، لايُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم (٥) تغافلوا عنا ، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومنى أن أشتُمهم ؟ فقلت : ماعليك لوم .

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « فصار » . (٢) التخت : وعاء تصان فيــه الثياب . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « عن مولاه عن ابن المـارق قال » ، وهو تحريف ، لأن المـارق هو مولى زرزور كما يشعر بذلك سياق الحديث هنا وكما مر فى الجزء الرابع من هــذه الطبعة (ص ٩٣) . (٤) السبق (بالتحريك) : الخطر يوضع فى السباق من سبق أخذه . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وكارمه : أهدى اليه ليكافئه و يثيبه . وفى سائر الأصول : « مكارهة » وهو تحريف .

ــ قال: فقال له يحيى: وأىّ شىء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هــذا الصوتَ ؟ قال: ماتريد؛ قال: هذه الزِّرْبيّة الأرمينيّة(١)، كم تقعد عليها! أمَا آن لك أن تَمَلَّها؟ قال: بلى، وهى لك. قال: وهذه الظباء الحرميّة، وأنا مكىّ لاأنت، وأنا أولى بها؛ قال: هى لك، وأمر بحملها معه. فلما حَصَلت له، قال المارقىّ: ياغلام، هات العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لايغنّى أو يأخذَ خمسين درهما، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قولَه:

بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ * وقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما ملَّكِ القلبُ

ــ ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أول ــ فلم يشكّ المارقىّ أنه قد أخذ الصوتَ الذى طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه. فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له: لا والله ماهو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثنى إليه و بعث معى خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لى، ولم تكن بَرًّا ولا وَصولا، فما هذا ؟ قال: لاشىء والله إلا محبتى للأخذ عنــك والاقتباس منك؛ فقال: سَرَّكَ الله، فَمَــهْ. قال: تذكرتُ الصوت الذى سألتك إياه فإذا ليس هو الذى ألقيتَ علىّ. قال: فتريد ماذا ؟ قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغنّاه:

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أَفِدَا(٢) * قَلّ الثواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا

ــ والغناء لمعبد ثقيل أول ــ فقال له: نعم، فديتُك ياأبا عثمان، هذا هو، أَلْقِه علىّ؛ قال: العِوَض؛ قال: ماشئتَ ؟ قال: هذا المِطْرَف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه

(١) كذا فى أكثر الأصول. والزربية: واحدة الزرابىّ وهى البسط، وقيل كل ما بسط واتكئ عليه. وفى حـ: «الزلية» والزلية (بضم الزاى وتشديد اللام المكسورة): البساط، معرب «زيلو» بالفارسية، وجمعها زلالى. (٢) أفد: دنا.

٢١ / ٦

وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، و بكّر إلى إبراهيم؛ فقال له: ماوراءك؟ قال: قد قضيتُ الحاجةَ؛ فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال: خدعك والله، ليس هذا هو؛ فعاودْ الاحتيالَ عليه، وكلُّ ماتعطيه إياه ففى ذمّتى. فلما كان اليومُ الثالث بعث بى إليه، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فمالك أيضا؟ قال له: ياأبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذى أردتُ؛ فقال له: لست أعلم مافى نفسك فاذْكُرْه، وإنما علىّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لايبقى عندى زينب البتةَ إلا أحضرتها؛ فقال: هاتِ على اسم الله؛ قال: اذكرِ العِوَضَ؛ قلت: ماشئتَ؛ قال: هذه الدُّرّاعة[1] الوَشْىُ التى عليك؛ قال: فخذها والخمسين الدرهم؛ فأحضرَها. فألقى عليه —والغناء لمعبد ثقيلٌ أول—:

لزينبَ طيفٌ تعترينى طوارقُه * هدوءًا إذا النجمُ ارجحنّت[2] لواحقُهْ

فأخذه منـه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحُـرَم؛ فقال له حاجبه: هو متشاغل؛ فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه؛ فقال: يدخل فيغنّيه فى الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؛ فقال: لاوالله ماهو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى وهو يضحك: أمَا ظَفِرتَ بزينبك بعدُ؟ فقال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشكّ فى أنك تعتمدنى بالمنع مما أريده، وقد أخذتَ كل شيء[3] عندى معابثةً. فضحك يحيى وقال: قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة؛ قال: نعم، لك الشريطة؛ قال: لا تلُمنى فى أن أعابثك لأنك أخذت فى معابثتى، والمطلوبُ إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود

(١) الدراعة (كرمانة): جبة مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف، وجمعها دراريع.

(٢) ارجحنت: اهتزت ومالت. (٣) كذا فى ا، ء، م. وفى سائر الأصول: «وقد أخذت فى كل ... الخ». والظاهر أن «فى» مقحمة.

أن تحتال عليّ فإنك تظفر منى بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهدىّ عليّ لتأخذ منى صوتًا غنّيتُه، فسألنى إعادته فمنعتُه بخلًا عليه لأنه لا يلحقنى منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائى باطلا، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد، لا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْـد اعترافك، وإلا فلا تطمع فى الصـوت. فقال له: أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ، فتغنّه الآن بعينـه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه، ولو غنّيتَنى كلَّ شىء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلًا وما كسه (١) حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها إليه؛ وألقى عليه:

صـــوت

طَرَقَتْك زينبُ والمزَار بعيدُ * بمنى ونحن مُعرِّسون هجـودُ

فكأنما طَرَقتْ بريّا روضةٍ * أُنُفٍ تُسَحْسِح مُزْنَها وتَجُود

ـــلحنه خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النّغَم، مُحكَم الصَّنْعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـــ فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهدىّ، فقال له: قد أفقرنى هذا الصـوت وأعرانى، وأبلانى بوجه يحيي المكى وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّـة؛ فضحك إبراهيم. وغنّاه إياه، فقال: هـذا وأبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلَّ شىء أخذه يحيي منه وزاده خمسةَ آلاف درهم، وحَمله على بِرْذون أشهبَ فارهٍ بسرجه ولجامه. فقال له: يا سيّدى؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ (٢)، هَبْ له شيئا، فأمر له بألف درهم.

(١) فى الأصول: «وما كسه أبى حتى بلغ ... الخ». وراوى القصة هو زرزور غلام المارق لا ابنه. فلعل كلمة «أبى» مقحمة من النساخ. وما كسه فى البيع: شاحه واستحطه الثمن واستنقصه إياه.

(٢) ظلع: عرج وغمز فى مشيه.

غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فأبى

حدّثنى جحظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثتنى رَيِّق وشَارِية جميعا قالتا :

كان مولانا — تعنيان أبى — فى مجلس محمد الأمين يومًا والمغنّون حضور، فغنّى يحيى المكى — واللحن له خفيف ثقيل — :

صـــوت

خليــلٌ لى أهيمُ به ✽ فما كافا(1) ولا شَـكَرَا

بلى يُدْعَى له باسمى ✽ إذا ما رِيعَ أو عثَرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يُفسده. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده، ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تَطيب لك نفسى به إلا بعَوَض من مالك، ولا أنصحك والله فيه، فهذا مال مولاى أخذته، فلِمَ تأخذ أنت غنائى ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يَدَه وأعاد الصوت وجوّده، فنظر إلى مُخَارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت؛ ثم أقبــل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطّى أسـتاهَ عدّة صبيان، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبــل على مولانا — تعنيان إبراهيم بن المهدى — فقال : يا سيِّدى، إنى أصير اليك حتى تأخذَه عنّى متمكِّنًا ولا يَشْرَكك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه .

غنى للرشيد بتل دارا فأكرمه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدثنا أبو أيّوب المَدِينى قال حدثنى أحمد ابن يحيى المكى عن أبيه قال :

---

(١) كافا مسهل كافأ .

أرسل إلىّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسىّ بتَلّ دارا(١) ، فقال : يايحيى، غنِّنى :

متى تلتقى الأُلّافُ والعيسُ كلَّما * تَصعَّدْنَ من وادٍ هبطن إلى واد

فلم أزل أغنِّيه إيّاه و يتناول قدحًا إلى أن أمسَى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ،وشرب عشرةَ أقداح ،ثمّ أمرلى بعشرة آلاف درهم ،وأمرنى بالانصراف .

مدح اسحاق غناءه وذكر أصواتا له

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكى فى خبره حدثنى أبى أحمدُ بن يحيى قال :

قال لى إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتا ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبى : أىّ شىء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه فى شعر الأخطل :

صــــوت

خَفّ القَطِينُ فراحوا منكَ وآبتكروا(٢) * وأزعجتهم نَوًى فى صَرْفِها غِيَرُ

كأننى شاربٌ يومَ آستُبِدّ بهم * من قَهوةٍ عتّقتها حِمْص أوجَدَر(٣)

لحن يحيى المكىّ فى هذين البيتين ثقيل أول — هكذا فى الخبر — ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر، ولابن سُرَيج رمل .

---

(١) دارا (بالقصر) : بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين ، وهى من بلاد الجزيرة ، ذات بساتين ومياه جارية ، ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تتطيب به الأعراب ، وعندها كان معسكر دارا الملك بن قباذ الملك لما لقى الإسكندر المقدونى ، فقتله الإسكندر وتزوج ابنته . و بنى فى موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه . وهى أيضا قلعة حصينة فى جبال طبرستان ، و واد فى ديار بنى عامر .

(٢) فى أ ، ء ، م وديوان الأخطل : « ... .. أو بكروا » . وهذان البيتان من قصيدة له من فاخر شعره ، قالها يمدح عبد الملك بن مروان و يهجو قيسا و بنى كليب .

(٣) جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر ، وهى قرب دير إسحاق . وقد ورد الشطر الأخير فى ديوانه ومعجم البلدان هكذا : « من قرقف ضمنتها حمص أو جدر » .

قال : ومنها :

صـــــوت

بانَ الخليطُ فما أُؤَمِّله * وعفا من الرَّوْحاء(١) منزِلُهُ
ما ظَبيةٌ أدماءُ عاطِلةٌ * تحنو على طِفلٍ تُطَفِّله

لحن يحيى فى هذا الشعر ثانى ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لى إسحاق: وَدِدْتُ
٢٣ / ٦ أن هذا الصوت لى أو لأبى وأنى مُغَرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : "على طفل تطفّله" .

قال : ومنها :

صـــــوت

وكَفٍّ كُعوّاذ(٢) النقا لا يَضيرها * إذا برزتْ ألّا يكون خِضابُ
أنامل فُتْخٍ(٣) لا تَرى بأصولها * ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ

ولحنه من الثقيل الثانى .

قال : ومنها :

صـــــوت

صَادَتْك(٤) هندٌ وتلك عادتها * فالقلب مما يَشُفّه كَمِدُ

---

(١) الروحاء : قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة ، بينهما نحو أربعين ميلا . (٢) الظاهر أن الشاعر يريد « بعواذ النقا » الديدان التى تعوذ بالنقا (الكثيب من الرمل) وتلوذ به . وقد ورد كثيرا فى الشعر العربى تشبيه أصابع النساء وأنامل العذارى بهذه الديدان . قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك إسحل

(ظبى : اسم كثيب . والأساريع : دواب تكون بالرمل صغار بيض ملس ، واحدها أسروع ويسروع) . ويقال لهذه الديدان بنات النقا ؛ قال ذو الرمة :

خراعيب أملود كأن بنانها * بنات النقا تخفى مرارا وتظهر

(٣) فتخ : رخصة لينة . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٤) فى ب ، س : «صادتها» . وهو تحريف .

كم تشتكى الشوقَ من صبابتها * ولا تبالى هـندٌ بما تجد

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها :

صـــوت

أَعَسيتَ مِن سَلْمى هوا * كَ اليومَ محتلًّا جديدَا
ومَرابِطَ الخيلِ الجيا * دِ ومنزلًا خَلَقًا هَمُودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضا .

قال : ومنها :

صـــوت

ألَا مرحبًا بخيالٍ ألمّْ * وإن هاج للقلب طولَ الأَلَمْ
خيالٌ لأسماءَ يَعتادنى * إذا الليلُ مَدَّ رِواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

صـــوت

كم ليلةٍ ظلماءَ فيكِ سَرَيْتُها * أُتعبتُ فيها صُحْبتى وركابى
لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءَها * ومواضعَ الأوتاد والأَطناب(١)

لحنه ثانى ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكىّ : غنّى أبى الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له : قم يايحيى فخذ مافى ذلك البيت ؛ فظنّه فرشا أو ثيابا، فإذا فيه أكياس فيها عَيْن ووَرِق؛ فحُملتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَيْن .

(١) الأطناب : حبال طوال يشد بها سرادق البيت، واحدها طنب .

قال : ومنها :

صـــــوت

إنى آمرؤٌ مالى يَقِى عِرْضى * ويَبيت جارى آمنًا جَهْلى
وأرى الذَّمامَةَ(١) للرَّفِيق إذا * أَلقَى رِحالتَه(٢) إلى رَحْلى(٣)

ولحنُه خفيفُ ثقيل . قال ابن المكى غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يومًا البيتَ الأول من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئا، فأُعجب به الرشيدُ واستردّه مرارًا، وأَسْكت لابن جامع المغنّين جميعا، وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشرِ خِلَع، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكىّ فاستأذن عليه، فأذِن له، فأخبره بالذى كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أَفزَاد على البيت الأول شيئا ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتًا ثانيا لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لى؟ قال: النصف مما يصل إلىّ بهذا السبب؛ قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهـدًا وشرطًا واستحلفه عليه أيمانا مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثانى وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنّون من غد ودُعى به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هـذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثانى وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشرِ خِلَع؛ فحَمَـل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهـه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليـه من دار الرشيد، وكان يحيى فى بقايا علّة فآحتجب عنه؛ فدفَع ابنُ جامع فى صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له : إيه يا يحيى، كيف صنعتَ!

٢٤/٦

(١) الذمامة : (بالفتح والكسر) : الحرمة والحق . (٢) الرحالة والرحل : مركب للبعير، وهما أيضا : منزل الرجل ومسكنه وبيته . (٣) فى حـ : «على» .

ألقيتَ الصوت على الجُرْمقانىّ[(١)] ! لارفع الله صَرْعتَك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ .

مدحه إسحاق الموصلى فى جمع من المغنين عند الفضل ابن الربيع

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى عن أبيه قال قال لى إسحاق :

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبى العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يومًا عند الفضل بن الربيع ؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك (يعنى يحيى)[(٢)]، فجعلا يُغنّيان ويُبارى كلُّ واحد منهما صاحبَه، وذلك يُعجب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجَب به . فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم . فأقبل الفضل علىّ وقال : احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ماهما فيه ؛ فقلتُ : لئن كان ما يَرويه يحيى ويغنّيه شيئا لغيره فلقد روى مالم يَرْووه ومالم نَرْوِه، وعَلِم ما جهِلناه وجهِلوه، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً، وما أعرف أحدًا أروى منه ولا أصحّ أداءً للغناء، كان مايغنّيه له أو لغيره . فسُرّ بذلك الفضلُ وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لى .

صــــوت
من المـائة المختـارة

أهاجتْــك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزِّىّ الجميـل من الأثاثِ
ظعائنُ أُسـلِكتْ نَقْبَ المُنَقّى[(٣)] * تُحَثّ إذا ونتْ أىَّ احتثـاث

الشعر للنُّمَيرى . والغناء للغريض، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر .

(١) الجرمقانى : واحد الجرامقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام .

(٢) فى أ، ء، م : «لأبيك يحيى» . (٣) فى معجم البلدان لياقوت (مادة نقب) : «... ونقب المنقى بين مكة والطائف فى شعر محمد بن عبدالله النميرى ...» وذكر الأبيات . وفى كلامه على المنقى : «والمنقى بين أحد والمدينة» . وفى معجم ما استعجم : «المنقى بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد القاف موضع على سيف البحر مما يلى المدينة» . وذكر المبرد أبيات النميرى فى الكامل (حـ ١ ص ٣٧٦) ثم قال : «المنقى : موضع بعينه . والنقب : الطريق فى الجبل ...الخ» .

أخبار النُّمَيرىّ ونسبه

نسبة ومنشؤه

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشة(١) بن رَبيعة بن حُبَيِّب(٢) بن الحارث بن مالك ابن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِىّ؛ وقَسِىّ هو ثَقيف . شاعرٌ غَزِل، مولَّد، ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها .

٢٥
٦

كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف، وسياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها

حدّثنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط بن بكر المُحَارِبىّ(٣)، وأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبيب بن نصر المهلَّبىّ قالوا حدثنا عمر بن شَبّة :

أن النميرىّ كان يهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمه . وأمهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقَفىّ ؛ وكانت عند

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م ، والاستيعاب (حـ ١ ص ٣١٢) والطبرى (ق ١ ص ١٦٨٩) ، والاشتقاق لابن دريد (ص ١٨٤) . وفى سائر الأصول : «حرشة» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) فى جميع الأصول : « ... ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن مالك ... الخ » . والظاهر أنه محرف عما أثبتناه . فقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف عند الكلام على ثقيف (ص ٤٤) أن ثقيفا ولد جشم وولد جشم حطيطا وولد حطيط مالكا وغاضرة ، ومن بنى مالك السائب بن الأقرع و بنو الحارث بن مالك . وذكر الذهبي فى المشتبه عند الكلام على حبيب (ص ١٤٦ — ١٤٧) قال : «... وحبيب (بضم الحاء وفتح الموحدة وتشديد المثناة وكسرها) ابن الحارث بن مالك الثقفى ... الخ» . وقال صاحب شرح القاموس (مادة حبب) : «... وحبيب بن الحارث الثقفى» . ولم نجد مرجعا اتفق مع الاصول فيما ذهبت اليه من سوق النسب على نحو ما أوردته وجعل الحارث ابنا لحبيب .

(٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الاصول : « بكير » وهو تحريف . (راجع الهامشة رقم ١ ص ٩٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوما بُكْرَةً وهى تتخلّل، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت(١)، ولئن كان من عَشاء لقد أَنتنتِ، وطلقها(٢) . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت ! والله ما هو إلا مِن شَظيّة من سواكى استمسكتْ بين سِنّيْن من أسنانى . قال حَبيب بن نصر خاصّةً فى خبره : قال عمر بن شبّة حدثنا بذلك أبو عاصم النّبيل .

أخبرنى حَبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثّقَفىّ ، وحدثنا به ابن عمّار والجوهرىّ عن عمر بن شَبّة — ولم يذكرا(٣) فيه يعقوبَ بن داود — قالوا جميعا :

قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَلىّ — وكان قاضى الجماعة بالمدينة — : إنى لمع محمد بن عبد الله بن نُمير بنَعْمان(٤) وغلام يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة ؛ فقلت : من هذا؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسف، دعه(٥) فإنى ذكرت أختَه فى شعرى، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبة فى خبره : وولدت الفارعة أمُّ الحجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت؛ فنازع الحجاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد فى ميراثها؛ فأغلظ الحجاج لعُروة، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطًا على رأسه وقال : لأبى عبد الله تقول هذه المَقالة!

(١) فى أكثر الأصول : «أجشعت» . وفى حـ : «أبشعت» . والمعروف فى هذين الفعلين أنهما من باب فرح . وقد وردت هذه القصة فى العقد الفريد (حـ ٣ ص ٦) وفى وفيات الأعيان فى ترجمة الحجاج باختلاف فى ألفاظها . (٢) فى حـ : «ولفظها وطلقها» . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « ... يذكروا ... الخ » وهو تحريف . (٤) نعمان (بفتح أوله وسكون ثانيه) : هو نعمان الأراك، واد بينه وبين مكة نصف ليلة . (٥) فى ب ، س ، حـ : «قلت دعه» ولا تستقيم العبارة بهذه الزيادة .

وكان الحجاج حاقدًا على آل زياد ينفيهم من آل أبى سفيان ويقول : آل أبى سفيان سُتْهٌ(١) حُمْشٌ، وآل زياد رُسْحٌ حُدْلٌ(٢) .

وكان يوسف بن الحكم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنذرت زينب إن عُوفى أن تمشى إلى البيت(٣)، فعُوفى فخرجت فى نسوة فقطعن بطن وَجّ(٤)، وهو ثلثمائة ذراع، فى يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شهر . فبينما هى تسير [إذ](٥) لقيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيرى أخو محمد بن عبد الله منصرفًا من العمرة . فلما قدم الطائف أتى محمدًا(٦) يسلّم عليه ؛ فقال له : ألك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم، لقيتها بالهَمَاء(٧) فى بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئا ؛ قال : نعم، قلتُ بيتًا واحدا وتناسيته كراهة أن يَنْشَب بيننا وبين إخوتنا شرّ . فقال محمد هذه القصيدةَ وهى أول ما قاله :

صوت

تَضَوّع مسكًا بطنُ نَعْمان إذ مشتْ(٨) * به زينبٌ فى نسوة عَطِرات(٩)

فأصبح ما بين الهَمَاء فحَزوة(١٠) * إلى الماء ماء الجِزْع ذى العُشَرات(١١)

(١) سته : عظام الأستاه . وحمش : دقاق السوق . (٢) رسح : جمع ارسح، وهو قليل لحم العجز والفخذين . والحدل : جمع أحدل، وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر . (٣) المراد به الكعبة . (٤) وج : اسم واد بالطائف وهو ما بين جبلى المحترق والأحيحين (بالتصغير) . (٥) زيادة عن حـ . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «محمد» بالرفع» . (٧) الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكة . (٨) وردت هذه القصيدة كاملة وباختلاف كثير ضمن قصائد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٤٥ أدب) . (٩) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى والكامل (ص ٢٨٩) : «أن» . (١٠) كذا فى جميع الأصول . وفى تجريد الأغانى : «وجذوة» ولم نعثر فى المراجع التى بين أيدينا على مكان تسمى بأحد هذين الاسمين . وقد أورد ياقوت فى كلامه على الهماء هذا البيت برواية أخرى وهى :

فأصبح ما بين الهماء فصاعدا * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(فى المعجم : «فأصبحن») . ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

فأصبح بطنان الهواء بجوزه * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(١١) العشرات : جمع عشر (بضم ففتح) . وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعدا فى السماء، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفى سكره شىء من مرارة .

لهُ أَرَجٌ من مُجْمَرِ الهنـد ساطعٌ (١) * تَطلَّـعُ رَيّاه من الكَفِرات (٢)
تَهادَين ما بين المُحَصَّب (٣) من مِنًى * وأقبلن لا شُعْثًا ولا غَبِرات (٤)
أعان الذى فوق السموات عرشُه * مَواشِىَ بالبَطْحاء مُؤْتَجِرات (٥)
مَرَرْن بِفَخٍّ (٦) ثم رُحْن عشيّةً * يُلبِّين للرحمن معتمِرات
يُخَبِّئن (٧) أطرافَ البَنان من التقى * ويقتلن بالألحاظ مقتدِرات ٢٦ ٦
تَقَسَّمن لُبِّى يومَ نَعْمانَ إننى * رأيتُ فؤادى عارِمَ (٨) النظرات
جَلَوْنَ وجوهًا لم تَلُحْها سمائمٌ * حَرورٌ ولم يَسْفَعن بالسَّبَرات (٩)
فقلتُ يَعافيرُ الظباءِ تناولتْ * نِياعَ (١٠) غصون المَرْد (١١) مُهْتَصِرات
ولما رأتْ ركبَ النُّمَيرىّ راعَها * وكُنّ من أن يَلْقَينَه حَذِرات

---

(١) فى المجموعة المخطوطة :

* له أرج بالعنبر الورد فاغم *

(٢) الكفرات : جمع كفر (بفتح الكاف وكسر الفاء) وهو العظيم من الجبال. (٣) المحصب : موضع بين مكة ومنى، وهو الى منى أقرب. (٤) فى المجموعة المخطوطة :

« تهادين ما بين المحصب من منى * ونعمان ... ... الخ »

(٥) مؤتجرات : طالبات للأجر. وفى تجريد الأغانى : «معتجرات» أى لابسات المعاجر وهى أثواب تلفها النساء على استدارة رءوسهن ثم يجلببن فوقها بجلابيبهن. ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

خرجن إلى البيت العتيق بعمرة * نواحب فى نذر ومؤتجرات

(٦) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة. (٧) فى المجموعة المخطوطة : « يخمرن » . ويقال : ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يديها قفازان للتقى .

(٨) أى شارد النظرات حائرها. (٩) لاحته الشمس ولوحته : لمحته وغيرت وجهه. والسمائم : جمع سموم وهى ريح حارة أو حر النهار. وسفعته : غيرته. والسبرات : جمع سبرة (بسكون الباء) وهى شدة برد الشتاء. (١٠) فى جميع الأصول : «يناع» . والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. والنياع من الغصون : التى تحركها الرياح فتتحرك وتتمايل. يريد أن أعناقهن فى امتدادها كأعناق الظباء. (١١) كذا فى أ، ء، م وتجريد الأغانى والمجموعة المخطوطة. والمرد (بالفتح) : الغض من ثمر الأراك وقيل ناضجه. وفى جميع الأصول : « الورد » .

فأَدْنَيْن، حتى جاوز الركبُ، دونها * حجاباً من القَسِّىّ(١) والحِبَرات
فكدتُ آشتياقًا نحوَها وصَبابةً * تَقَطَّعُ نفسى إثْرَها حَسَرات
فراجعتُ نفسى والحفيظةَ بعد ما * بَلَلْتُ رداءَ العَصْب(٢) بالعَبَرات

— غنّى ابن سُرَيج فى الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان، فكتب إلى الحجّاج : قد بلغنى قول الخبيث فى زينب، فآلْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته، وإن عاقبته صدّقته .

أخبرنى حَبِيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا أبو سَلَمة الغِفَارىّ قال :

هَرَب النُّمَيْرِىّ من الحجّاج إلى عبد الملك وآستجار به؛ فقال له عبد الملك : أنشدنى ما قلتَ فى زينب فأنشده . فلما انتهى إلى قوله :

ولما رأتْ ركبَ النميرىّ أعرضتْ * وكُنَّ مِنَ آن يَلْقَيْنه حَذِرات

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميرىّ ؟ قال : أربعة أَحْمِرة لى كنت أجلُبُ عليها القَطِران، وثلاثة أَحْمِرة صحبتى تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى آستغرب ضحكًا، ثم قال: لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل

(١) القسى : ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قس، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير . والحبرات : جمع حبرة (كعنبة)، وهى ضرب من برود اليمن موشى . وروى هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

وقام جوار دونها فسترنها * بأكسية الديباج والحبرات

(٢) العصب : ضرب من البرود، وقيل : هى برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لا تثنى ولا تجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليها، فيقال برد عصب وبرود عصب .

له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبى مسلم فقال له : أنا برىء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده، فأنشده قولَه :

تَضوّعَ مسكًا بطنُ نَعمان إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة خَفِراتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأت ركبَ النُّمَيْرىّ راعها * وكنّ مِنَ آن يلقينه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْن بفَخّ رائحاتٍ عشيةً * يُلبّين للرحمن معتمِراتِ

فقال : صدقتَ، لقد كانت حجّاجةً صَوّامةً ماعلمتُها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخَمِّرن أطرافَ البنان من التقى * ويخرجن جنحَ الليل مُعْتَجِراتِ (١)

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنى أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب ، وقولَك قولَ برىء، وقد أمّنتك، ولم يَعْرِض له . قال أبو زيد (٢) : وقيل : إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة : ٢٧ / ٦

---

(١) تقدم هذا الشطر بغير هذه الرواية . (٢) هو أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى ، كان شاعرا إخباريا فقيها صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع . روى عن أبى عاصم النبيل ومحمد بن سلام الجمحى وهارون بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر وغيرهم . وله عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، ومنها كتاب أخبار بنى نمير . ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٦٣ هـ .

من شعره فى زينب

قال أبو زيد : وقال النُّمَيرىّ فى زينب أيضا :

صــــوت

طَرِبتَ وشافتك المنازلُ من جَفْنِ (١) * ألَا ربمـا يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى * فأعولْتهـا (٢) لو كان إعوالُهـا يُغنى
فـوالله لا أنساكِ زينبُ مادعتْ * مُطوَّقـةٌ ورقاءُ شجـوًا على غُصن
فإنّ احتمال الحىّ يومَ تحمّـلوا * عَناك وهل يَعنيك إلا الذى يَعنى
ومُرْسِلة فى السرّ أن قد فضحتَنى * وصرّحتَ باسمى فى النَّسيب فما تَكْنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلَّ عشيرتى * ليَهْنِئْك ما تهـواه إن كان ذا يَهْنى
وقـد لامنى فيهـا ٱبنُ عمّىَ ناصحًا * فقلتُ له خذ لى فؤادىَ أو دَعْنى

— غنّى ابنُ سُريج فى الأوّل والثانى والخامس والسادس من هذه الأبيات لحنًا من الرمل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فيقال : إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ؛ فقالت لها خادمتها : ما يُبكيكِ ؟ فقالت : أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بى لا يَعرفنى ولا يعلم مذهبى فيراه حقًّا .

قال : وقال النميرىّ فيها أيضا :

أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزىّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى * تُحَثّ إذا ونتْ أىَّ احتثاث
تُؤَمّل أن تُلاقِىَ أهلَ بُصْرَى * فيــالك من لقــاء مستراث (٣)

---

(١) جفن : اسم واد بالطائف لثقيف ، وهو بين الطائف و بين معدن البرام . (٢) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء . (٣) كذا ورد هذا الشطر الأخير فى ا ، ى ، م وتجريد الأغانى . ومستراث : مستبطأ . وفى سائر الأصول :

* فيالك مستزار مستراث *

كأنّ على الحدائج يوم بانوا * نِعاجًا(١) ترتعى بَقْل البِراث(٢)
يُهيّجنى الحمام إذا تَداعَى(٣) * كما سَجَع النوائحُ بالمَراثى
كأن عيونهنّ من التبكّى * فصوصُ الجَزْع(٤) أو يُنْع الكَبَاث
أَلَاقٍ أنت فى الحِجَج البواقى * كما لاقيتَ فى الحِجَج الثلاث

طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلا فلقيه الحجاج ولم يعرض له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى حدّثنا عثمان ابن حَفْص وغيره :

أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ غلامًا منّا قال فى ابنتى زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه فى بنت عمّه ، وإن هذا (يعنى ابنَه الحجّاج) لم يزل يَتَشَوّق إليه ويَهُمّ به ، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحجّاج فقال له : إن محمدًا النُّمَيْرىّ جارِى ولا سلطانَ لك عليه ، فلا تعرِض له .

قال إسحاق فحدّثنى يعقوب بن داود الثَّقَفى قال : قال لى مسلم بن جُنْدَب الهُذَلىّ :

كنتُ مع النُّمَيْرىّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخّر النميرىّ حتى كان فى آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ علىّ ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أنشِدْنى ما قلتَ فى زينب؛ قال : ما قلتُ إلا خيرًا؛ قال : لَتُنشِدَنّى . فأنشده قولَه :

---

(١) الحدائج : جمع حديجة . والحديجة (ومثلها الحدج بالكسر) : من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . والنعاج : البقر الوحشى . (٢) البراث : الأماكن السهلة من الرمل ، واحدها برث (بالفتح) . (٣) فى الكامل (ص ٣٧٧) : «تغنى» . (٤) الجزع (بالفتح) : الخرز اليمانى الذى فيه سواد و بياض ، تشبه به الأعين . و ينع : جمع يانع . والكباث (بالفتح) : النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه ، وقيل : حمله إذا كان متفرقا ، وهو فويق حب الكسبرة فى المقدار .

٢٨ / ٦

تَضوّع مسكًا بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة عَطِراتِ
أعان الذى فوقَ السموات عرشُه * مَواشىَ بالبَطْحاء مؤتجِرات
يخمّرن أطرافَ الأكُفّ من التُّقَى * ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجِرات

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرمًا وخيرًا وطيبًا . قال : فأنشدْ كلمتَك كلَّها فأنت آمن ؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولمّا رأتْ ركبَ النُّميرىّ راعها * وكُنّ من آن يَلْقَيْنه حَذِراتِ

فقال له : وما كان ركبُك؟ قال : والله ما كان إلا أربعة أَحْمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعْرِض له .

تهدده الحجاج فهرب وقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن الخليل بن أَسد عن العُمَرىّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن نُمير الثّقفىّ يشبّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم ؛ فكان الحجّاج يتهدّده ويقول : لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدَن(١)، وقال فى هربه :

أتتْنى عن الحجّاج والبحرُ بيننا * عقاربُ تَسْرِى والعيونُ هواجعُ
فضِقْتُ بها ذَرْعًا وأجهشتُ خِيفةً * ولم آمَن الحجّاجَ والأمرُ فاظعُ
وحلَّ بىَ الخطبُ الذى جاءنى به * سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالع
فبِتُّ أُديرُ الأمرَ والرأىَ ليلتى * وقد أخضلتْ خدّى الدموعُ التوابع(٢)
ولم أرَ خيرًا لى من الصبر إنه * أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْنى الفواجع

(١) هو بحر القلزم ، ويسمى فى كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع ، وإذا قاربه بطن اليمن يسمى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج ، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شىء . وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يرفع ما يخرج منه إلى عدن . (٢) فى معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٠ طبع أوربا) : «الدوافع» .

وما أَمِنتْ نفسى الذى خفتُ شرَّه * ولا طاب لى مما خَشِيتُ المضاجع
إلى أن بدا لى رأس إسْبِيلَ (١) طالعًا * وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابع
فلى عن ثَقيفٍ إن هممتُ بنَجْوة * مَهامِهُ تَهوِى (٢) بينهنّ الهَجارِع (٣)
وفى الأرض ذاتِ العَرْض عنك ابنَ يوسف * إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لكَ واسع
فإن تِلْتَنى حَجّاجُ فاشتفِ جاهدًا * فإنّ الذى لا يحفظ اللهُ ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يقدر عليه . وطال على النُّمَيرىّ مقامه هاربًا وآشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُميرىّ ! أنت القائل :

* فإن تلتَنى حَجّاجُ فآشْتَفِ جاهدًا *

فقال : بل أنا الذى أقول :

أخاف من الحجّاج ما لستُ خائفًا * من الأسد العِرْباضِ (٤) لم يَثْنِه ذُعْرُ
أخاف يَدَيْه أن تنالا مَقاتلى * بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذى أقول :

فهأنذا طَوَّفْتُ شَرقًا ومَغْرِبًا * وأُبْتُ وقد دَوَّخْتُ (٥) كلَّ مكان

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م وتجريد الأغانى ومعجم البلدان . وإسبيل : جبل فى مخلاف ذمار ، وهو منقسم بنصفين نصف إلى مخلاف رداع ونصف إلى مخلاف عنس . وبين إسبيل وذمار أكمة سوداء ، بها جمة (بئر) تسمى « حمام سليمان » والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك . وفى سائر الأصول : « إسبيك » بالكاف ، وهو تحريف . (٢) فى أ ، ء ، م ومعجم البلدان : « تعمى » . والعمى هنا كناية عن الضلال . (٣) الهجارع : جمع هجرع (كدرهم وجعفر) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية . (٤) العرباض : الأسد الثقيل العظيم . (٥) دوّخ فلان البلاد : سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها .

فلو كانت العَنْقاء منكَ تَطير بى ﴿ لخلتُــك إلا أن تَصُــدّ ترانى (١)

قال : فتبسّم الحجاج وأمّنه، وقال له : لا تعاود ما تعلم؛ وخلّى سبيلَه .

زواج زينب أخت الحجاج وتولية كريّها شرطة البصرة

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق .

قال حمّاد فحدّثنى أبى قال ذكر المدائنىّ وغيره :

٢٩ / ٦

أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوجها محمدَ بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقيل — وهو آبن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يومئذ أشرف ثقفىّ فى زمانه — أو الحكم آبن أيوب بن الحكم بن أبى عَقيل، وهو شـيخ كبير، فاختارت الحكم، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام. وكان محمد بن رياط كَرِيَّها، وهو يومئذ يُكْرِى. فلما ولى الحجاجُ العراقَ آستعمل الحَكَم بن أيوب على البصرة، فكلمته زينبُ فى محمد بن رياط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجاج : إنك ولّيتَ أعرابيًّا جافيًا شرطتَك، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه . قال : ثم أنكر الحَكَمُ بعض تَعَجْرُفه فعزله . ثم آستعمل الحجّاجُ الحكَمَ بن سعد العُذْرىّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها وآستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعامًا وخرجت متنزِّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة .

---

(١) هذان البيتان رواهما المبرد فى الكامل ببعض تغيير وهما :

هاك يدى ضاقت بى الأرض رحبها ﴿ وإن كنت قد طوّفت كل مكان

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها ﴿ لخلتــك إلا أن تصــدّ ترانى

وقد نسبهما المؤلف أيضا للعــديل بن الفرخ فى ترجمتــه (ج ٢٠ ص ١٨ طبع بولاق) . وذكر أن الحجاج جدّ فى طلبه حتى ضاقت به الأرض، فأتى واسطا وتنكر وأخذ بيده رقعة ودخل إليه مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقت بى الأرض كلها ﴿ إليــك وقــد جولت كل مكان

فلو كنت فى ثهلان أو شعبتى أجا ﴿ لخلتــك إلا أن تصـــدّ ترانى

فقيل لها : إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فقالت لها زينب : أَرِينى ساقَكِ؛ فقالت : لا، إلا بخلوة؛ فقالت : ذاك لكِ، فكشفتْه لها، فأعطتها ثلاثين دينارا وقالت : اتّخذى منها خَلخالا . قال : وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفًا عليهنّ . فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتابًا إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهى راكبة على بغلة فى هودج، فنشرتْه تقرؤه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفَرت، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرّأ(١) جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول، الذى نفَذ بالفتح، بوفاة زينب . فقال النميرىّ يرثيها :

ماتت زينب فرثاها

صـــوت

لزينبَ طيفٌ تعــتريني طوارقُه * هُدوءًا إذا(٢) النجم ارْجَحَنّتْ(٣) لواحقُهْ
سيَبكيكِ مِرْنانُ العشيِّ(٤) يُجيبُه(٥) * لَطيفُ بنانِ الكفِّ دُرْمٌ(٦) مَرافقه
إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقِيتْ(٧) * لِلَــذّاته أنماطُــه ونمارقُه(٨)

غنّاه معبد، ولحنه ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ومابقى من شعره(٩) من الأغانى فى نَسيب النميرىّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وتهرأ اللحم (بالهمز) : طبخ حتى يتفسخ ويسقط عن العظم . وفى ب، سـ : «تهرى» . ولم يحكها من أهل اللغة غير ابن دريد عن ابى مالك . (٢) فى ب، سـ : «إذ» . (٣) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٤) مرنان العشىّ : كنى به عن الصنج ذى الأوتار وهو من آلات الطرب . والرنين : الصوت الشجى . (٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : «نجيبه» . (٦) درم : جمع أدرم وهو من لاحجم لعظامه . (٧) فى الكامل : «وقربت» . (٨) نسب المبرد فى الكامل (ص ٨٠٧ طبع أوربا) هذا البيت لنصيب . (٩) ظاهر أن السياق يكون واضحا لو حذفت كلمة «من شعره» أو كلمة «فى نسيب النميرى» . فلعل إحداهما من زيادات النساخ .

غنى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر فنحر راحلته وشق حلته

صــــوت

تَضوّع مسكًا بطنُ نَعْمان أنْ مشتْ * به زينبٌ فى نسـوة خَفِـراتِ
مَرَرْن بفَخٍّ رائحاتٍ عشـيةً * يُلبِّين للرحمن مُعتمِـرات

الغناء لابن سريج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنى (١) عن عبد الله بن مُسْلِم الفِهرِىّ (٢) قال :

خرج عبد الله بن جعفر متنزِّهًا ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزِّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة : غَنِّينى فغنّتْه ، ثم قال لابن سُريج : غنّنى يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه فى شعر النميرىّ :

* تَضوّع مسكًا بطنُ نَعْمان أن مشتْ *

٣٠/٦ فأمر براحلته فنُحرت ، وشَقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّة والنصفَ الآخر على ابن سريج . فبـاع ابنُ سريج النصفَ الذى صار إليـه بمائة وخمسين دينارا . وكانت عزّة إذا جلست فى يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخرَ عليها تتجمّل به .

سمع سعيد بن المسيب شعرا له فأعجبه وزاد عليه

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى عبد الله بن أبى سـعد قال حدّثنى الحسن بن علىّ بن منصور قال أخبرنى أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمـد بن العباس المُطّلبى :

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبـد الله بن أبى سيف المدائنى مولى شمس بن عبـد مناف . كان من رواة الأخبار المشهورين . ولد سـنة ١٣٥ هـ وتوفى سنة ٢٢٥ هـ فى منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وكان منقطعا إليه . وله من الكتب عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى الفهرى ، أحد الأعلام المعروفين ، ولد سنة ١٢٥ هـ وتوفى سـنة ١٩٧ هـ . وكان ممن جمع وصنف ، وله تصانيف كثيرة ، وهو الذى حفظ علم أهل الحجاز ومصر . وروى عنه كثيرون ، والمدائنى المذكور أحد من رووا عنه .

أنّ سـعيد بن المُسيّب[1] مرّ فى بعض أزِقّة مكة، فسمع الأخضرَ الحَرْبىّ[2] يتغنّى فى دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكًا بطنُ نعمانَ إذ مشت * بـه زينبٌ فى نسـوة خَفِـراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يَلَذّ ٱستماعه، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها * وأبدت بنـانَ الكفّ للجَمَـراتِ[3]

وعَلّت[4] بَنان[5] المسـك وَحْفًا[6] مرجّـلا * عـلى مثـل بَدْرٍ لاح فى الظلمـات

وقامتْ تَرَاءَى يومَ جَمْـعٍ[7] فأفتنتْ * برؤيتهـا مَنْ راح من عَـرَفاتِ

قال : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

مر على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره فى زينب

أخبرنى عمّى قال حدثنى الكُرَانىّ قال حدثنى عبـد الرحمن بن عبـد الله أخى الأصمعىّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوِىّ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدثنى المُغيرة بن محمد المهلّبىّ قال حدثنى محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوىّ قال :

لـمّا تأيّمتْ[8] عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً و بالمدينة سنة، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل

(١) المسيب : هو ابن حزن بن أبى وهب المخزومى، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون . ويحكى عن سعيد ابنه أنه كان يقول : سيب الله من سيب أبى . وحكى (الكسر) عياض وابن المدينى .
(٢) كذا فى جميـع الأصول هنا . وقد ذكر فيا مر من الأجزاء السابقة باسم « الجـدى » .
(٣) فى حـ : « بالجمرات » . (٤) كذا فى جميـع الأصول . ولعـله يريد : كررت وضع الطيب فى رأسها . ويحتمل أن تكون مصحفة عن : «علت» (بالغين المعجمة) : وغل شعره بالطيب : أدخله فيه، وغل الدهن فى رأسه : أدخله فى أصول الشعر . (٥) كذا فى جميـع الأصول . ولعلها محرفة عن « فتات » . (٦) الوحف : الشعر الغزير الأسود . (٧) جمـع : علم للزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها . (٨) تأيمت المرأة : مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبـد الرحمن بن أبى بكر، وكان أبا عذرتهـا (أول من تزوجها) ثم هلك فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر فمات عنها . ولم تتزوج بعده .

بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النُّميرىّ الشاعر، فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتونى به، فأَتَوْها به. فقالت له: أنشِدْنى مما قلتَ فى زينبَ، فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمّى وقد صارت عظامًا باليــة. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ، فأنشدها قولَه:

* تضوّع مسكًا بطنُ نعمان أنْ مشتْ *

الأبيات. فقالت: والله ماقلتَ إلا جميلا، ولا ذكرتَ إلا كرمًا وطيبا، ولا وصفت إلا دِينًا وتُقًى، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها، فقالت: علىّ به، فأُحضِر. فقالت له: أنشِدْنى من شعرك فى زينبَ، فقال لها: أوَ أُنْشِدُك من شعر الحارث بن خالد فيــكِ(١)؟ فوثب مواليها إليــه، فقالت: دعُوه فإنه أراد أن يَستقيد(٢) لبنت عمّه، هاتِ مما قال الحارثُ فىّ، فأنشدها:

ظَعَنَ الأميرُ بأحسن الخَلْقِ * وغَدَوْا بلبّــك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنى إذا صبّحتُ زوجًا بوجهى غدا بكواكب الطَّلْق(٣)، وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوّجنى إلى الشرق، وأنى أحسن الخَــلْق فى البيت ذى الحسب الرفيع، أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلَّتين، ولا تَعُــدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيرىّ.

غنى إبراهيم الموصلى للرشيد من شعره وكان غاضبا عليه فرضى عنه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعى(٤) قال حدثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

---

(١) هو الحارث بن خالد بن العاص المخزومى، وقد مرت ترجمتــه فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١١ — ٣٤٣). (٢) أى يأخذ بثأرها. (٣) تشير إلى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة وهو:

ما صبحت أحدا برؤيتهــا * إلا غـــدا بكواكب الطلق

أى أن من تصبحه برؤيتهـا يرى الزمان صافيا طيبا ســعيدا تفاؤلا بطلعتها واستبشارا. يقال يوم طلق أى مشرق لا برد فيه ولا حر ولا شىء يؤذى. (٤) فى جميع الأصول هنا: «الشعبى» وهو تحريف.

أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيـه بالرقّة فحبسه مدّةً، ثم آصطبح يوما، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، فقال: لو كان الموصلىّ حاضراً لآنتظم أمرُنا وتمّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، فَجِئْ به(١)، فما له كبيرُ ذنب. فبعث فجِىءَ به. فلمّا دخل ٣١/٦ أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّى؛ فآندفع فغنّى:

تَضوّعَ مسكًا بطنُ نَعْمان أن مشتْ * به زينبٌ فى نِسْـوة خَفِـراتِ

فما تمالك الرشـيد أن حرّك رأسه مرارًا وآهتزّ طرباً، ثم نظر إليه وقال: أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلّوا قيودَه وغطّوه بالخِلَع، فَفُعِل ذلك. فقال: يا سيّدى، رضاكَ أوّلًا؛ قال: لو لم أَرْضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النُّمَيْرىّ فى زينبَ وغُنّى فيه:

صـــوت

تَشْـتو بمكة نَعْمةً * ومَصِيفُها بالطائفِ
أَحْبِبْ بتلك مواقفًا * وبزينبٍ مِنْ واقف
وعَزِيزة(٢) لم يَغْـذُها(٣) * بؤسٌ وجفوةُ حائف
غَرّاء يَحْكيها الغـزا * لُ بمُقْـلةٍ وسَوالف

الغنـاء ليحيى المكّى خفيفُ رَمَل عن الهشامىّ، وذكر عمر بن بانة أنه لآبن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشامىّ أنّ فيه لآبن المكىّ أيضا لحناً من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء فى أشعاره فى زينبَ:

صـــوت

ألَا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ * يُحِبّ المُحِـلّةَ أختَ المُحِـلّ

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «فنجىء به» وانظر هذه القصة فى (ج ٥ ص ١٦٦ طبع دار الكتب المصرية). (٢) فى حـ: «وغريرة». والغريرة: الشابة الحديثة التى لم تجرب الأمور. (٣) فى جميع الأصول: «لم يغدها» (بالدال المهملة). والظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

تراءتْ لنا يومَ فرع الأرا * ك بين العِشاء وبين الأُصُل
كأنّ القَرَنْفُلَ والزَّنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسل
يُعَلّ به بَرْدُ أنيابها * إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر يونس أن لمالك فيه لحنا فى:

* كأن القَرَنْفُلَ وَالزَّنجبيل *

والبيتِ الذى بعده و بيتين آخرين وهما:

وقالت لجارتها هل رأيـ * ـتِ إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ
وأنّ تبسّمه ضاحكًا * أجدّ آشتياقًا لقلب غَزِل

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهُذَلىّ لحنًا، ولم يذكر طريقته.

المُحِلّ الذى عناه النميرىّ هاهنا: الحجّاج بن يوسف؛ سُمِّى بذلك لإحلاله الكعبة، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك. ويُسمِّى أهلُ الشأم عبدَ الله بن الزبير المُحلّ لأنه أحلّ الكعبة، زعموا أنه بمُقامه فيها، وكان أصحابه أحرقوها بنار آستضاءوا بها (١).

فأخبرنى الحُسين بن يحيى المِرْداسىّ قال قال حمّاد بن إسحاق: قرأت على أبى: وبلغنى (٢) أنّ إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (آمرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس، فمرّتْ بالأهواز على السيد الحِمْيَرِى (٣)؛ فسأل عنها فنُسِبت له؛ فقال فيها قولَه:

مرّتْ تُزَفّ على بغلة * وفوق رِحالتها (٤) قُبّهْ

(١) تقدمت فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٢٧٧) كلمة وافية عن احتراق الكعبة فى عهد ابن الزبير وبنائه لها. (٢) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «وبلغك». (٣) ستأتى ترجمته فى الجزء السابع من هذه الطبعة. (٤) الرحالة: مركب من مراكب النساء.

٣٢/٦ زُبيريّةٌ من بنات الذى * أحلّ الحرامَ من الكعبه
تُزَفّ إلى ملكٍ ماجدٍ * فلا آجتمعا[١] وبها الوَجْبه[٢]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التى أولها :

* ألَا مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غَزِلْ *

لخالد بن يزيد بن معاوية فى زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَير، وقيل : إنها لأبى شَجَرة السُّلَمى[٣] .

---

(١) فى الأصول هنا : «فلا اجتمعوا» . والتصويب عن الأغانى نفسه فى ترجمة السيد الحميرى .

(٢) لعل الوجبة : مصدر للمرة من وجب القلب يجب وجيبا أى خفق واضطرب .

(٣) فى الكامل للمبرد : «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى ... ... وقال الطبرى : اسمه سليم ابن عبد العزى» من بنى سليم بن منصور بن عكرمة . وفى كتاب الشعر والشعراء : أنه عبد الله بن رواحة ابن عبد العزى . وفى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة : عمرو بن عبد العزى وقال نقلا عن المرزبانى : يقال اسمه عمرو، و يقال عبد الله بن عبد العزى وذكره الواقدى فى كتاب الردة باسم : عمرو بن عبد العزى . وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة . وكان من فتاك العرب ، ويسكن البادية . وهو الذى يقول فى قتال خالد بن الوليد أهل الردة :

ولو سألت سلمى غداة مرامر * كما كنت عنها سائلا لو نأيتها
وكان الطعان فى لؤى بن غالب * غداة الجواء حاجة فقضيتها

وكان أبو شجرة السلمى هذا ارتد فيمن ارتد من بنى سليم ثم أسلم . وأتى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يطلب اليه صدقة؛ فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلمى . فقال له عمر : أى عدى (تصغير عدو) نفسه ! ألست القائل حين ارتددت :

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا
وعارضتها شهباء تخطر بالقنا * ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة وهو يعدو أمامه حتى فاته هربا وهو يقول :

قد ضنّ عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

(راجع الكامل ص ٢٢٠ — ٢٢١ طبع أوروبا وتاريخ الطبرى ص ١٩٠٥ — ١٩٠٨ من القسم الأول والشعر الشعراء ص ١٩٧ والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٧ ص ٩٧ طبع مصر) .

استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميرى وقام إلى الصلاة

حدثنى الحسين بن الطيّب البَلْخى الشاعر قال حدثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَلىّ(١) قال :

كنت عند ابن سِيرينَ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرين(٢) :

كأنّ المُدامـةَ والزنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسلْ
يُعَـلّ به بَرْدُ أنيابهـا * إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدل

وقال : الله أكبر، ودخل فى الصلاة .

صـــوت
من المـائة المختـارة

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُقُ(٣) * إنّ الألَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا
ــ ويُروى : يذهب بك الخَرَق ــ
ما بالهـم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ * وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى فى مجراها . وفى أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، لجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضى أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى(٤) .

(١) (بفتح الميم وبكسرها) : نسبة الى المعاول والمعاولة (قبائل من الأزد) . وهم بنو معولة بن شمس ابن عمرو . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأنشده ابن سيرين يقول » .
(٣) الخرق (بضمتين وبضم فسكون) : نقيض الرفق .
(٤) لم نجد ذكرا لهذه الأبيات بعقب أخبار وضاح فى النسخ التى بين أيدينا ، كما يقول أبو الفرج هنا .

أخبار وضّاح اليمن ونسبه

نسبه وأصله وسبب لقبه

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن(١) بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبى جَمَد. ثم يُختلف فى تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليَمن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذى يَزَن على الحبشة. ويزعُم آخرون أنه من آل خَوْلان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج(٢) وهو حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف(٣) بن قَحْطان(٤). فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم، قال: كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ ابن أبى جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَرىّ. فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلًا من أهلها من أولاد الفرس. وشبّ وضّاح فى حجر زوج أُمّه. فجاء عمُّه وجدّته أُمُّ أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذى قَيْفان(٥) ثم من آل ذى جَدَن(٦) يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه ولده.

٣٣
―
٦

(١) وقيل: إن اسمه عبدالله. (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كان يقال لحمير العرنجج. والعرنجج فى الأصل: العتيق. (راجع الجزء الثامن من كتاب الإكليل للهمدانى طبع بغداد ص ٢٠٨) (٣) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى ب فى الجزء الخامس عشر (ص ٧٣ طبع بولاق). وفيما سيأتى فى حـ فى هذا الموضع: «المرعب». وفى كتاب أنساب العرب المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ «المرعث». ولم نوفق الى وجه الصواب فيه. (٤) فى ب، س: «فن». (٥) كان الأذواء فى اليمن طبقتين طبقة تعرف بالمثامنة وهم ثمانية ملوك كان لا يصبح للملك من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية وإن هم اجتمعوا على عزله عزلوه. والطبقة الثانية أذواء آخرون، منهم ذو قيفان هذا، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذى جدن الأكبر، وهو الذى وهب سيفه الصمصامة لعمرو بن معديكرب الزبيدى، فقال فيه عمرو:

وسيف لابن ذى قيفان عندى ❊ تخيّره الفتى من عصر عاد

يقدّ البيض والأبدان قدّا ❊ وفى الهام الململم ذو احتداد

ثم وهبه عمرو لسعد بن أبى وقاص ثم صار الى آل سعيد بن العاص فاشتراه الخليفة المهدىّ منهم بمال جسيم وأحضر الشعراء فقالوا فيه أشعارا كثيرة. ثم أمر المهدى بالسيف فسقى فتغير لذلك وقل قطعه بسبب سقيه. (راجع شرح القصيدة الحميرية ومنتخبات فى أخبار اليمن كلاهما لنشوان بن سعيد الحميرى).

(٦) ذكر المؤلف ترجمته فى الجزء الرابع (ص ٢١٧) من هذه الطبعة.

فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء (١) فى أمره وحضر معهم . فلما حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذى يزن (٢) (يعنى الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذى يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذ ، فلُقّب وضّاحَ اليمن . قال خالد : وكانت أمّ داذ ابن أبى جَمَد جدّةُ وضاح كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقول فى بنات عمه :

إنّ قلبى معلّق بنساء * واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ
مِنْ بنات الكريم دَاذَ وفى كنـ * ـدةَ يُنسبن من أُباة اللَّعْن

(١) الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن ، وكانوا يسمون بصنعاء بنى الأحرار ، وباليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ، وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة . (عن الأغانى ج ١٦ ص ٧٦ طبع بولاق) . (٢) هو سيف بن ذى يزن الذى بقتله دخلت اليمن فى ملك الأحباش . وكان سيف هذا جميل المنظر عالى الهمة قوى السلطان شديد البأس كريم الخلق جوادا حسن التدبير والسياسة . وكان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه وتوجه لقيصر الروم واستنجده فى ردّ ملك والده فلم يجبه قيصر لطلبه ، فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه الى طلبه وأرسل معه جيشا تحت قيادة «وهرز» فأخرجهم من اليمن وردّ اليه ملكه . فتربع سيف على ملك أجداده تحت رعاية الأعجام ، واتخذ مقر أعماله قصر غمدان بمدينة صنعاء التى كانت فى ذلك العهد عاصمة ملكه . وقد هنأته وفود العرب والشعراء لاسترداد ملك أبيه وتغلبه على الأحباش . وكان من جملة وفود المهنئين وفد الحجازيين الذى كان يرأسه عبد المطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنوا عليه ودخلوا وهو فى قصره (غمدان) فأذن لهم فدخلوا عليه وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه والسيف بين يديه وملوك اليمن وأقيال حمير حواليه ، وأمامه أمية بن الصلت الثقفى ينشده قصيدته يمدحه فيها ويهنئه ؛ ومطلعها :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن * فى البحر خيم للأعداء أحوالا

ثم استأذنه عبد المطلب فى الكلام وألقى بين يديه خطبة نالت منه استحسانا ؛ ثم أمر بهم الى دار الضيافة وأجرى عليهم ما يحتاجون شهرا لا يؤذن لهم فى مقابلته ولا فى الانصراف . والقصيدة والخطبة ذكرهما المؤلف فى الجزء السادس عشر من هذا الكتاب (ص ٧٥ — ٧٧ طبع بولاق) .

وقال أيضا يفتخر بجدّه أبي جَمَد :

بَنَى لِىَ إسماعيلُ مجدًا مُؤثَّلًا * وعبدُ كُلال بعده وأبو جَمَدْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال :

كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْدىّ وأبو زُبَيد الطائى يَرِدون مواسمَ العرب مُقَنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَرا على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك ، وكان يزعم أن وضّاحا من الأبناء ، فقال أبو عُبيدة : داذ اسم فارسى . فقلت له : عبد كلال آسمٌ يمَانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانيَة ، والعجم لا تكتنى ، وفى اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة ، وهو اسم حبشىّ ، فينبغى أن تنسُبهم إلى الحبشة . وأىّ شىء يكون إذا سُمّى عربىّ باسم فارسىّ ! وليس كلّ من كُنى أبا بكر هو الصدّيق ، ولا من سُمّى عُمَرًا هو الفاروق ، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسبًا ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب .

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبىّ ومحمد بن زِياد الكِلَابىّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبى الوضّاح بنتُ ذى جَدَن ، وأم أبيه بنت فُرْعانَ (1) ذى الدّروع الكِنْدىّ من بنى الحارث بن عمرو .

أحب روضة ولم يتزوجها وقال فيها شعرا

وكان وضّاحٌ يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة .

---

(1) كذا فى أ ، ء ، م هنا وشرح القاموس (مادة فرع) وما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه . وفى سائر الأصول وفيما سيأتى فى أ ، ء ، م : «فرعان بن ذى الدروع» وهو تحريف .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال :

ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعانَ ذى الدروع الكِنْدىّ .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى محمد بن سَعيد الكُرانى قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش(١) :

أنّ وضّاحا هَوِى امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب . وخطبها فٱمتنع قومها من تزويجه إياها ، وعاتبه أهلُه وعشيرته . فقال فى ذلك :

صــــوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجِدُ * قد يعشَق المرءُ ثم يتّئدُ
قد يكتم المرءُ حبَّه حِقَبًا * وهْو عَميدٌ وقلبُه كَمِد
ماذا تريدين من فتًى غَزِلٍ * قد شَفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَد
يهدّدونى كيما أخافَهمُ * هيهاتَ أنّى يُهدَّد الأسد ٣٤/٦

الغناء لٱبن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لٱبن عَبّاد ، من كتاب إبراهيمَ ، غير مجنّس .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى سالم بن زيد قال أخبرنى التَّوّزىّ قال حدثنا الأصمعى عن الخليل بن أحمد قال :

كان وَضّاح يهوَى ٱمرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلما اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزَوَّجها ، وزُوِّجت غيرَه ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «عباس» وهو تصحيف .

فأسرّ إليه شيئا فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكى ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرنى هذا أنّ روضةَ قد جُذمت، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما[1] خبرا يرويه أهلُ العلم إلا لُمَعًا يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا فى كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبارهما تذكر فى موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله قال :

كان وَضّاح اليمن يهوى آمرأةً يقال لها روضة ويشبّب بها فى شعره ، وهى آمرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

صـــوت

يا رَوْضة الوضّاح قد * عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ
فآسقى خليلَك مِنْ شرا * بٍ لم يُكدِّره الدَّرَن
الريحُ ريح سَفَرْجَلٍ * والطعمُ طعم سُلافِ دَنّ
إنى تُهيِّجنى إليـ * ـك حمامتان على فَنَن

قال مُصعَب : فحدثنى بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهل اليمن : أنّ وضّاحا كان فى سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ آستوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد إليهم وهو يبكى . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى

(١) فى أ ، ء ، م : «لها» .

روضة، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين، وأخرجت من بلدها، فأصابحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْرًا(١) من نفقتى . وجعل يبكى غمًّا بها .

الغناء فى الأبيات المذكورة فى هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات، فإن فى جميعها غناء .

ومما قاله وضّاح فى روضةَ المذكورة وفيه غناء، وأنشدَنا حَرَمِىّ عن الزُّبَير عن عمه :

صـــوت

أيا روضةَ الوَضّاح ياخيرَ رَوْضةٍ * لأهلكِ، لو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُك وَضّاحٌ ذهبتِ بعقله * فإن شئتِ فاحييه و إن شئت فاقتلى
وتُوقد حِينًا باليَلَنْجُوج(٢) نارَها * وتوقِد أحيانًا بمسك ومَنْدَلِ

والأبيات الأوَل النونية فيها زيادة على مارواه مصعب، وفى سائرها غناء . وتمامُها بعد قوله :

"إنى تُهيّجنى إليـ * ـك حمامتان على فنَن"
الزوج يدعو إلفه * فتطاعما حُبَّ السكَنْ ٣٥ / ٦
لا خير فى نَثّ(٣) الحديـ * ـث ولا الجليس إذا فطَن
فاْعصِى الوُشاةَ فإنما * قول الوشاة هو الغَبَن
إنّ الوُشاةَ إذا أتو * كِ تنصّحوا ونَهَوْكِ عنّ(٤)
دسّت حُبَيبةُ مَوْهِنًا * إنى وعيشكِ يا سكَن

(١) الصدر : الطائفة من الشىء . (٢) اليلنجوج : عود البخور .

(٣) نث الحديث : إفشاؤه و إذاعته . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول : « بث » (بالباء الموحدة) والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه . (٤) يريد : عنى .

أبلغتُ عنــكِ تبــدُّلا * وأتى بذلك مُؤتمَنِ
وظننتُ أنكِ قــد فعلـ * ـت فكِدْتُ من حَزَن أُجنّ
ذَرَفتْ دموعى ثم قلـ * ـت بمَنْ يبادلــنى بمن
أُسكُتْ فلستَ مُصــدَّقا * ما كان يفعــل ذا أظن
إلى وجَــدِّكَ لو رأيـ * ـت خليلَنا ذاك الحسن
يجفــوه ثم يحبنا (١) * والله مِتُّ من الحَزَن
أَخــبِرْه إمّا جئتَــه * أنّ الفــؤاد به يجَنّ
أَبغضت فيــه أحبّــتى * وقَلَيْتُ (٢) أهــلِى والوطن
أتركـتِنى حــتى إذا * عُلِّقت أبيــض كالشَّطَن
أنشأتَ تطلب وَصْلَنا * فى الصيف ضَيَّعت اللبن (٣)

— هكذا قال، وغيره يرويه : "فى الصيف ضيحت (٤) اللبن" أى مذقته (٥) . قال (٦) —

---

(١) فى حـ : « يجيئنا » . وفى أ ، ى ، م : « يحبنا » . ولعل هذا الشطر مصحف عن :

* نحفوه ثم يحبنا *

وحفاه يحفوه : أكرمه وأعطاه . وحبه : قطعه . (٢) قلى : هجر . (٣) المثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه وهو : « فى الصيف ضيعت اللبن » ويروى : «الصيف صيعت اللبن» (بكسر التاء) ولو خوطب به المذكر أو الجمع ، لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته فطلقها فتزوجها فتى جميل الوجه مملق ، فبعثت إلى الأول تستميحه فقال ذلك لها . وقيل : إنه صدر عن امرأة الأسـود بن هرمز وكانت عنودا، فرغب عنها إلى جميلة من قومه ، ثم جرى بينهما ما أدى الى المفارقة؛ فتتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها :

أتركتنى حــتى إذا * علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنا * فى الصيف ضيعت اللبن

وعلى هذا فالتاء مفتوحة . (٤) وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول : «صبحت» (بالصاد المهملة والباء الموحدة) . وفى حـ : «صيحت» . (بالياء المثناة) . وكلاهما مصحف عما أثبتناه . (٥) مذق اللبن بالماء يمذقه (من باب نصر) : مزجه . (٦) الظاهر أن كلمة «قال» هاهنا مقحمة من النساخ .

لو قيل يا وضّاح قم * فاختر لنفسك أو تمنّ
لم أعدُ رَوْضة والذى * ساق الحجيج له البُدُن

الغنــاء فى الأوّل من القصيدة وهو "يا روضــة الوضّاح" يُنسب إن شاء الله . وله فى روضة هذه أشعار كثيرة فى أكثرها صنعةٌ، و بعضها لم يَقَع إلىّ أنه صُنِــع فيه . فمن قوله فيها[1] :

صـــــوت

يا روضُ جــيرانكم الباكُر[2] * فالقلبُ لا لاهٍ ولا صــابرُ[3]
قالت ألا لا تَلِجَنْ دارَنا * إنّ أبانا رجــلٌ غائر
قلت فإنى طـالبٌ غِــرّةً * منــه وسَــيفى صارمٌ باتر
قالت فإن القَصْرَ مِنْ دوننــا * قلتُ فإنى فــوقه ظــاهر
قالت فإن البحــرَ مِنْ دوننا * قلت فإنى سابحٌ ماهر
قالت فحَوْلى إخــوةٌ سبعةٌ * قلت فإنى غالبٌ قاهر
قالت فليثٌ رابضٌ بيننــا * قلت فإنى أســدٌ عاقــر
قالت فإن الله من فوقنا * قلت فربّى راحمٌ غافــر
قالت لقــد أعييتَنا حُجّــةً * فأْتِ إذا ماهجَــع السّامر[4]
فٱسقُط علينا كسقوط النّدَى * ليــلةَ لا ناهٍ ولا زاجــر

الغناء فى هذه الأبيات هَزَجٌ يمنىّ، وذكر يحيى المكى أنه له .

٣٦/٦

(١) فى الأصول : «فمن قوله فيها هزج قديم يمنى» . ولعل ذلك من زيادات النساخ ، فإن المؤلف قد ذكر اللحن عقب الشعر . (٢) كذا فى الأصــل . (٣) أورد أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٨٧٤ أدب ج ١ ص ١٩٣) هذه الأبيات ولم يذكر معها هذا البيت ، وروايتها فيه تخالف ما هنا فى بعض الأبيات والألفاظ .
(٤) السامر : اسم جمع بمعنى المتسامرين .

وقال فى روضةَ وهو بالشام :

أَبَتْ بالشام نفسى أن تطيبَا * تذكّرتُ المنازلَ والحبيبَا
تذكّرتُ المنازلَ من شَعُوبٍ[1] * وحَيًّا أصبحوا قُطِعوا[2] شُعوبا
سَبَوْا قلبى فحَلّ بحيث حَلّوا * ويُعظِم إن دَعَوْا ألّا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ * إليكم إنْ شَمَالًا أو جَنُوبا
فتأتِيَكم بما قلنا سريعًا * ويبلُغَنا الذى قلتم قريبا
ألَا يارَوْضَ قد عَذّبتِ قلبى * فأصبح من تذكُّركم كئيبا
ورقّقنى هواكِ وكنتُ جَلْدًا * وأبْدَى فى مَفارِقِىَ المَشيبا
أمَا يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ * ولا قُربٌ إذا كانت قريبا

ومما قال فيها أيضا :

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشِى * والقومُ بين أباطِحٍ وعِشَاشِ[3]
أنّى اهتديتِ ودون أرضِكِ سَبْسبٌ * قَفْرٌ وحَزْنٌ فى دُجًى ورَشاشِ
قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفْتُها * إنّ المُحبّ إذا أُخيفَ لَماشِى[4]
أدعوكِ روضةَ رحبَ وٱسمكِ غيرُه * شَفَقًا وأخشى أن يَشِى بكِ واشى
قالت فزُرْنا قلتُ كيف أزورُكم * وأنا ٱمرؤٌ لخُروج سرّكِ خاشى
قالت فكُنْ لعُمومتى سِلْمًا معًا * وٱلطُفْ لإخوتىَ الذين تُماشى
فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ * والسرُّ ياوضّاح ليس بفاشى

---

(١) شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء . (٢) فى مهذب الأغانى (ج ٣ ص ٢٧ طبع مصر) : « قطعا » .
(٣) العشاش : جمع عشة (بالفتح) ، وهى الأرض القليلة الشجر، وقيل : هى الأرض الغليظة .
(٤) كذا فى الأصول .

وَلَقِيتُهَا تمشى بأبطَحِ مَرَّةً * بخلاخلٍ وبحُلّةٍ أكْباش (١)

فظلِلْتُ معمودًا وبتّ مُسَهَّدًا * ودموعُ عينى فى الرداءِ غَواشى

ياروضُ حبُّكِ سَلّ جسمى وآنتحى * فى العظم حتى قد بلغتِ مُشاشى (٢)

ومما قال فيها أيضا :

طَرَق (٣) الخيالُ فمرحبًا سهلاَ * بخيالِ مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ

وسَرى إلىّ ودون منزله * خمسٌ دوائمُ تُعمِلُ الإبْلاَ (٤)

يا حبّذا مَنْ زار معتسِفًا (٥) * حَزْنَ البلادِ إلىّ والسَّهْلا

حتى ألمّ بنا فبِتُّ به * أغْنَى الخلائقِ كلِّهم شَمْلا

ياحبذا هى حسبك قدك فى (٦) * والله ما أبقيتِ لى عقلا

والله مالى عنكِ مُنْصَرَفٌ * إلا إليكِ فأَجْمِلِى الفِعْلا

حجت أم البنين ورأته فهويته

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط والهَيْثم بن عَدِىّ :

أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك فى الحج فأَذِن لها ، وهو يومئذ خليفة وهى زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجوارى ما لم يُرَ مثلُه حسنًا . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعًا إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر

٣٧/٦

(١) الأكباش (بالموحدة) : من برود اليمن . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول (بالمثناة التحتية) ، وهو تصحيف . (راجع شرح القاموس مادة كبش) . (٢) المشاش : النفس . والمشاش أيضا : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، واحده مشاشة . (٣) فى حـ : «طاف» . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الأسلا » . (٥) فى حـ : «... من زائر متعسف» . (٦) كذا ورد هذا الشطر فى ب ، سـ ، حـ . وفى سائر الأصول :

* ياحب روضة حبك قد *

وكلاهما غير مستقيم .

أحدًا ممن تَبِعها. وقدِمتْ، فتراءت للناس، وتصدَّى لهـا أهلُ الغَزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه.

فحدّثنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبـد العزيز الزُّهْرِى[١] عن محمـد[٢] بن جعفر مولى أبى هُرَيرة عن أبيـه عن بُدَيح قال:

قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبـد العزيز بن مروان وهى عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة، فبعثتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضّاح اليمن أَنِ انسُبا بى. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها؛ فوجَد الوليـدُ عليه السبيلَ فقتله. وأمّا كُثيّر فعدَل عن ذكرها ونَسَب بجاريتها غاضِرة[٣] فقال:

صـــوت

شجا أَظْعانُ غاضرةَ الغَوَادى * بغير مَشُورة[٤] عَرَضًا[٥] فؤادِى

أغاضِرَ لو شهدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وِسادى

أَوَيْتِ[٦] لعـاشق لم تشكُميه * بواقـدةٍ تلذَّعُ كالزناد

---

(١) كذا فى أ، ء، م. وقد ورد فى الجزء الأول (ص ٣٤٢) من هذه الطبعة: «محمد بن عبد العزيز الزهرى». وفى ب، حـ: «الجوهرى». وفى س: «الجوهرى الزهرى». وكلاهما تحريف.

(٢) فى حـ «محرز بن جعفر». (٣) فيما سيأتى فى الأغانى فى خبر كثير وخندق الأسدى فى الجزء الحادى عشر (طبع بولاق): أن هذا الشعر من قصيدة قالها كثير فى رثاء خنـدق الأسدى لما قتل. وذكرت هناك القصيدة كاملة. (٤) كذا فيما سيأتى فى ب فى الجزء الحادى عشر من الأغانى (ص ٤٧، ٤٩ طبع بولاق) وحـ. وفى جميع الأصول هنا: «بغير مثية».

(٥) كذا فيما سيأتى بعـد قليل فى حـ وفيما سـيأتى فى الجزء الحادى عشر. وفى حـ هنا: «عوضا». وفى سائر الأصول هنا وفيما يأتى: «غرضا». والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

(٦) أويت العاشق: رثيت له وأشفقت عليه. وفى حـ: «رضيت».

الغناء فى هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشامىّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لمّا حجّتْ أم البنين لا تشاء أن تَرى وجهًا حسنًا إلا رأيتَه معها . فقلت لعُبيد الله[1] بن قيس الرُّقيات : بمن تشبِّب من هذا القَطين ؟ فقال لى :

وما تصنع بالسرّ * إذا لم تك مجنونا[2]
إذا عالجتَ ثِقْلَ الحـ * ـبّ عالجتَ الأمَرِّينا[3]
وقد بُحتَ بأمرٍ كا * ن فى قلبىَ مكنونا
وقد هِجْتَ بما حاولْـ * ـتَ أمرًا كان مدفونا

قال : ثم خلا بى[4] فقال لى : اكتُم علىّ، فإنك موضع للأمانة؛ وأنشدنى :

صوت

أصحوتَ عن أمّ البنيـ * ـنَ وذكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ امرئ * لم يَقْلُ صفوَ صفائها
قُرشيّةٌ كالشمس أشـ * ـرق نورُها ببهائها
زادتْ على البِيض الحِسا * ن بحسنها ونقائها
لمّا اسبكَرّتْ للشبا * ب وقُنّعت بردائها
لم تلتفت لِلِداتها * ومضتْ على غُلَوائها
لولا هوَى أمّ البنيـ * ـنَ وحاجتى للقائها
قد قرّبت لى بغلةٌ * محبوسةٌ لنَجائها

(١) فى ب ، سـ : «لعبد الله» وهو تحريف . (٢) وردت هذه القصيدة والقصيدتان اللتان بعدها فى الجزء الحادى عشر من هذا الكتاب (ص ٤٩ طبع بولاق) فى خبر كثير وخندق الأسدى باختلاف يسير عما هنا . (٣) الأمرون : الدواهي . (٤) فى ب ، س : «ثم خلانى» . وهو تصحيف .

قال بُدَيح : فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن، حَجّتْ بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلِّم أحدا ؛ وشخصت كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات، فقال : يا بديح ،

صـــوت

٣٨
٦

بان الحبيبُ الذى به تَشِقُ(١)(٢) * وٱشتدّ دون الحبيبة القَلَقُ

يا من لصَفْراء(٣) فى مفاصلها * لِينٌ وفى بعض بطشها خُرُقُ

وهى قصيدة قد ذُكرتْ(٤) مع أخبار ٱبن قيس الرقيّات .

الغناء فى الأبيات الأُوَل التى أولها :

* أصحوتَ عن أُمّ البنين *

يُنسب فى موضع آخر إن شاء الله .

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمَّلى(٥) عن عبدالله ابن أبى عُبيدة قال حدثنى كُثَيِّر قال :

حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، فأرسلت إلىّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بى ؛ فهِبْتُ ذلك ونَسَبت بجاريتها غاضرةَ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغَوَادِى(٦) * بغير مَشُورة عَرَضًا فؤادى

---

(١) فى أ، ء، م : «الخليط» . (٢) فى حـ : «نشق» بالنون . (٣) فى ب، س : «لصغرى» وهو تحريف . (٤) لم نجد هذه القصيدة فى أخبار ابن قيس الرقيات المذكورة فى الجزء الخامس من هـذه الطبعة (ص ٧٣ — ١٠٠) . وقد ذكر المؤلف بعض أبيات منها فى الجزء الحادى عشر (ص ٤٩ — ٥٠ طبع بولاق) . (٥) فى حـ : «قال حدّثنى عمر بن أبى بكر الموصلى» . وفى سائر الأصول : «قال حدّثنى عمر ابن عمى عن أبى بكر الموصلى» . (راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والمشتبه للذهبى ص ٣٠٠ طبع ليدن سنة ١٨٦٣ م) .

(٦) راجع الحاشيتين (رقم ٤ و ٥ ص ٢١٩) من هذا الجزء .

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وسادى
أَوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه * بواقـدةٍ تلذَّعُ كالزناد

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سعد الكُرَانىّ[١] قال حدّثنى أبو عمر العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذ خليفة، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِدَه[٢] عنده وتقوّىَ أمره . فقدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه :

صـــوت

صـبا قلبي ومال إليـكِ مَيْلَا * وأرّقنى خيـالُكِ يا أُثَيْـلَا[٣]
يمانيةٌ تُـلِمّ بنا فتُبْـدِى[٤] * دقيقَ محاسنٍ وتُكِنّ غَيْلَا[٥]
دَعِينا ما أممتُ[٦] بنـاتِ نَعْشٍ[٧] * من الطَّيْف الذى يَنتاب ليلا
ولكنْ إن أردتِ فَصبِّحينا * إذا أَمَّتْ ركائبُنا سُهَيـلا[٨]
فإنك لو رأيتِ الخيـلَ تعدو * سِرَاعًا[٩] يتخذن النَّقْعَ ذَيْلَا

---

(١) كذا فى جميع الأصـول وقد مر هذا الاسم فيما سبق من الأجزاء مضطربا بين سعد مرة وسعيد أخرى، ولم نوفق الى ترجيح إحدى الروايتين . (٢) رفده وأرفده : أعانه . (٣) أثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة . (٤) كذا فى ب ، س وشرح الحماسة (ص ٣١٦ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م) . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى : «وتجن» . (٥) الغيل : الساعد الريان الممتلىء . وفى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكن غيلا : أى تستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» . (٦) فى تجريد الأغانى : «ما أممنا» . (٧) بنات نعش : من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم . يقول : دعينى من طيفك حين أؤم بنات نعش، أى حين أقصد قصد الشام للغزو . (٨) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن . ورواية هذا البيت فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى :

ولكن إن أردت فهيجينا * إذا رمقت بأعينها سهيلا

(٩) فى حـ وشرح الحماسة وتجريد الأغانى : «عوابس» .

إذًا لرأيتَ فوقَ الخيــل أُسْدًا (١) * تُفيــد مغانمًــا وتُفيت نَيْــلا (٢)
إذا سار الوليـــدُ بنا وسِرْنا * إلى خيــل نَلُفّ بهِنّ خَيْــلا
ونَدخل بالسرور ديارَ قــوم * ونُعقِب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه . ومدحه بعــدّة قصائد . ثم نُمِى إليه أنه شَبّب بأم البنين، بجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر فى قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضا :

ما بال عينــكَ لا تنَام كأنما * طلب الطبيبُ بهــا قَذًى فأضلّهُ
بل ما لقلبــك لا يزال كأنه * نَشوانُ أنْهله النــديمُ وعَلّه
ما كنت أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ * وأخِى بأُخْرى لا أحُــلُّ محَــلّه
كنّا لعَمْـــرُك ناعمين (٣) بغبطــةٍ * مــع ما نُحبّ مَبيتَــه ومظَــلّه
فأرَى الذى كنّا وكان بغِــرّة * نلهـــو بغِــرّته ونهــوَى دَلّه
كالطيف وافق ذا هوًى فلهَــا به * حــتى إذا ذهب الرقاد أضَــلّه ٣٩ / ٦
قــل للذى شَعَف (٤) البــلاءُ فــؤادَه * لا تهلكنّ أخًا فــربّ أخ له
والقَ آبن مَروان الذى قــد هزّه * عِرق (٥) المكارم والنّــدى فأقــلّه
وآشْــكُ الذى لاقيتــه من دونه (٦) * وآنشُرْ إليـــه داءَ قلبــك كلَّــه

(١) رواية هذا الشطر فى شرح الحماسة :

* رأيت على متون الخيــل جِنّا *

(٢) كذا فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى . يريد : تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شىء منها . وفى جميع الأصول : «تقيد مغانما وتفيد نيلا» .

(٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : «ياعمير» . (٤) فى حـ : «شغف» (بالغين المعجمة)، وهما بمعنى . (٥) كذا فى ب ، س، حـ . وفى سائر الأصول : «عرف» . والعرف (بالضم) : المعروف . (٦) فى حـ وتجريد الأغانى : « من جفوة » .

فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من آمرئ * أمسى يذوق من الرُّقاد أقلّه
شوقًا إليك فما تنالك حالُه * وإذا يَحُلّ الباب لم يُؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّرًا * وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظِلّه (١)
ولياليًا لو أنّ حاضرَ بَثّها * طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفُوًّا حتى وجَد الوليد له غِرّة، فبعث إليه مَن اختلسه ليلًا فجاءه به، فقتله ودفنه فى داره، فلم يُوقف له على خبر .

قتل الوليد له

وقال خالد بن كلثوم فى خبره :

كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان آمرأة الوليد بن عبد الملك، وهى أم آبنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليدَ تشبّبُه بها، فأمر بطلبه فأُتى به، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لاتفعل ياأمير المؤمنين فتحقّقَ قولَه، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبى دَهْبَل؛ فإنه لمّا شبّب بآبنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال : إذًا تُحقّق قولَه، ولكن تَبَرّه وتحسن إليه فيستحى ويَكُفّ ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه، وجعله فى صندوق ودفنه حيًّا . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد نِفَارٌ خرجا فيه إلى أن أَغْلظا المُسَابّةَ، وذلك فى دولة بنى العبّاس؛ فوضع الشُّعُوبىّ عليهم كتابًا زعم فيه أن أمّ البنين عشِقتْ وَضّاحا، فكانت تُدخله صندوقا عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبير ابن بكّار جميعا .

وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش فى كتاب المغتالين قال حدّثنا أبو سَعيد السُّكّرىّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب عن ابن الكَلْبىّ قال :

(١) فى تجريد الأغانى : «طله» (بالطاء المهملة)، والطل : أخف المطر وأضعفه . وقيل : هو الندى .

عَشِقتْ أمُّ البنين وَضّاحًا، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها؛ فإذا خافت وارتْه فى صندوق عندها وأقفلتْ عليه . فأُهدى للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه وآستحسنه، فدعا خادمًا له فبعث به معه إلى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبنى فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر، ثم قال : يا مولاتى، هَبِينى منه حجرًا؛ فقالت : لا، يآبنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال : كذبتَ يآبن اللخناء، وأمَر به فوُجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهى جالسة فى ذلك البيت تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذى أدخلته فيه، فجلس عليه ثم قال لها : يا أمّ البنين، ما أَحبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجى كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هَبِى لى صندوقا من هذه الصناديق؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال : ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحدًا منها؛ فقالت له : خذ أيَّها شئتَ؛ قال : هذا الذى جلستُ عليه؛ قالت : خذ غيرَه فإن لى ٤٠/٦ فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال : ما أريد غيره؛ قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيدًا له فأمرهم فحفروا بئرا فى المجلس عميقةً، فنُحّى البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : [ياهذا](١) إنه بلغنا شىء إن كان حقًّا فقد كفَّنّاك(٢) ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلًا فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ

(١) الزيادة عن كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لمحمد بن حبيب، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥٧ أدب ش) . (٢) كذا فى جميع الأصول ولعلها : «كفيناك» .

ذلك! ثم قُذِف به فى البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه . ثم مارُئى بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر فى الدنيا إلى هذا اليوم .

قال : وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثرًا فى وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

مرضت أم البنين وهو فى دمشق فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنى مصعب بن عبد الله قال :

مَرِضت أم البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلًا عليها ؛ فقال فى علّتها :

صـــوت

حتّامَ نَكْتُمُ حـزننا حتّامَا * وعَـلَامَ نستبق الدموعَ عـلامَا
إن الذى بى قد تفاقم واعتـلى * ونمـا وزاد وأَوْرَث الأسقـاما
قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً * نَخشى ونُشفق أن يكون حِمـاما
يارِبّ أَمْتِعْـنِى بطول بقائهـا * واجـبُرْ بها الأرمال والأيتـاما
واجبر بها الرجلَ الغريب بأرضها * قد فارق الأخـوالَ والأعمـاما
كم راغبين وراهبين وبُؤّسٍ * عُصموا بقرب جَنابها إعصـاما
بجنـاب ظاهرة الثّنا(١) محمـودةٍ * لا يُستطاع كلامُها إعظـاما

الغناء فى الأول والثانى والثالث والرابع والخامس لحَكَمٍ الوادىّ خفيفُ رمل بالوسطى ، عن الهشامى وعبد الله بن موسى . وممّا وجد فى روايتى هارون بن الزيّات وابن المكىّ فى الرابع(٢) ثم الخامس ثم الأول والثانى لعمر الوادى خفيفُ رمـل ، من رواية الهشامى .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «النثا» . الثنا ، كما قال الجوهرى ، فى الخير خاصة . النثا (بالقصر) : مثـل الثنا إلا أنه فى الخير والشر .

(٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «وفى الرابع» .

شبب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد فى بئر وهو حى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له : إن قتلته فضحتَنى وحقّقتَ قولَه، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّى ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحَنَق، حتى بلغ الوليدَ أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك ، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضى الله تعالى عنه، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفـــة جَدُّها * أختُ الخليفة(١) والخليفة بعلُهـا
فَرِحتْ قوابلُها بها وتبـاشرتْ * وكذاك كانوا فى المَسَرّة أهلُهـا

فأَحنق(٢) واشتد غيظه وقال : أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب ! ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفَنه فيها حيًّا .

شعر له

٤١/٦

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرنى عبد الملك ابن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون قال :

أنشدت محمدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح :

فما نولتْ حتى تَضَرّعتُ عندها * وأعلمتُها ما رخّص اللهُ فى اللَّمَمْ

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلا مُفْتيًا لنفسه . وتمام هذه الأبيات :

ترجّل(٣) وَضّاحٌ وأَسْبل بعدما * تَكَهّل حينًا فى الكهول وما ٱحتلَمْ
وعُلّق بيضاءَ العوارض طَفْلةً * مُخَضَّبةَ الأطراف طيّبةَ النَّسَمْ

---

(١) فى حـ : « الخلائف » .

(٢) كذا فى حـ . وأحنق الرجل إذا حقد حقدا لا يحل . وفى سائر الأصول : « فاحتنق » وهو تحريف .

(٣) الترجل والترجيل : تسريح الشعر .

إذا قلتُ يومًا نوّلينى تبسّمتْ * وقالت مَعاذَ الله مِن فِعْل ما حُرِم

فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها * وأعلمتُها ما رَخّص اللهُ فى اللَّمَم

رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أم البنين

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانِىّ قال حدثنا العُمَرِىّ عن العُتْبِى فى خبره الأوّل المذكور من أخبار وضّاح مع أمّ البنين قال :

كان وضّاح مقيمًا عند أم البنين، فورد عليه نعىُ أخيه وأبيه(١) ؛ فقال يرثيهما :

أَراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ * بفاجعةٍ مُشَنَّعة الطُّروقِ

نعمْ وَلَهًا على رجل عَميد * أَظَلُّ كأنى بشَرِقٌ بريق

كأنى إذ علمتُ بها هُدُوًّا * هوتْ بى عاصفٌ من رأس نِيق(٢)

أُعَلُّ بزَفْرة من بَعْد أخرى * لها فى القلب حَرٌّ كالحريق

وتَردُف عَبْرةٌ تَهتانَ أُخرى * كفائض غَرْب نَضّاح فَتيق

كأنى إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عينى * وأَنْهاها أقول لها هَريقى

ألَا تلك الحوادث غِبْتُ عنها * بأرض الشام كالفرد الغريق

فما أنفكُّ أنظر فى كتاب * تُدارى النفسُ عنه هوًى زَهوق(٣)

يُخَبِّر عن وفاة أخٍ كريم * بعيدِ الغور نَفّاع طَليق

وقَرْمٍ يُعرِض الخُصْمانُ(٤) عنه * كما حاد البِكارُ عن الفنيق(٥)

---

(١) يلاحظ أن أبا وضاح توفى ووضاح صغير كما مر فى أول الترجمة . (٢) النيق : أعلى موضع فى الجبل . (٣) الزهوق : الهالك . (٤) كذا فى ب ، س ، ح . وفى سائر الأصول : « الخصماء » . وكلاهما جمع لخصيم . (٥) البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

كريم يملأ الشِّيزَى[(١)] ويَقْرِي * إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ
وأعظم ما رُميتُ بهِ فَجُوعًا[(٢)] * كتابٌ جاء من فَجٍّ عميق
يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبرًا * تنجَّزْ وعدَ منّانٍ صدوق
سأصبر للقضاء فكل حيٍّ * سيلقى سكرة الموت المَذوق
فما الدنيا بقائمةٍ وفيها * من الأحياء ذو عين رَموق
وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى * يَلُفّ ختامُها سُوقًا بسُوق
فأغناهم كأعدمهم إذا ما * تقضّتْ مُدّةُ العيش الرقيق
كذلك يُبعثون وهم فُرادَى * ليوم فيه تَوْفِيةُ الحُقوق
أَبعدَ هُمَام قومك ذى الأيادى * أَبِى الوضّاح رَتّاق الفُتوق
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم * وبعدَ سَماحةِ العَوْد العَتيق
وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ * هما أخواك فى الزمن الأنيق
تؤمِّل أن تعيش قريرَ عينٍ * وأين[(٣)] أمامَ طَلّابٍ لَحُوق[(٤)] ٤٢/٦
ودنياك التى أمسيتَ فيها * مزايلةُ الشقيق عن الشقيق

ومما قاله فى مَرْثِيَة أهله وذكْر الموت وغُنِّى فيه — وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة — :

صوت

مالكَ وَضّاحُ دائمَ الغَزَلِ * ألستَ تخشى تَقارُبَ الأجلِ
صلِّ لذى العرش واتّخذ قَدَمًا * تُنجيك يوم العِثار والزَّلل

---

(١) الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع. وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى، كما أريد هنا. (٢) الفجوع: الفاجع، فعول للمبالغة. (٣) كذا فى ب، سـ، حـ. وفى سائر الأصول: «وأنت». (٤) كذا فى حـ: وفى سائر الأصول «طلاب الحوق».

يا موت ما إن تزال معترضًا * لاملٍ دون منتهى الأَمل
لو كان مَنْ فرَّ منك منفلتاً(١) * إذًا لأسرعتُ رحلةَ الجَمل
لكنّ كفَّيك نال طولهما * ما كلَّ عنه نجائبُ الإبل
تنال كفَّاك كلَّ مُسْهِلة * وحُوتَ بحر ومَعْقِلَ الوَعِل
لولا حِذارى من الحُتُوف فقد * أصبحتُ من خوفها على وَجَل
لكنتُ للقلبِ فى الهوى تَبَعًا * إنّ هواه ربائبُ الحَجَل
حِرْمِيّة(٢) تسكن الحجازَ لها * شيخٌ غَيور يعتلّ بالعِلل
عُلّق قلبى ربيبَ بيت مُلو(٣) * كِ ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ(٤) الكَفَل
تَفْترّ عن مَنْطِقٍ تَضَنّ به * يَجرى رُضاباً كذائب العسل

قال شعرا يشبب بحبابة قبل أن يشتريها يزيد بن عبد الملك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى سليمان بن أبى أيّوب عن مُصْعَب قال :

قال وَضّاح اليمن فى حَبَابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديدا :

صوت

يا مَنْ لقلبٍ لا يُطيـ * ـع الزاجِرين ولا يُفيقْ
تسلو قلوبُ ذوى الهوى * وهو المكلَّف(٥) والمَشوقْ
تَبَلت(٦) حَبَابةُ قلبَه * بالدَّلّ والشكل الأَنيقْ

(١) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته . وفى جميع الأصول « منقلبا » .
(٢) حرمية : نسبة إلى الحرم (بالتحريك) على غير قياس . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « بنت ملوك » . وهو تصحيف . (٤) يقال : امرأة وعثة : أى كثيرة اللحم كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . (٥) كلف به كلفا : إذا ولع به فهو كاف ومكلف . (٦) تبله الحب : أسقمه .

وبعينَى أحورَ يرتعى * سَقْطَ الكثيبِ من العقيقْ (١)
مكحولةٍ بالسحر تُمْـ * ـشِى نشوةَ الخمر العتيق
هيفاءُ إن هى أقبلتْ * لاحت كطالعة الشروق
والردفُ مثلُ نقًا تلـ * ـبَّد فهْو زُحلوق زَلُوق
فى درّة الأصداف معْـ * ـتنقًا بها رَدْعُ الخَلوق (٢)
داوِى هوایَ وأَطْفِئِى * ما فى الفؤاد من الحريق
وترفَّقِى أَملِى فقد * كلّفتِنى ما لا أُطيق
فى القلب منك جوَى المُحـ * ـبّ وراحةُ الصبّ الشفيق
هـذا يقود برُمّتى (٣) * قودًا إليك وذا يسوق
يا نفسُ قد كلّفتِنى * تعبَ الهوى منها فذوق (٤)
إن كنتِ تائقةً لحُـ * ـرّ صبابة منها فتُوق (٤)

٤٣ / ٦

ومما قاله فى روضة وفيه غناء قوله : شعر له فى روضة

صوت

يا لَقومى لِكثرة العذّال * ولطيفٍ سرى مليحِ الدّلالِ
زائرٍ فى قصور صنعاءَ يَسْرى (٥) * كلَّ أرض مخوفةٍ وجبالِ

(١) سقط الكثيب : منقطعه . (٢) الخلوق (كرسول) : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . والردع : أثر الطيب فى الجسد . (٣) الرمة : قطعة حبل يشدّ بها .
(٤) أصله : « فذوقى » و « فتوقى » . فحذفت الياء لضرورة القافية .
(٥) راجع ما كتبه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى فى سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ عن هذه القصور فى الجزء الثامن من كتابه الإكليل المطبوع فى بغداد سنة ١٩٣١ م فقد وصفها وصفا شافيا وذكر أقوال الشعراء فى مدحها .

— والغناء لابن عبّاد عن الهشامىّ رمل — وهذه الأبيات من قصيدة له فى روضة طويلة جيّدة يقول فيها :

يقطع الحَزْن والمَهَامِهَ والبيـ * ـد ومِنْ دونه ثمانُ ليالِى
عاتبٌ فى المنام أحْبِبْ بعُتْبا * ه إلينا وقولِهِ مِنْ مَقالِ
قلت أهلًا ومرحبًا عَددَ القَطْـ * ـر وسهلًا بطيف هذا الخَيالِ
حبّذا مَنْ إذا خلونا نَجِيًّا * قال : أهلى لك الفِداء ومالى
وهى الهمّ والمُنَى وهوى النفْـ * ـس إذا اعتلّ ذو هوًى باعتلال
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا * س فما قِسْتُ حبّها بمثال
لم أجد حبّها يُشاكله الحبّ * ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجال
كل حبٍّ إذا آستطال سيبلَى * وهوَى روضةِ المُنَى غيرُ بالى
لم يَزِدْه تقادُمُ العهد إلّا * جِدّةً عندنا وحسنَ احتلال
أيها العاذلون كيف عتابى * بعد ما شاب مَفْرِقى وقَذالى
كيف عَذْلى على التى هى منّى * بمكان اليمين أُختِ الشِّمال
والذى أَحْرموا له وأحلّوا * بمِنًى صُبْحَ عاشرات الليالى (١)
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّى * مُنذ عُلِّقتُها فكيف احتيالى
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفًا * أو دنتْ لِى فثمّ يبدو خَبالى
يابنةَ المالكىّ يا بَهْجة النفْـ * ـس أفى حبّكم يَحِلُّ اقتتالى
أىّ ذنب علىّ إن قلتُ إنى * لأُحِبّ الحِجازَ حبَّ الزُّلال
لأُحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ * ـه وأهوى حِلالَه من حِلال (٢)

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذى الحجة .

(٢) الحلال : جمع حلة (بالكسر) وهى المحلة ، أو القوم النزول فيهم كثرة .

صـــوت

ومما فيه غناء من شعر وضاح :

أيهـا النّـاعِبُ ماذا تقولُ * فكلانا سـائلٌ ومَسولُ
لا كساكَ الله ما عشتَ ريشًا * وبخـوفٍ بتَّ ثم تَقيـــلْ (١)
ثم لا أَنْقَفْتَ (٢) في العُشّ فرخًا * أبدًا إلا عليـــك دليـــل
حين تُنبي أنّ هنـدًا قريبٌ (٣) * يبلُغ الحاجاتِ منها الرسول
ونأت هنـد فَخَبَّرْتَ عنهـا * أن عهد الودّ سوف يزول

ومنهـا :

صـــوت

حيِّ التي أَقْصَى فؤادكَ حَلّتِ * علمتْ بأنك عاشـــقٌ فأدلّتِ ٤٤/٦
وإذا رأتك تقلقلتْ أحشاؤُها * شوقًا إليـك فأكثرتْ وأَقَلّت
وإذا دخلتَ فأُغلِقتْ أبوابُهـا * عزم الغيورُ حجابَهـا فاعتلّت
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً * حتى تَبُـــلّ دموعُهـا ما بَلّت
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحبًا * رَحُبَت عليـك بلادُنا وأظلّت

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسـطى عن عمرو . وفيها ليحيي المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسـطى، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أن ليحيي فيهـا أيضا خفيفَ ثقيل .

---

(١) كذا في ح وهامش نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه . وفي سائر الأصول : « ثقيل » (بالثاء المثلثة)، وهو تصحيف . (٢) أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة . وفي أ، ء، م : « ثم لا أبقيت » . (٣) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « حيث » .

ومنهـا :

صــــوت

أتعـرف أطـلالاً بميْسرة اللِّوَى * إلى أَرْعب[(١)] قد حالفتك[(٢)] به الصَّـبَا
فأهـلاً وسهلاً بالتى حــلّ حبُّها * فؤادى وحلّت دارَ شَحْط من النَّوى

— الغناء فيـه هَزَجٌ يَمَنِىّ بالبنصر عن ابن المكىّ — وهـذه أبيات يقولهـا لأخيه سَمَاعةَ، وقد عتَب عليه فى بعض الأمور ، وفيها يقول :

أُبادر دُرْنوكَ[(٣)] الأمـير وقُـرْبَه * لأُذْكَرَ فى أهْــل الكرامة والنُّهى
وأَتْبَــع القُصَّاصَ كلَّ عشيّةٍ * رجاءَ ثواب الله فى عَــدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضرب الماءُ سورَه * وأصبحتُ فى صنعاءَ ألتمس النَّدى
فمن مُبْلِغٌ عنّى سمـاعةَ ناهيـا * فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى[(٤)]
و إن شئتَ وصلَ الرَّحْم فى غير حيلة * فعلنـا وقُلْنـا للذى تشتهى بلَى
و إن شئتَ صُرْمًا للتفرّق والنّوى * فبُعْــدًا ، أدام الله تفـرقةَ النّوى

ومنهـا :

صــــوت

طَرَق الخيالُ فمرحبـًا ألفـا * بالشاغفات قلوبَنا شَـغْفَا
ولقد يقول لىَ الطبيبُ وما * نبّأتُه من شأننا حَـرفا :

---

(١) كذا ذكره صاحب معجم البلدان (بالراء المهملة) . وقال : «أرعب (بالفتح ثم السكون وعين مهملة والباء موحدة) : موضع فى قول الشاعر» . وساق هذين البيتين . وفى جميع الأصول : «أزعب» . (بالزاى المعجمة) . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «قد خالفتك» (بالخاء المعجمة) .

(٣) الدرنوك : الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير كخمل المناديل و به تشبه فروة البعير والأسد . (٤) السلى : الجلدة التى يكون فيها الجنين من الناس والمواشى ، فإن انقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الجنين .

إنى لأحسب أنّ داءَك ذا * مِن ذى دَمَالج يخضب الكفّا

إنى أنا الوضّاح إنْ تَصِلى * أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا

شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكها * ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا

ومنها :

صـــوت

— ويُروى لبشّار —

يا مــرحبًا ألفًا وألفًا * بالكاسراتِ إلىّ طَـرْفا

رُجُحِ الرّوادف كالظِّبا * ء تعـرّضت حُـوًّا ووُطْفا(١)

أنكرنَ مركبىَ الحِما * رَوكنّ لا يُنكِرن طِـرْفا(٢)

وسألننى أينَ الشـبا * بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفـا

أَفْــنَى شــبابى فانقضى * حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفـا

أعطيتهنّ مــودّتى * فجزيْنَى كذبًا وخُلْفـا

٤٥/٦ وقصـائدٌ مثـلُ الرُّقَى * أرسلتُهن فكنّ شَـغْفا

أوجعن كلَّ مُغـازِلٍ * وعَصَفْن بالغَـيران عَصْفا

من كل لذّات الفتى * قــد نلتُ نائلــةً وعُرْفا

صِـدتُ الأوانسَ كالدُّمى * وسقيتُهنّ الخمـرَ صِرْفا

ومنهـا : — وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبى جمَد —

(١) الحو : جمع حواء ، وهى التى بها لون الحوة ، وهى سواد إلى خضرة ، وقيل : حمرة إلى سواد . والحوّة أيضا سمرة الشفة . والوطف : جمع وطفاء ، وهى كثيرة شعر أهداب العينين . (٢) الطرف : الكريم من الخيل .

صـــوت

أغْنِى[(١)] على بيضاءَ تَنْكَلُّ[(٢)] عن بَرَدْ * وتمشى على هَوْنٍ كِمشْية ذى الحَرَدْ[(٣)]
وتلبَس من بَزِّ العراق مَنَاصِفًا * وأبْرادَ[(٤)] عَصْبٍ[(٥)] من مُهَلْهَلَة الجَنَد[(٦)]
إذا قلت يومًا نَوِّليني تبسّمتْ * وقالت لعمرُ الله لو أنه ٱقتصد
سَموتُ إليها بعد ما نام بعلُها * وقد وسّدتْه الكفُّ فى ليلة الصَّرد[(٧)]
أشارت بطرف العين أهلًا ومرحبًا * ستُعطَى الذى تهوَى على رغم مَنْ حسد
ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوّنا * وكل غلام شامخ الأنف قد مَرَد[(٨)]
فقلت لها إنى ٱمرؤ فَٱعلمِنّه * إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِلِ العَدَد
بَنَى لىَ إسماعيلُ مجدًا مُؤثّلا * وعبدُ كُلالٍ قبله[(٩)] وأبو جَمَد
تُطيف علينا قهوةٌ فى زجاجةٍ * تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسد

ومنها :

صـــوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ * قد يعشَق القلبُ ثم يَتَّئِدُ
قد يكتُم المرءُ حبَّه حِقَبًا * وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِد
ماذا تُراعون من فتًى غَزِلٍ * قد تيّمتْه خَمْصانةٌ رُؤُدُ
يهددونى كيما أخافَهمُ * هيهاتَ أنّى يُهدَّد الأسد

---

(١) كذا فى جميع الأصول. ولعلها : «أعنى» (بالعين المهملة)، أمر من الإعانة. (٢) تنكل : تفتر وتبسم. (٣) الحرد : ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط فى المشى، أو هو داء يأخذ الإبل فى اليدين دون الرجلين فتسترخى أيديها. (٤) فى حـ : «أكباش»، وهى والأبراد بمعنى واحد. (٥) العصب : ضرب من برود اليمن، واحده وجمعه سواء، يقال : برد عصب وبرود عصب بالإضافة. (٦) الجند (بالتحريك) : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخا. (٧) الصرد (بسكون الراء وفتحها) : البرد وقيل شدته. (٨) مرد : عتا وبلغ الغاية. (٩) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «بعده».

ومنهـا :

صــــوت

صــدَع(١) البَيْنُ والتفرّقُ قلبي * وتولّت أُمُّ البنيــن بِلُبِّي

ثَوتِ النفسُ فى الحُمول لديها * وتولّى بالجسم منّى صَحْـبى

ولقد قلتُ والمدامعُ تجرى * بدموع كأنها فَيْضُ غَرْب

جزَعًا للفـراق يوم تولّت : * حَسْبِيَ الله ذوالمَعارج حسبي

ومنهـا :

صــــوت

يا ٱبنة الواحد جودى فمـا * إن تَصْـــرِمينى فَبِما أو لِمَـا

جُودِى علينا اليومَ أو بَيِّنى * فِـــيمَ قتلتِ الرجــلَ المُسلِما

إنى وأيدِى قُلُصٍ ضُمَّـــرٍ * وكلِّ خِرْقٍ(٢) وَرَدَ المَوْسِمـا

ما عُلّق القلبُ كتعليقها * واضـعةً كفًّا علَتْ مِعْصما

رَبَّةُ(٣) محـراب إذا جئتُهـا * لم ألقَهـا أو أرتــقى سُلَّما

إخوتُها أربعــة كلُّهـــم * ينفون عنها الفارسَ المُعلَمَـا ٤٦/٦

كيف أُرجّيها ومِنْ دونها * بَوّابُ ســوء يُعجل المَشْـتِما

أسودُ هَتّاكٌ لأعراضِ مَنْ * مرّ على الأبواب أو سَلّمـا

لا مِنّــةَ أَعْـلَمُ كانت لهـا * عندى ولا تطلُب فينا دما

بل هى لمّـا أن رأت عاشقًا * صبًّا رمتْه اليــومَ فيمن رَمى

لمّـا ٱرتمينـا(٤) ورأت أنّهـا * قد أثبتتْ فى قلبــه أسهُما

(١) فى حـ : «صرع» . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) كذا فى اللسان (مادة حرب) . وفى الأصول : «ورب محراب» ، وهو تحريف . (٤) ارتمينا : ترامينا .

أعجبها ذاك فأبْدت له * سُنَّتَها[١] البيضاءَ والمِعْصَما
قامت تراءَى لى على قَصْرِها * بين جَوارٍ خُرَّدٍ كالدُّمَى
وتَعقِد المِرْطَ على جَسْرةٍ[٢] * مثلِ كَثيب الرمل أو أَعْظَما

ومنها :

صوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعى * وأنت وضّاحُ ذو اتباعِ[٣]
دعتْك مَيّالةٌ لَعُوبٌ * أَسيلة الخد باللِّماع
دلالُكِ الحُلْو والمشهِّى * وليس سرِّيك بالمُضاع
لا أَمنع النفسَ عن هواها * وكلّ شىء إلى ٱنقطاع

ومنها :

صوت

ألَا يا لَقَومى أَطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ * ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ
تذكَّر سَلْمى وَهْى نازحةٌ فَحَنّْ * وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ
ألم تَرَهَا صفراءَ رُؤْدًا شبابُها * أسيلةَ مجرى الدمع كالشَّادن الأَغَنّ
وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَىْ مَراجِلٍ[٤] * وأبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمن
فقلتُ لها لا تَرتَقِى السطحَ إننى * أخاف عليكم كلَّ ذى لِمَّة حَسَن

(١) السنة : الوجه، وقيل : الجبهة والجبينان، وقيل : غير ذلك . (٢) المرط (بالكسر) : كساء من صوف أو خز أو كتّان يؤتزر به، و ربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . والجسر : كل عضو ضخم، ويريد بالجسرة هنا العجيزة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ذو تباع » .
(٤) المراجل : ضرب من برود اليمن عليه تصاوير .

الغناء لابن سُرَيج، وله فى هذا الشعر لحنان : ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وأول الرمل قولُه :

* ألا يا لَقومى أطلقوا غلَّ مرتَهَن *

وأول الثقيل الأول : «تذكَّر سلمى» . وفى هذه الأبيات هَزَج يمنىّ بالبنصر .

ومنها :

صــــوت

أغدوتَ أمْ فى الرائحـين تَرُوحُ * أم أنت من ذِكْرِ الحسان صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ ما لصديقنا * رثّ الثياب وإنه لمليح
لا تسألِنّ عن الثياب فإننى * يومَ اللقاء على الكُماة مُشيح
أَرْمِى وأطعَن ثم أُتبِع ضربةً * تَدَعُ النساءَ على الرجال تنوح

***

صــــوت
من المائة المختارة

يا صاح إنى قد حججـ * ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدس
وأتيت لُدًّا[(1)] عامدًا * فى عيد مَرْيَا سَرْجس[(2)]
فرأيتُ فيه نِسوةً * مثلَ الظباء الكُنَّس ٤٧/٦

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهدىّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر . وكان المُعلّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولّدى الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما علىّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للهدىّ

(١) كذا فى المسالك والممالك لابن خرداذبه ومعجم البلدان . ولد (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين . وفى سائر الأصول : «فذا» . وفى حـ : «بدا» وهما محرفان .
(٢) فى المسالك والممالك لابن خرداذبه : «مريا جرجس» .

فأعتقهما . ونهر المعلَّى ورَبَض[1] المعلَّى ببغداد منسوب إلى المعلَّى — هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه — وكان ضارباً محسنا طيّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة ، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الوادى . ووُلّى أخوه ليثٌ السِّنْدَ، ووُلّى هو الطِّراز[2] والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه ، ثم وُلّى الأهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصلَّى[3]:

يا علىَّ بنَ صالح ذا[4] المصلَّى * أنت تَفْدى لَيْثاً وتفدى المعلَّى
سَدّ ليثٌ ثغرًا ووُلّيت فاْخْتَدْ * تَ فبئس المَولى وبئس المولَّى

وعلىّ بن سليمان هذا الذى أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهدىّ هو الذى يقول فيه أبو دُلامة زَنْد[5] بن الجَوْن الأَسَدىّ ، وكان خرج مع المهدىّ إلى الصيد ، فرمى المهدىّ وعلىّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما ، وقد أرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأصاب المهدى الظبيَ وأصاب علىّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما . فقال أبو دُلَامة :

قد رمى المهدىُّ ظبيًا * شكّ بالسهم فؤادَه
وعلىُّ بنُ سُليما * نِ رَمى كَلْباً فصاده
فهنيئًا لهما كلُّ آمرئٍ يأكل زادَه

حدّثنا بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب ، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبير بن بَكّار عن عمّه .

(١) الربض (محركة) : الناحية ، وما حول المدينة من بيوت ومساكن . والأرباض كثيرة جدا ، وقلما تخلو مدينة من ربض . ذكر منها ياقوت فى معجمه ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء ، ولم يذكر «ربض المعلى» من بينها .

(٢) يريد ديوان الطراز وهو الذى تنسج فيه الثياب .

(٣) كذا صححها المرحوم الشيخ الشنقيطى على هامش نسخته . وفى جميع الأصول : «المصلى» وهو تحريف . راجع الطبرى فى اسم على بن صالح هذا .

(٤) فى جميع الأصول : «ذى» وهو تحريف .

(٥) فى جميع الأصول هنا : «زيد» (بالياء المثناة) ، وهو تصحيف . (راجع ترجمته فى الجزء التاسع من الأغانى ص ١٢٠ — ١٤٠ طبع بولاق) .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أَلَا طَرَد الهوى عنّى رُقَادِى * فحسبى ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبدَة إنّ عبدَة تيّمتْنى * وحلّت من فؤادى فى السّواد

الشعر لبشّار . والغناء المختار فى هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن علىّ أنه يمنىّ، وذكر الهشامىّ أنه لسُلَيم .

أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره(١) سوى هذه تقدّمت

حبه لعبدة وشعره فيها

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدينى عمن حدّثه عن الأصمعىّ هكذا قال، وأخبرنى به عمّى عن عبد الله(٢) بن أبى سعد عن علىّ بن مسرور عن الأصمعىّ قال :

كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدَان . فبينا هو فى مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ آمرأة يقال لها عَبْدة فى المجلس ، فدعا غلامَه (٤٨/٦) فقال : إنى قد عُلّقت آمرأة ، فإذا تكلمتْ فآنظر مَنْ هى وآعرِفْها ، فإذا آنقضى المجلسُ وآنصرف أهلُه فآتْبَعها وكلّمها وأَعْلمها أنّى لها محبّ وأَنْشِدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنى قلتُها فيها :

صوت

قالوا بمَنْ لاترى تَهْذِى فقلتُ لهم * الأذْنُ كالعين تُوفِى القلبَ ما كانَا
ما كنتُ أوّلَ مشغوف بجارية * يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحا ورَيْحانا

— ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية —

يا قوم أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ * والأُذْن تعشق قبل العين أحيانا

— غنّى إبراهيم فى هذه الأبيات ثانىَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسياطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هزج من جامع أغانيه — قال : فأبلغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة

(١) يلاحظ أن بعض الأخبار المذكورة هنا تقدّمت فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عبيد الله » وهو تحريف .

يَصْحَبنها فيأ كلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشِدَها ولا تُطمعه فى نفسها . قال : وقال فيها :

قالت عُقَيل بنُ كعب إذ تعلّقها (١) * قلبى فأضحَى به من حبّها أثرُ
أنّى ولم ترها تَهذِى ! فقلتُ لهم * إن الفؤاد يَرَى ما لا يرى البصر (٢)
أصبحتُ كالحائم الحَرّان مُجتنَباً * لم يَقضِ وِرْدا ولا يُرجَى له صَدَر

قال : وقال فيها أيضا — وهو من جيّد ما قال فيها — :

يُزهّدنى فى حبّ عبدةَ معشرٌ * قلوبُهمُ فيها مخالفةُ قلبى
فقلتُ دَعُوا قلبي وما آختار وآرتضَى * فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ
فما تُبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأذْنان إلّا من القلب
وما الحسنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبَا * وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال : وقال فيها :

يا قلبُ مالى أراك لا تَقِرُ * إياكَ أعْنِي وعندك الخبرُ
أَضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً * أم ضاع ما آستودعوك إذ بكَروا؟
فقال بعضُ الحديث يَشْغَفُنى * والقلبُ راءٍ مالا يَرَى البصر

عابه الحسن البصرى وهتف به فهجاه

وأخبرنى بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ قال حدّثنا الحسن آبن عُليل العَنَزِيّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصة، و زاد فيها :

---

(١) عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها . ومن قوله يفتخر بهذا الولاء كما مرّ فى ترجمته :

إننى من بنى عقيل بن كعب * موضع السيف من طلى الأعناق

(٢) فى ب ، س : «ما لم ير البصر» .

أنّ عَبْدة جاءت إليه فى نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرًا يَنُحْن عليه به، فوافَيْنَه وقد احتجم — وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَرَدان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» — وهو جالس فى البردان وقد قال لغلامه: أمسِكْ علىّ بابى وآطبُخْ لى وهيِّئ طعامى وطَيِّبْه وصَفِّ نبيذى. قال: فإنه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعًا عنيفا؛ فقال: وَيْحَك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرًا يَنُحْن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى ٤٩/٦ فى قَنَانيِّه؛ [فى جانب بيته] (1) فقالت إحداهن: خمر؛ [وقالت الأخرى: زبيب]؛ (2) وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكُنّ حرفا أو تَطْعَمن من طعامى وتشربن من شرابى. فتماسكْنَ ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه وآشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسنَ البصرى فعابه وهتَف به. فبلغ ذلك بشّارًا، وكان الحسن يُلقَّب القَسّ (3)، فقال فيه بشّار:

لمّا طلعنَ من الرَّقيـ * ـق علىّ بالبَرَدان خَمْسا (4)

وكأنهنّ أهِـلّة * تحت الثياب زَفَفْن شمسا

باكَرْنَ طِيبَ لَطيمـةٍ (5) * وغُمِسن فى الجادىّ غَمْسا

فسألنَنى مَنْ فى البيو * ت فقلتُ ما يحوين إنْسا

ليت العيونَ الناظرا * تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا

فأصبن من طَرَف الحديـ * ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا

لولا تَعَرُّضهن لى * يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

---

(1) زيادة عن حـ. (2) هذه العبارة ساقطة من ب، س. (3) لقب بهلصلاحه.
(4) تقدّمت هذه الأبيات مع تفسير كلماتها الغامضة فى ترجمة بشار (ج٣ ص ١٧٠ من هذه الطبعة).
(5) اللطيمة: المسك ونافجته، وقيل: العير التى تحمل الطيب. والجادى: الزعفران.

لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس والتشبيب بالنساء فقال : لا أعاود ثم قال شعرا

أخبرنى الأَسَدىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفى قالوا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا على بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفَلىّ قال :

أتيت بشارًا ذات يوم، فقال لى : ما شعَرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابى مع الصبح؛ فقلت : يا جارية، انظرى مَنْ هذا؛ فقالت : مالك بن دينار؛ فقلت : مالى ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالى! ائذنى له . فدخل فقال لى : يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندى إلا دفعه عن نفسى بأن قلت : لا أعاود؛ فخرج من عندى . وقلت فى إثره :

غـدا مالكٌ بمَـلاماته * علىّ وما بات من باليَهْ (١)
فقلتُ دَعِ اللومَ فى حُبِّها * فقبلكَ أعييتُ عُذّالِيَـهْ
وإنّى لأَكتُمهـم سِرَّها * غداةَ تقول لها الحاليه
أعبـدةَ مالكِ مَسْلوبةً * وكنتِ مُقرطَقةً حاليـه (٢)
فقالت على رِقْبةٍ : إننى * رهنتُ المرعَّث خَلْخاليه
بمجلِسِ يومٍ سأُوفِى به * وإن أنكر الناسُ أحواليه

أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فرد عليها بشعر فيها

أخبرنى وَكيع (٣) قال حدثنى عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى الحسن بن جهور قال حدثنى هشام بن الأحنف، راوية بشّار، قال :

إنى لعنـد بشّار ذاتَ يوم إذ أتته آمرأة فقالت : يا أبا معاذ، عَبـدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد آشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام؛ فقال : عن غير مَقْلية

(١) راجع هذه الأبيات والتعليق عليها فى ترجمته فى الجزء الثالث ص ١٧٠ من هذه الطبعة .

(٢) مقرطقة : لابسة القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء وقد تضم) وهو القباء . وقد مرت بلفظ : « معطرة » .

(٣) الذى مر هو الحسن بن جهور . ويروى عنه محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك، وعن محمد هذا يروى وكيع . (راجع ج ٣ ص ١٦١ س ٩ من هذه الطبعة) .

والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام، خذ الرقعةَ وٱكتب فيها ما أقول لك ثم ٱدفعه للرسول . قال هشام : فأملى علىّ :

عبــد إنّى إليــكِ بالأشواقِ * لِتَــلاقٍ وكيف لى بالتلاقى
أنا والله أشتهى سِحْــرَ عينيْـ * ـك وأخشى مَصَارِعَ العشّاق
وأهاب الحَرْسىّ(١) مُحتسِبَ الجُنْـ * ـد يَلُفّ الـــبرىءَ بالفُسّاق ٥٠/٦

ومما يغنى فيه من شعر بشار فى عبدة قولُه :

صـــــوت

لعبــدةَ دارٌ ما تكلّمنــا الدارُ * تَلُوح مَغَانيهــا كما لاح أسطارُ
أُسائل أحجـارًا ونُؤْيًا مُهَــدَّمًا * وكيف يُجيب القولَ نؤىٌ وأحجار
وما كلّمتنى دارُها إذ سألتُهــا * وفى كبدى كالنِّفْط شُبَّت به(٢) النار
وعند مَغَانِى دارها لو تكلّمتْ * لِمكتئبٍ بادِى الصَّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لٱبن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامى . ومن هذه القصيدة :

صـــــوت

تحمّــل جــيرانى فعينى لبَيْنهــم * تَفيض بتَهْتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على من كنت أحظَى بقــربه * وحقَّ الذى حاذرتُ بالأمس إذ ساروا(٣)

الغناء ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر .

---

(١) الحرسى (بالتحريك) : واحد حرس السلطان، وسكن هنا للضرورة .
(٢) فى جميع الأصول : « له » .
(٣) فى ب، سـ : « صاروا » .

ومن الأغانى فى شعره فى عبدةَ :

صـــوت

مَسّنى من صـــدود عبـدةَ ضُرّ * فبنات الفـــؤاد ما تسـتقرُّ
ذاك شيء فى القلب من حبّ عبـ * ـدةَ بادٍ وباطنٌ يستَسِرّ

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجـرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رَمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه فى كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المـكّىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشامى .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبد إنى قـد ظُلمت وإننى * مبـْدٍ مقالة راغبٍ أو راهبِ
وأتوبُ ممـا تكْرهين لِتقْبلى * واللهُ يقبل حُسنَ فعل التائب

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيى المكىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامى .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد حبُّك شفَّنى شَفًّا * والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفا
والحبُّ يُخفيه المحبّ، لكى * لا يُستراب به، وما يخفَى

الغناء لِسيَاط خفيفُ رملٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد بالله فرِّجى كُرَبى * فقــد برانى وشفَّنى نَصَبى
وضِقْتُ ذَرْعًا بما كَلِفْتُ به * من حُبِّكم والمحبُّ فى تعب
ففــرِّجى كُرْبةً شَجِيتُ بهـا * وحَرَّ حُزْنٍ فى الصدر كاللَّهَب
ولا تَظُنِّى ما أشـتكى لَعِبًا * هيهات قد جلّ ذا عن اللعب

٥١/٦ غنّاه سِيَاطٌ ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد زُورِينى تَكُنْ مِنّةً * لله عنــدى يومَ ألقـاكِ
واللهِ ثُمّ اللهِ فاستيقنى * إنى لأرجوكِ وأخشـاكِ
يا عبـد إنى هالكٌ مُدْنَفٌ * إنْ لم أذُقْ بَرْدَ ثناياكِ
فلا تَرُدِّى عاشقًا مُـدْنَفًا * يرضَى بهذا القدر من ذاكِ

الغناء لحَكَمٍ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأَنْعِمى * واشـفِى فـؤادَ فتًى يَهِيم مُتَيَّمِ

الغناء ليزيد حَوْراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد هل لِلقـاء مِنْ سَبَبِ * أَوْلَا فأدعو بالويل والحَـرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنّس .

ومنها :

صـــــوت

يا عبد هــلْ لى منكمُ مِنْ عائدِ * أَمْ هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسدِ

الغناء لآبن عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها :

صـــــوت

يا عبـد حيِّ عنِ قريبِ * وتأمَّــلى عينَ الرقيبِ
وارعَىْ وِدَادى غائبًا * فلقــد رَعَيتُكِ فى المَغيب
أشكو إليــكِ وإنّما * يشكو المُحبّ إلى الحبيب
غَرِضى إليـــكِ من الهوى (١) * غرض المريض إلى الطبيب

الغناء لحَكَم مطلق فى مجرى البنصر .

ومنها :

صـــــوت

يا عبـد باللهِ آرْحمى عَبْدكِ * وعَلّليــه بمُنَى وَعْــدِكِ
يُصبح مكروبًا ويُمسى به * وليس يَدرِى ما له عنــدك
ماذا تقولين لربّ العُلا * إذا تخلّيتِ به وحــدك

الغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمــرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه . وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنّسه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثانى لِســيّاط .

(١) فى الأصول : «غرضا» .

ومنهـا :

صـــــوت

يا عَبْــد جَلِّى كروبى * وأَسْــعِفى وأَثِيبى
فقـــد تَطَاول هَمّى * وزَفْــرتى ونَحيبى

الغناء لابن سُكَّرة عن إبراهيم ولم يجنِّسه .

ومنهـا :

صـــــوت ٥٢/٦

يا عبـــد أنتِ ذخيرتى * نفسى فَــدَتْكِ وجِيرتى
اللّهُ يعـــلم فيكمُ * يا عبـد حسنَ سريرتى
نفسى لنفسكِ خُـــلَّةٌ(١) * وكـذاك أنت أميرتى(٢)

الغناء لحَكَم الوادى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صـــــوت

يا عبـــد حُبِّى لكِ مستورُ * وكلّ حبّ غـــيره زُورُ
إنْ كان هجرى سَرَّكم فاهجروا * إنّى بمـا سَــرّك مسرور

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكّىّ .

ومنهـا :

صـــــوت

لم يَطُــلْ لَيْـلى ولكنْ لم أنمْ * ونَفَى عنّى الكَرَى طيفٌ ألَـمّْ
و إذا قلتُ لهـا جُودى لنـا * خرجتْ بالصمت عن لا ونعم

(١) الخلة (بالضم) : الخليلة . (٢) فى حـ : « أسيرتى » .

رَفِّهِى يا عَبْـــدَ عنّى وٱعلمى * أنّنى يا عبـــدُ من لحمٍ ودم
إنّ فى بُرْدِىَ جسمًا ناحلًا * لو توكّأتِ عليـــه لٱنهـــدم
خَتَـمَ الحبُّ لهـا فى عنـقِ * موضعَ الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسّبابة والوسطى عن ابن المكىّ . وذكره إسحاق فى هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أحد . وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل فى الأول والخامس . وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو :

* خَتَمَ الحبّ لها فى عُنُقِ *

أنشده رجل بيتا له فأنكره

أخبرنى عمّى قال حدثنا الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم السِّجِسْتَانىّ قال حدّثنى مَنْ أنشد بشارًا قولَه :

* لم يَطُل لَيْلِى ولكنْ لم أَنَم *

حتى بلغ إلى قوله :

ختم الحبُّ لهـا فى عُنُقٍ * موضعَ الخاتَم مِنْ أهل الذمَمْ

فقال بشار : عَمّن أخذتَ هذا؟ قلتُ : عَنْ راويتك فلان؛ فقال : قَبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أمَا ترى إلى أثره فيه ! ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عنّى! فقال له بعضُ من حضر : نَعم ، هو أَلْحقه بالأبيات .

ومنهـا :

صــــوت

عَبْـدَ إنّى قـــد ٱعترفتُ بذَنْبى * فٱغفِرى وٱعْرُكِى(١) خَطاىَ بجَنْبِ(٢)
عبدَ لا صبرَ لى ولستُ ـ فَمهلًا ـ * قائلًا قـــد عَتَبْتِ فى غير عَتْبِ

(١) فى جميع الأصول : «واعدلى» ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . يقال : عرك بجنبه ما كان من صاحبه ، كأنه حكه حتى عفاه . وأصله من عرك الأديم إذا دلكه . (٢) فى جميع الأصول : «بجنبى» وهو تحريف .

ولقــد قلتُ حين أَنْصبنى الحب * فَأَبْلَى جِسْمى وعـذّب قلـبى
ربِّ لا صبرَ لى على الهجر حَسْبِى * فَأَقِلْنى حَسْبى لكَ الحمـدُ حسبى

الغناء لِسيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب آبن المكىّ.

ومنهـا :

صـــوت

عبــد مُنّى وأَنْعِمِى * قــد ملَكْتم قِيادِيَهْ
شابَ رأسى ولم تَشِبْ * وا بَــلَاى لِدَاتِيَــه(١)

٥٣/٦ الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعرِيبَ هزج .

ومنهـا :

صـــوت

عبد يا هِمّتى(٢) عليك السلامُ * فيم يُجْـفَى حبيبُك المستهامُ
نزل الحبّ منزلًا فى فؤادى * وله فيــه مجلسٌ ومقام

الغناء لأبى زكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعرِيبَ هَزَجٌ(٣) .

ومنهـا :

صـــوت

عبــد ياقُــرّةَ عينى * أنصفى، رُوحى فداكِ
عاشق ليس لــه ذِكـ * ـرٌ ولا هــمٌّ سـواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيدَ حَوْراء غير مجنَّس .

(١) فى جميع الأصول : «لداتيه» . والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . (٢) الهمة (بالكسر ويفتح) : الهوى . (٣) فى حـ : «رمل» .

ومنهـا :

صـــوت

يا عَبْـد يا جافيةً قاطعه * أمَا رَحِمتِ المُقْلَةَ الدامعهْ
يا عبد خافِى اللهَ فى عاشقٍ * يهواكِ حتى تقَع الواقعـه

الغناء لأبى زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صـــوت
من المـائة المختـارة

أَرْسَلَتْ أمُّ جعفـر لا تزورُ * ليتَ شعرى بالغيب مَنْ ذا دهاها
أأتاهـا محـرِّش بِنَمِيـمٍ * كـاذبٌ ما أراد إلا ردَاها

— عروضه من الخفيف — الشعر للأحوص . والغناء لأمّ جعفر المدنيّـة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . ولحنه من الثقيـل الأوّل فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً[1] من الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعنى[2] أم غيره . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها عن يحيى المكّىّ و إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «...أن فيه لحنا لمعبد من الثقيل...» بزيادة كلمة «معبد» . ولا يستقيم المعنى بذكرها .

(٢) فى الأصول : «يغنى» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

أم جعفر التى كان يشبب بها الأحوص ونسبها

وقد ذُكرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّما إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التى قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِّرت إلى هذا الموضع . وأمّ جعفر هذه آمرأة من الأنصار من بنى خَطْمة(١)، وهى أمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتَادة بن مَعَدّ بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك(٢) بن الأوْس . وله فيها أشعار كثيرة .

تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلَّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطَّلْحى عن عبد العزيز آبن أبى ثابت ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدثنى أحمد بن زُهَير عن مصعَب، وأخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسىّ، قالوا جميعا :

٥٤/٦

لمّا أكثر الأحوصُ التشبيبَ بأمّ جعفر وشاع ذكرُه فيها توعّده أخوها أَيْمَنُ وهدّده فلم يَنْته، فآستعدَى عليه والىَ المدينة — وقال الزبير فى خبره : فآستعدى عليه عمر بن عبد العزيز — فربَطهما فى حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أخوها . وقال غير الزُّبَير فى خبره : وسَلَح الأحوصُ فى ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها :

---

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلا على أنفه فحطمه . (٢) كذا فى شرح القاموس مادة خطم وكتاب الاستبصار فى أنساب الأنصار ص ١٤٦ المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٩ تاريخ) . وفى جميع الأصول : «... خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس» وهو تحريف .

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ * وإنِّى إلى معروفها لفقيرُ
وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتى * وقد وَغِرتْ فيها علىّ صدور
أَدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ * بأبياتكم ما درتُ حيث أدور
أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها * وقلبى إلى البيت الذى لا أَزور
وما كنتُ زَوّارا ولكن ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزور
أزور على أن لست أنفكُّ كلَّما * أتيتُ عدوًّا بالبنان يُشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بنى عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوصَ فى هذه الأبيات ويعيِّره بفراره:

لقد منع المعروفَ من أم جعفر * أخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ
عَلاكَ بمَتْن السوطِ حتى ٱتّقيتَه * بأصفرَ من ماء الصِّفاق[(1)] يفور

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأَيْمَنَ ذنبَه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدّنى * يدٌ لأَدانيه مباركةٌ عندى

وقال الزبير فى خبره خاصّة: وإنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة ابن واقع الغَطَفانى الفَزَارى لَزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شَبّة فى خبره: وقال الأحوص فيها[(2)] أيضا — وقد أنشدنى على ابن سليمان الأخفش هذه الأبياتَ وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأضفتهما إليها —:

---

(1) الصفاق: جمع صفق (بالتحريك) وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر، واسم ذلك الماء: الصفق (بسكون الفاء وفتحها). (2) فى جميع الأصول: «فيه» وهو تحريف.

وإنى ليدعونى هوى أُمِّ جعفر * وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإنى لآتى البيتَ ما إن أحبُّه * وأُكثِر هجرَ البيت وهو حبيب
وأُغْضِى على أشياء منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما سَرّكم فأجيب
هَبِينى ٱمرأً إمّا بريئًا ظلمتِه * وإمّا مُسيئًا مذنبًا فيتوب
فلا تتركى نفسى شَعاعًا فإنها * من الحزن قد كادت عليك تذوب
لك اللهُ إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بما أوليتِنى ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفوًا وإننى * لأَزْوَرُ عما تكرهين هَيوب

هكذا ذكره الأخفش فى هذه الأبيات الأخيرة، وهى مروية للجنون فى عدة روايات، وهى بشعره أشبه. وفى هذه الأشعار التى مضت أغانٍ نسبتها : ٥٥/٦

صــوت

أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر * بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أدور على أن لستُ أنفكّ كلما * أتيتُ عدوًّا بالبَنان يُشير

الغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان(١) : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن عمرو. ولإسحاقَ فيهما وفى قوله :

* أزور البيوتَ اللّاصقات بيتها *

وبعده :

* أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر *

لحن من الرمل. وفى البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشامى، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشاريةٍ عن ٱبن المعتز ولم يذكر طريقته.

(١) لم يذكر فى الأصول اللحن الثانى.

إذا أنا لم أغفــر لأيْمَنَ ذنبَه * فمَنْ ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أُريد مكافاةً له وتَصُــدّنى * يدٌ لأَدانيــه مباركةٌ عنــدى

الغناء لَمْعبد ثانى ثقيــلٍ بالوسطى عن يحيى المكىّ، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى الى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيبَ و رَوْنق .

ومنها وهو :

صـــوت
من المـائة المختـارة

و إنى لآتِى البيتَ ما إن أُحبُّـه * وأُكثر هجـرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضى على أشياءَ منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما ســرّكم فأُجيب
وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأننى * أَمِــيمٌ (١) بأفْيـاء (٢) الديار سَــليب (٣)
أَبَثُّــك ما ألقَ وفى النفس حاجةٌ * لهـا بين جِلْدى والعظام دَبيب
لكِ اللهُ إنّى واصــلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بمـا أوليتِنى ومُثيب
وآخُذ ما أعطيتِ عفــوًا و إننى * لأَزْوَرُ عمـا تكرهين هَيوب
فلا تتركى نفسى شَــعاعًا فإنهـا * من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص . ومن الناس من ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء فى اللحن المختار لدَحْمان ، وهو ثقيــلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجــرى البنصر . وذكر الهشامىّ أن فى الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحنًا من الثقيل الأوّل، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى (٤) أم ثقيلًا آخر . وفى :

---

(١) الأميم : المشجوج الرأس وقد يستعار لغير الرأس قال :

قلبى من الزفرات صدّعه الهوى * وحشاى من حرّ الفــراق أميم

(٢) فى حـ : « بأقياء » . وفى سائر الأصول : «بأفناء» . وظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

(٣) السليب : المستلب العقل . (٤) فى جميع الأصول : «غنى» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

لكِ اللهَ إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بمـا أوليتِنى ومُثيب

لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

لما أكثر من ذكر أم جعفر عرضت له فى أمر فحلف أمام الناس أنه لا يعرفها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمـد بن حسن؛ قال الزُّبَير وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرىّ عن مُحْرِز :

أنّ أمّ جعفر لمـّا أكثر الأحوصُ فى ذكرها جاءت متنقِّبةً(١)، فوقفت عليه فى مجلس قومه ولا يعـرفها، وكانت آمرأةً عفيفة؛ فقالت له : اقضِ ثمن الغنم التى آبتعتَها منّى؛ فقال : ما آبتعتُ منكِ شيئًا. فأظهرتْ كتابًا قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعـل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويْحك! أمَا تعرفنى! فجعـل يحلف مجتهدًا أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ . حتى إذا استـفاض قولُها وقولُه وآجتمع النـاسُ وكثُروا وسمعوا مادار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم، قامت ثم قالت : أيها النـاس، أسكتوا . ثم أقبلت عليـه وقالت : يا عدوّ الله! صدقتَ، والله مالى عليك حقّ ولا تعرفنى، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأمّ جعفر وقالت لى أم جعفر فى شـعرك! فخجِل الأحوص وآنكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم .

٥٦
―
٦

سمع أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير، وأخبرنى به محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا ثَعْلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ الأحوص :

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر * وإنّى إلى معـروفها لفقـيرُ

---

(١) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها .

فلما ٱنتهيتُ إلى قوله :

أزور على أن لست أنفكّ كلّما * أتيتُ عدوّا بالبنان يُشير

أَعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدرى يا بنَ أخى كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ، الساعة رجَع، وجعل يُومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبّابته (١) إلى حِيال وجهه ويقلبها، يحكى ذهابَه ورجوعَه.

صـــوت
من المـائة المختـارة

صاحِ قد لُمْتَ ظالمـا * فٱنظرِ ٱنْ كنتَ لائمـا

هل ترى مثـلَ ظَبْيَة * قَـلَّدوها التمـائمـا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء فى اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرنى ذُكَاء وجه الرّزة أن فيه لعَريبَ رملًا بالبنصر، وهو الذى فيه سَجْحة . وفيه لٱبن المَكّىّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى . وزعم الهشامىّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقد سمعها (٢) ممن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رملًا آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل، وهو من جيِّد صنعتها، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها (٣)، ويزعم أنه أخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ : أنّ عَريب صنعتْ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، ولم أسمع بَشَرًا قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة .

(١) لعله : « وبسبابتيه ... ويقلبهما الخ » . (٢) لعله : « وقد سمعه » أى اللحن .
(٣) فى حـ : « ويستجيده » .

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ، أوْ لها(١) موضع تُذكر فيه، إلا عاتكة بنت شُهْدة فإن أخبارَها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا. وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها.

* * *

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة. وأمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مغنِّية أيضا.

٥٧ / ٦

غنى ابن داود الرشيد صوتا لأمها فطرب

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا العَلَاء قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبِيعىّ عن بعض المغنِّين قال:

كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصلىّ وغيرُهما، وعنده فى تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علىّ؛ فتغنَّى المغنّون، ثم آندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم:

صوت

أمّ الوليد سَلَبْتِنِى حِلْمِى * وقتلتِنى فتحوّفى إثمى
بالله يا أمّ الوليد أمَا * تخشَيْن فىّ عواقبَ الظلم
وتركتِنى أبغى الطبيبَ وما(٢) * لطبيبنا بالداء من عِلْم
خافى إلٰهك فى آبن عمّك قد * زوّدتِه سُقْمًا على سُقْم

قال: فآستحسن الرشيد الصوت وآستحسنه جميعُ من حضره وطرِبوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبى، لمن هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سَلْ هؤلاء المغنِّين

(١) فى جميع الأصول: «أولها فى موضع ... الخ». والظاهر أن كلمة «فى» مقحمة.

(٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «أنعى»، وهو تصحيف.

لمن هو . فقالوا : والله ما ندرى ، وإنه لَغريبٌ . فقال : بحياتى لمن هو؟ فقال : وحياتِك ما أدرى إلا أنّى أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليـد أمِّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيَّات ، والغناء لابن مُحْرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشامىّ وحَبَش .

كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصلىّ

اخبرنى محمد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيـه : أنه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يومًا فقال :

كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود، ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف إليها فى كل يوم فتُضاربنى ضربًا أو ضربين، ووصل إليها منّى ومن أبى أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببى : دراهمَ وهدايا .

ماتت بالبصرة ، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :

كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غِناءً وأرْواهم ،وماتت بالبصرة . وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد فى غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذى لا معنى له! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودَعْ من جنونك . فأضجرتْه يومًا بين يدى الرشيد فقال لها : إنى أشتهى، عَلِم الله، أنْ تحتكّ شِعْرتى بشعرتك . فقالت :ٱخسَأْ، قطع الله ظهرَك! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

غنت جارية بشعر فعارضتها هى وذمت بندارا الزيات

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: قال لى علىّ بن جعفر بن محمد :

دخلت على جوارى المروانىّ المغنيات بمكة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنها :

يا صاحبىّ دعَا الملامةَ وٱعلَما ٭ أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيدَا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول : "يدع الرجالَ عَبيدا". فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة : ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضّ بظرَ أمه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ! . قال : فكنتُ إذا مرّ بى بُندار أو رأيتُه غلبنى الضحك فأستحيى منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً ؛ حتى أَوْرث هذا بينى وبينه مقاربةً ؛ فكان يقول : أبو الحسن علىُّ بن جعفر صديقٌ لى .

٥٨/٦

علمت مخارقا الغناء وهو مولى لها

وكان مخارق مملوكًا لعاتكة ، وهى علّمتْه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذُكِر ذلك فى أخباره .

صوت
من المائة المختارة

ولو أنّ ما عندَ ٱبنِ بُجْرةَ عندها ٭ من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتى(١) بناطِلِ
لعمرى لأنتَ(٢) البيتُ أُكرِمُ أهلَه ٭ وأقعُد فى أفيائه(٣) بالأصائل(٤)

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٢) كذا فى س . وفى سائر الأصول : «لآتى البيت» . (٣) كذا فى شرح ديوانه رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٩ أدب ش) وديوان الهذليين المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٦ أدب ش) ولسان العرب (مادتى «فيأ» و «أصل») . والأفياء : جمع فىء وهو الظل ، ولا يكون الفىء إلا بالعشىّ . وفى جميع الأصول : « أفنائه » (بالنون) وهو تصحيف .
(٤) الأصائل : العشيات .

عروضه من الطويل. الشعر لأبى ذُؤَيب الهُذَلىّ. والغناء لحَكَم الوادىّ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . ابن بُجْرة هـذا ، فيما ذكره الأصمعىّ، رجل كان يَبيع الخمرَ بالطائف، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر. وقال ابن الأعرابى : ليس هذا بشىء، وزعم أن الناطل : الشىء؛ يقال : ما فى الإناء ناطل، أى شىء . وقال أبو عمرو الشَّيْبانى : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من المـاء واللبن والنبيذ . انتهى .

ذكر أبى ذُؤَيب وخبره ونسبه

نسبه وإسلامه وموته

هو خُوَيلد بن خالد بن مُحَرِّث[1] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم[2] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم فحسُن إسلامُه. ومات فى غَزَاة إفْرِيقيّة.

رأى ابن سلام فيه وشهادة حسان له

اخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال :

كان أبو ذُؤَيب شاعرًا فَحْلًا لا غَميزة[3] فيه ولا وَهْن.

وقال ابن سَلّام[4] : قال أبو عمرو بن العلاء :

سُئل حسّان بن ثابت : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أحَيًّا أم رجلًا[5]؟ قالوا : حيًّا؛ قال : اشعرُ الناس حيًّا هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدَافع أبو ذُؤَيب. قال ابن سلّام : ليس[6] هذا من قول أبى عمرو ونحن نقوله.

اسمه بالسريانية مؤلف زورا

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرنى محمد بن مُعاذ العُمَرىّ قال :

(١) كذا فى تجريد الأغانى والاستيعاب (ج ٢ ص ٦٦٥). وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته. وفى جميع الأصول : «محرز». (٢) كذا فى طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٩ طبع أوربا) والاستيعاب ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه. وفى جميع الأصول : «غنم». (٣) الغميزة : المطعن. (٤) فى الأصول : «وقال أبو عمرو بن العلاء قال ابن سلام ... الخ» وهو تحريف. فإن ابن سلام هو المتأخر وهو الذى ذكر قول أبى عمرو بن العلاء فى كتابه طبقات الشعراء. (٥) عبارة ابن سلام فى الطبقات : «قال : حيا أو رجلا ...». وفى ب، س : «أم قال رجلا .. الخ». بزيادة «قال». وهو تحريف. (٦) هذه العبارة غير واضحة هنا، وهى واضحة فى كتاب الطبقات لابن سلام، إذ فيه بعد ذكر الخبر : «ابن سلام يقوله». يريد أن ابن سلام يؤيد ما رواه أبو عمرو بن العلاء.

فى التّوراة : أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر بالسريانية "مؤلف زورا". فأخبرتُ بذلك بعضَ أصحاب العربيّة[(١)]، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال : قد بلغنى ذاك . وكان فصيحًا كثيرَ الغريب متمكّنًا فى الشعر .

تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية

قال أبو زيد عمر بن شبّة :

تقدّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التى يَرثى فيها بَنيه . يعنى قولَه :

أمِنَ المَنون ورَيْبِــه تتوجّع * والدهر ليس بمُعْتِب من يَجْزَعُ

وهذه يقولها فى بنينَ له خمسةٍ أُصيبوا فى عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه .

خرج مع عبد الله ابن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فاتٍ فى مصر

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبيرىّ، وأخبرنى حَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان أبو ذُؤيب الهُـذَلِىّ خرج فى جُند[(٢)] عبد الله بن سَعْد[(٣)] بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤىّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازيًا إفْرِنْجَةَ فى زمن عثمان . فلما

(١) فى حـ : «أصحاب المدينة» . (٢) وكان ضمن جند عبد الله أيضا معبد بن العباس بن عبد المطلب ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية والحارث بن الحكم أخوه والمسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمرو بن العاص وبسر بن أبى أرطاة بن عويمر العامرى . (راجع فتوح البلدان للبلاذرى) .

(٣) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وكان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة . وكان معاوية بن أبى سفيان بمكة قد أسلم وحسن إسلامه فاتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبا للوحى بعد ابن أبى سرح . فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة استجار عبد الله بن سعد بدار عثمان رضى الله عنه فأخذ له عثمان الأمان من النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ابن أبى سرح أخا لعثمان من الرضاعة ، فحسن إسلامه من ذلك الوقت . فلما أفضت الخلافة إلى عثمان رضى الله عنه ولاه على ملك مصر وجندها سنة ٢٥ هـ فكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل فيغيرون على أطراف إفريقية . فكتب إلى عثمان يخبره بمـا نال المسلمون من عدوهم ، فكان ذلك السبب فى توجيه الجيش إليه وتقديمه عليه ودخوله به للغزو إلى إفريقية .

فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزبير — وكان فى جنده — بشيرًا إلى عثمان بن عفّان، وبعث معه نفرًا فيهم أبو ذؤيب. ففى عبد الله يقول أبو ذؤيب: ٥٩/٦

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا * ءِ يَنْهض فى الغزو نهضًا نَجِيحا (١)

فى قصيدة له. فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب بها (٢). وقدِم ابنُ الزبير على عثمان، وهو يومئذ، فى قول ابن الزبير، ابنُ ستّ وعشرين سنة؛ وفى قول الواقدىّ ابن أربع وعشرين سنة. وبُشِّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُرْوة بن الزبير، وكانا وُلدا فى ذلك العام، وخُبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبى والزبيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان:

وصف ابن الزبير لحرب إفريقية

قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جُرْجِير صاحب إفريقية وهو ملك إفْرِنْجة فى عشرين ألفًا ومائة ألف ونحن فى عشرين ألفا؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا فى الرأى، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطَه يخلو ويفكّر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عَوْرة من جُرْجير والناس على مَصَافّهم، رأيته على بِرْذَوْن أشهبَ خَلْفَ أصحابه مُنقطِعًا منهم، معه جاريتان له تُظِلّانه من الشمس بريش الطَّواويس.

(١) كذا ورد هذا البيت فى شرح ديوان أبى ذؤيب وقبله شعر يدل على هجر محبوبته له وإعراضها عنه الى غيره. يقول: فإن استبدلت بى إنسانا فاستبدلى بى مثل هذا الصاحب. والضراء: ما واراك من شجر. والسيد: الذئب. وأخبث ما يكون من الذئاب سيد الضراء الذى تعوده. وقد صححه الأستاذ الشنقيطى بهذه الرواية فى هامش نسخته. وفى الأصول: «وصاحب صدق كسيد الغضى ... الخ».

(٢) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٢٢٦ طبع أوربا): أن أبا ذؤيب توفى بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه فى لحده. ورواية البلاذرى تتفق مع ما ذكره ابن قتيبة فى طبقات الشعراء (ص ٤١٣ طبع أوربا) وابن الأثير فى الكامل (ج ٣ ص ٧٠ طبع أوربا) وابن حجر فى الإصابة (ج ٧ ص ٦٣ طبع مطبعة السعادة). وسيذكر المؤلف فى هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم ودفن بها.

فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه فى شأنكم وإنه قد أمرنى أن أُمسك الناسَ عنه. قال: فدُرتُ فأتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مُستلْقٍ على فراشه؛ ففزِع وقال: ما الذى أدخلك علىّ يآبن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه! كلُّ أَزَبَّ[1] نَفورٌ! إنى رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيت فواتَها، فآخرُجْ فآندُب الناسَ إلىّ. قال: وما هى؟ فأخبرته؛ فقال: عورةٌ لعمرى! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدِبوا مع آبن الزبير إلى عدوّكم. فاخترتُ ثلاثين فارسًا، وقلت: إنى حاملٌ فاضربوا عن ظهرى فإنى سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه وحملوا فذَبّوا عنّى حتى خرقتهم[2] إلى أرض خالية، وتبيّنته فصمَدْتُ صَمْدَه[3]؛ فوالله ما حسِب إلا أنى رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بى من أثر السلاح، فثنَى بِرذَوْنه هاربًا، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسى عليه، وآتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما. وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه فى رُمحى، وجال أصحابُه وحَمل المسلمون فى ناحيتى وكبّروا فقتّلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لى عبد الله ابن سعد: ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك، فبعثنى إلى عثمان. وقَدِم مروانُ[4] بعدى على عثمان

اشترى مروان خمس فىء إفريقية بمال وضعه عنه عثمان

(١) الأزب من الإبل: الذى يكثر شعر حاجبيه، ولا يكون الأزب إلا نفورا لأن الريح تضربه فينفر. وهذا مثل يضرب فى عيب الجبان. قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد وكان أزب جبانا، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل، وكان زهير يوما فى إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل فى أصحابه فأخبر زهيرا بمكانهم فقال له زهير: كل أزب نفور. وإنما قال له هذا لأن أسيدا كان أشعر (عن مجمع الأمثال للميدانى). (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، سـ: «حتى حرقتهم» وهو تصحيف. وعبارة البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى: «خرقت صفوفهم ... الخ». (٣) صمد صمد الأمر: قصد قصده. (٤) هو الخليفة مروان ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك الخليفة، وهو ابن عم عثمان بن عفان رضى الله عنه وكاتبه؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضى الله عنه وقتله. ثم انضم الى ابن عمه معاوية ابن أبى سفيان وتولى عدة أعمال الى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية وبويع بالخلافة؛ فلم تطل مدته ومات فى أول شهر رمضان سنة ٦٥ هـ.

حين اطمأنّوا وباعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفَق[١] على الخُمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[٢] ابن مُلَيل — وكان هو وأخوه كَلَدة أخوى صَفْوان بن أميّة بن خَلَف لأمه، وهى صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب[٣] بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة — :

أَحلِفْ[٤] بالله جهـد اليميـ * ـن ما ترك الله أمرًا سُدَى
ولكنْ خُلقتَ[٥] لنا فتنةً * لكى نُبتَلَى فيكَ[٦] أو تُبتَلى
دعوتَ الطَّريدَ[٧] فأدنيتَه * خلافًا[٨] لسنّة مَنْ قد مضى
وأعطيتَ مَرْوان[٩] خُمس العبا * د ظلمًا لهم وحَمَيْتَ الحِمَى ٦٠ / ٦

(١) الصفق : التبايع، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع . (٢) كذا فى حـ والاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن بن حنبل وأخيه كلدة بن حنبل . وفى سائر الأصول : «حسان» وهو تحريف .

(٣) كذا فى الاستيعاب والطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٢ فى ترجمة صفوان بن أمية) . وفى جميع الأصول : «خبيب» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف . (٤) فى الاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن : «وأحلف» وفى البيان المغرب : «سأحلف» . (٥) فى الاستيعاب : «جعلت» .

(٦) فى حـ : «بك» . (٧) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم وعم عثمان بن عفان، أسلم يوم الفتح . أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف . ولم يزل بها مدّة خلافة أبى بكر وعمر إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم، وبقى فيها إلى أن توفى فى آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر وكان ذلك مما نقموا على عثمان . واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فقيل : كان يتحيل ويستخفى ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبار أصحابه فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشى ذلك عليه، وكان يحكيه فى مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها . (انظر الاستيعاب حـ ١ ص ١٢٠، ١٢١ والمعارف لابن قتيبة ص ٩٧ وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ — ٣٣١) . (٨) فى الاستيعاب :

* خلافا لما سنه المصطفى * (٩) ورد هذا البيت والذى بعده فى الاستيعاب هكذا :

ووليت قرباك أمر العباد * خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيـ * ـمة آثرته وحميت الحمى

ومالًا أتاكَ به الأشعريّ * من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا

وإن الأمينَيْن قد بيّنا * منارَ الطريق عليه الهدى

فما أخذا درهمًا غِيلةً * ولا قسّما درهمًا في هوى

قال : والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق، فأعطى عبدَ الله بن أَسِيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناس ذلك .

ذكر ابن بجرة وخبره في قصيدة غنى في أبيات منها

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز — أظنه ابن الدّراوَرْدي —(١) قال: ابن بُجَرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قطّ، وبالمدينة منهم آمرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان(٢). وكان ابن بُجرة هذا خمّارًا . وهذا الصوت الذي ذكرناه(٣) من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فمما يغنّى فيه منها :

صوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائلِ * عن الحيّ أم عن عهده بالاوائل

عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبِينُه(٤) * وعفْرِ(٥) ظباءٍ قد ثَوَتْ في المنازل

فلو أنّ ما عند ابن بُجْرَةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُل لَهاتي بناطل

(١) كذا في ب، سـ، حـ . وفي سائر الأصول : «أظنه ابن عمران» . وكلاهما روى عنه محمد بن يحيى الكناني أبو غسان . والدراوردي : نسبة الى دراورد، قرية من قرى فارس . وقيل : إنها قرية بخراسان، وقيل غير ذلك . (راجع تهذيب التهذيب والطبقات الكبرى لابن سعد) .

(٢) كذا في ب، سـ . وفي حـ : «بنو أسجفا» . وفي سائر الأصول : «بنو أسجفان» .

(٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « ذكره » . (٤) في حـ : « أبينه » .

(٥) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « وغير ظباء » .

فتلك التى لا يَذهبُ الدهرَ حُبُّها [1] * ولا ذِكرُها ما أَرْزَمَتْ أمُّ حائلِ

غنّاه الغَريض ثقيلا أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لمَعْبد فيه أيضا لحنا .

قوله : "أساءلت" يخاطب نفسه . ويروى : "عن السُّكْن أو عن أهله" [2] . والسُّكْن . الذى [3] كانوا فيــه . وقال الأصمعى : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضا . ويروى : "عفا غيرَ نُؤْى الدار" . والنُّؤْى : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصل المطر إليها . ويروى — وهو الصحيح — :

* وأقطاعِ [4] طُفْى قد عَفَتْ فى المعاقلِ *

والطُّفْى : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فآمتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْى : طُفْية . وأرْزمت : حَنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنهــا :

صــــوت

وإنّ حديثًا منــكِ لو تَبْــذُلينه * جَنَى النحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مَطافــلِ أبْكار حَديث نِتاجها * تُشاب بمــاءٍ مثلِ ماء المفاصــل

غنّاه ابن سُريج رملًا بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ، الناقة حين تضع فهى عائذ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنْفَصَل [5] السهل

(١) رواية هــذا الشطر فى ديوانه المخطوط وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٣٣ طبــع دار الكتب المصرية) : « فتلك التى لا يبرح القلب حبها » . (٢) قال الأصمعى فى التعليق على هذا البيت فى شرح ديوانه : «السكن : أهل الدار سكانها ، والسكن : المنزل ... » . وترك كلمة السكن بدون شكل . والذى فى كتب اللغة أنــ السكن (بالفتح) : السـكان ، وهو جمــع لساكن كصحب وصاحب . (وبالضم وبالتحريك) : المسكن . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الذين » وهو تحريف . (٤) أقطاع : جمع قطع (بالكسر) وهو ـ كالقطيع ـ : الغصن تقطعه من الشجرة . (٥) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته . وفى الأصول : «منفتل» .

من الجبل حيث يكون الرَّضْرَاض (١)، والمـاء الذى يَسْتنقِـع (٢) فيها أطيبُ المياه. وتُشاب: تُخلط.

وأخبرنى محمّد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ: أن أبا ذؤيب إنما عَنَى بقوله: «مَطافل أَبْكار» أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ. قال: وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل. قال: وحدّثنى كُرْدين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إلىّ بعَسل من عسل خُلّار (٣)، من النحل الأبكار، من الدستفشار (٤)، الذى لم تمسّه النار.

٦١/٦

صوت من قصيدته العينية

فأما قصيدته العينية التى فُضِّل بها، فمّما يغنَّى به منها:

صـــــوت

أَمِنَ المَنون ورَيْبِها (٥) تتوجّع * والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ
قالت أُمامةُ (٦) ما لجسمك شاحبًا * منذُ ٱبتُذلتَ ومثلُ مالك يَنْفع
أم ما لجنبكَ لا يُلائم مضجعًا * إلا أُقَضَّ عليك ذاك المضجَع
فأجبتُها أنْ ما لجسمى (٧) أنّه * أودَى بَنِىّ من البـلاد فودّعوا

(١) الرضراض: مادق من الحصى. (٢) كذا فى حـ. ويستنقع: يجتمع. وفى سائر الأصول: «يلبع». (٣) خلار (كرمان): موضـع بفارس ينسب إليه العسـل الجيد. (٤) الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدى وعالجته. (٥) كذا فى ديوانه وفيما سيأتى فى جميع الأصول. وفى جميع الأصول هنا وفيما مر: «وريبـه». والمنون يذكر ويؤنث، فمن أنث حمله على المنية، ومن ذكر حمله على الموت. ويحتمل أن يكون التأنيث راجعا إلى معنى الجنسية والكثرة، وذلك لأن الداهية توصف بالعموم والكثرة والانتشار. وقيل: إن من ذكر المنون أراد به الدهر. وقد روى فى اللسان (مادة منن) بالتذكير وذكر فيه التأنيث رواية عن ابن سـيدة وقد شرح أبو الفرج ذلك فى الصفحة التالية. (٦) فى شرح ديوانه: «أميمة». (٧) كذا فى ديوانه. ويريد أن الذى بجسمى هو غمى لذهاب ولدى ونفادهم، فهـذا الذى ترين بجسمى لذلك. (يراجع شرح ديوانه). وفى ب، سـ: «أما لجسمك». وفى سائر الأصول: «أم ما لجسمك».

عروضــه من الكامل . غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القــدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجـراها . قال الأصمعىّ : سُمِّيت المَنون منوناً لأنها تذهب بمُنَّة كل شئ وهى قوّته . وروى الأصمعى : "ورَيْبه" فذكَّر المَنون . والشاحب : المُغيَّر المهزول . يقال : شَحُب يشحُب . ابتُذلتَ : امتَهنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا ، فٱشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أَقَضّ عليـك أى خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز :

إنّ أُحَيحًا (١) مات من غير مَرَضْ (٢) * ووُجْدَ فى مَرْمَضه حيث ٱرتمضْ
* عَسَاقلٌ وجِبَأٌ (٣) فيها قَضَض *

ووَدّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك فى الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

طلب المنصـور قصيدته العينية فلم يعـرفها أحد من أهـله وعـرفها مؤدب فأجازه

أخبرنى أحمـد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمـد بن عمر النحوىّ قال حدّثنى أبى عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن ابن عَيّاش قال :

لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ (٤) مشى المنصور فى جنازته من المدينـة إلى

---

(١) كذا فى لسان العرب مادتى « جبأ ورمض » . وفى ب ، س : « إن احتجاما يك عن ... الخ » . وفى سائر الأصول : « ان احتجاماتك » . وكلاهما تحريف .

(٢) ارتمض الرجل من كذا ، أى اشتدّ عليه وأقلقه .

(٣) العساقل : ضرب من الكمأة ، وهى الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الأرض . والجبء (بالفتح) : الكمأة السـود . والسود خيار الكمأة . بجبأ (بكسر ففتح) يجوز أن يكون جمع جبء بجبأة (بكسر ففتح أيضا) وهو نادر ، ويجوز أن يكون المراد جباة ، فحذفت الهاء للضرورة ، ويجوز أن يكون اسما للجمع . (عن اللسان مادة جبأ) .

(٤) يريد بغداد .

مقابر قريش(١)، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه، ثم ٱنصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع(٢) فقال: يا ربيع، أُنظُر مَنْ في أهلي يُنشدني:

* أَمِنَ المنون وريْبها تتوجّع *

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته، فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصيبتي بٱبني. ثم قال: أُنظُر هل في القوّاد والعَوَامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أُحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فٱعترضت الناسَ فلم أجد أحدًا يُنشدها إلا شيخًا كبيرا مؤدِّبا قد ٱنصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئًا من الشعر؟ فقال: نعم، شِعْر أبي ذُؤَيب. فقلت: أَنْشِدْني. فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيَتي. ثم أوصلته إلى المنصور فٱستنشده إياها. فلما قال:

* والدهرُ ليس بمُعتِب(٣) مَنْ يجزَعُ *

قال: صدق والله، فأَنْشِدْني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشدَه، ثم مرّ فيها. فلما ٱنتهى إلى قوله:

والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه * جَوْنُ السَّراة(٤) له جدائدُ أربعُ

---

(١) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل رضى الله عنه والحريم الطاهرى، و بينها و بين دجلة شوط فرس جيد، وهى التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ٱبن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، وكان جعفر الأكبر هو أول من دفن بها، والمنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى بها مدينته سنة ١٤٦ ﻫ

(٢) هو الربيع بن يونس مولى المنصور. (٣) أعتبه: رجع الى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٤) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود والأبيض. ويريد بجون السراة حمارا. والجدائد: الأتن، واحدها جدود (بفتح أوله) وهى التى لا لبن لها.

٦٢/٦ قال : سلا أبو ذؤيب[(١)] عند هذا القول . ثم أمر الشيخ بالانصراف . فاتّبعته فقلت له : أأمر لك أمير المؤمنين بشىء ؟ فأرانى صُرّةً فى يده فيها مائة درهم .

خانه خالد بن زهير فى امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال : كان أبو ذؤيب الهذلىّ يهوى امرأةً يقال لها أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد[(٢)] ابن زهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم[(٣)] بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها . فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها . فأرسلت تترضّاه، فلم يفعل ، وقال فيها :

تُريدين كيما تجمعينى وخالداً * وهل يُجمع السيفان وَيْحك فى غِمْد
أخالدُ ما راعيتَ منِّى[(٤)] قرابةً * فتحفَظَنى بالغيب أو بعضِ ماتُبدى[(٥)]
دعاكَ إليها مُقْلتاها وجيدُها * فملتَ كما مال المُحبّ على عَمْد
وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بدا * لقوم وقد بات المطىُّ بهم يَخْدى[(٦)]
فآليتُ لا أنفكّ أَحْذو قصيدةً * تكون وإياها بها مثلاً بعدى

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى ب ، حـ : «سلا أبو ذؤيب عن هذا القول» . وفى س : «سل أبا ذؤيب عن هذا القول» .

(٢) هو خالد بن زهير الهذلى، وكان ابن أخت أبى ذؤيب، وقيل : ابن أخيه .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «عويمر» . وقد أورد ابن قتيبة هذه القصة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٤١٣ — ٤١٤) وذكر أن الرجل الذى خانه أبو ذؤيب فى هذه المرأة هو ابن عم له يقال له مالك بن عويمر . وأوردها البغدادى فى كتابه خزانة الأدب (ج ٢ ص ٣١٦، ج ٣ ص ٥٩٧، ٦٤٨) فى تفصيل كثير، فذكر فى موضع أنه يقال له مالك بن عويمر، كما ذكره ابن قتيبة ، وفى موضع آخر أنه يقال له وهب بن جابر، وذكر سبب تعلقه بها وجفائها له بعد . واستطرد فى القصة حتى أتى على خبر مقتل خالد بن زهير .

(٤) كذا فى شرح ديوانه والشعر والشعراء . وفى الأصول : «من ذى قرابة» .

(٥) أراد : فتحفظنى بالغيب أو فى بعض ما تظهر من المودة والإخاء .

(٦) كذا فى حـ وديوانه . وخدى البعير والفرس خديا وخديانا : أسرع وزج بقوائمه . وفى سائر الأصول : «يحدى» (بالحاء المهملة) وهو تصحيف .

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر . الغيب: السرّ. والرقراق: الجارى . ويروى: "أحذو قصيدة" . فمن قال: "أحذو" بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: "أحدو" أراد أغنّى .

وقال أبو ذؤيب فى ذلك :

وما حُمِّـــل البُخْـــتِىُّ عامَ غِياره(١) * عليـه الوُسُـــوقُ(٢) بُرُّها وشَـــعيرُهَا
أَتَى قـــريةً كانت كثيرًا طعامُها * كَرَفْغ(٣) التراب كلُّ شىءٍ يَمِـــيرها
— الرفغ من التراب: الكثير اللين —
فقيـــل تَحَمَّـــلْ فوق طوقك إنّهـــا * مُطَبَّعةٌ(٤) مَنْ يأْتِهـــا لا يَضِـــيرُها
بأعظمَ(٥) ممـــا كنتُ حَمِّلْتُ خالدًا * وبعضُ أمانات الرجال غُرورها
ولو أننى حَمّلتُـــه البُزْلَ ما مشتْ * به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صـــدورها
— تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع(٦) —
خليـــلِى الذى دلَّى(٧) لغَىٍّ خليـــلتى * جِهارًا فكلٌّ قد أصابَ عُرورها(٨)
— يقال: عَرّه بكذا أى أصابه [به](٩) —
فشأنَكُـــها(١٠)، إنى أمينٌ وإنّنى * إذا ما تَحـــالَى مثلُهـــا لا أَطُورها
— تحالى: من الحلاوة . أطورها: أقربها —

(١) الغيار (بالكسر): مصدر غارهم يغيرهم إذا مارهم أى أتاهم بالميرة . (٢) الوسوق: جمع وسق (بالفتح)، وهو حمـل البعير، وقيـل: الحمل عامة . (٣) فى جميع الأصول: «كرقع» (بالقاف والعين المهملة) . والتصويب عن شرح ديوانه . (٤) يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة أى مختومة لأن الختم إنما يكون غالبا بعد الملء .
(٥) فى ديوانه: «بأثقل» . (٦) لعلها «وتتايع» بالياء المثناة التحتية . يقال: تتايع الجمل فى مشيه إذا حرك ألواحه حتى يكاد ينفك . (٧) دلى فلان فلانا فى الشرّ: أوقعه وصيره فيه . (٨) العرور: المعرة والعيب . (٩) زيادة عن حـ . (١٠) فى شرح ديوانه فى التعليق على هذا البيت: ورواه خالد والأصمعىّ: «فشأنكما ... الخ» .

أُحاذر يوماً أن تَبِينَ قَرِينتى * ويُسْلِمها أَحْرازُها(١) ونَصيرها

ـ الأحراز : الحصون . قرينتى : نفسى ـ

وما أَنْفُس الفتيان إلا قرائنٌ * تَبين ويبقَى هامُها وقُبورها

فنفسَك فآحفظْها ولا تُفشِ للعِدا * من السرّ ما يُطوَى عليه ضَميرُها

وما يَحْفَظ المكتومَ من سرّ أهله * إذا عُقَدُ الأسرار ضاع كبيرُها

مِنَ القوم إلا ذو عَفاف يُعينه * على ذاك منهُ صِدْقُ نفس وخِيرُها

رَعَى خالدٌ سِرّى ليالىَ نفسُه * تَوالَى(٢) على قَصْد السبيل أُمورُها ٦٣/٦

فلما تَراماه(٣) الشبابُ وغَيُّه * وفى النفس منه فِتْنةٌ وفُجورها

لوى رأسَه عنّى ومال بودّه * أغانيجُ(٤) خُودٍ كان فينا يَزُورها

تَعلّقه منها دَلالٌ ومُقْلةٌ * تَظَلّ لأصحاب الشَّقاء تُدِيرها

فإنّ حراماً أَنْ أخون أمانةً * وآمَنَ نفساً ليس عندى ضَميرها(٥)

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعِدنّ اللهُ لُبَّك إذ غَزَا * وسافرَ والأحلامُ جَمٌّ عُثُورُها

ـ غزا وسافر لبك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ ـ

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهى * إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صُدورها

(١) فى شرح ديوانه : « إخوانها » . (٢) توالى : تتابع . وقصد السبيل : مستقيمه .

(٣) تراماه الشباب : أى تم شبابه فقذف به إلى الغى كما تترامى الفلاة براكبها .

(٤) الأغانيج : جمع أغنوجة . والأغنوجة من التغنج وهو التكسر والتدلل . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . (٥) يريد : لا آمن من ليس عندى ضمير قلبه والذى يزعم أنه أخى وليس ضميره عندى . وفى نسبة هذا البيت لأبى ذؤيب خلاف ذكر فى شرح ديوانه .

لعلّك (١) إمّا أمّ عمرو تبدّلت * سواكَ خليلًا شاتمِى تَسْتخيرها

— الاستخارة : الاستعطاف —

فإنّ التى فينا زعمتَ ومثلَها * لَفِيكَ ولكنّى أراكَ تَجُورها (٢)

— تجورها : تُعرض عنها —

ألم تَنْتقذها (٣) من عويم بن مالك * وأنت صفىّ نفسه وسَجِيرُها (٤)

فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أنت سِرْتَها * فأوّلُ راضٍ سُنّةً مَنْ يَسيرها

— ويروى [قد] (٥) أسرتَها ، أى جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى "يُسيرها" لأن مستقبل أفعل (٦) أسارها يسيرها . و"يَسِيرها" مستقبل سار السيرة يسيرها —

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مَخَانةً (٧) * فتلك الجَوازِى (٨) عَقْبها ونُصُورها

— عَقْبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أى تُنصر عليك، الواحد نصر (٩) —

وإن كنتَ تَبْغِى للظّلامة مَرْكبًا * ذَلُولًا فإنى ليس عندى بَعِيرها

نشأتُ عَسيرًا لا تَلِين (١٠) عَريكتى * ولم يَعْلُ (١١) يومًا فوق ظهرى كُورها (١٢)

---

(١) كذا فى حـ وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : « لعمرك ». (٢) كذا فى أ ، ى ، م ، وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : «ولكن لا أراك تخورها» (بالخاء المعجمة) وهو تحريف .

(٣) الموجود فى معاجم اللغة من هذه المادة : أنقذه واستنقذه وتنقذه . ورواية هذا الشطر فى شرح ديوانه وطبقات الشعراء : « ألم تتنقذها من ابن عويمر * .. الخ » وتنقذها : تنجزها وأخذها .

(٤) السجير : الخليل الصفىّ . (٥) زيادة عن شرح ديوانه . (٦) كذا وردت هذه العبارة فى الأصول، وهى غير مستقيمة . والظاهر أن كلمة « أفعل » مقحمة . (٧) كذا فى شرح ديوانه . وفى جميع الأصول : « مخافه » (بالفاء) وهو تحريف . (٨) كذا فى حـ وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : «الجوارى» (بالراء المهملة) وهو تصحيف . (٩) قال فى اللسان (مادة نصر) بعد أن أورد هذا البيت : «يجوز أن يكون نصور جمع ناصر كشاهد وشهود وأن يكون مصدرا كالدخول والخروج» . (١٠) فى شرح ديوانه : «لم تديث» . وتديث : تذلل وتلين .

(١١) فى شرح ديوانه : «ولم يستقر فوق ... الخ» . (١٢) الكور : الرحل .

متى ما تشأْ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ * على صَعْبةٍ حَرْفٍ وَشيكٍ طُمورها (١)
فلا تكُ كالثور الذى دُفنتْ له * حديدةُ حَتْفٍ ثم أمسى يُثيرها (٢)
يُطيل ثَواءً عندها ليَرُدَّها * وهيهات منه دارها وقُصورها (٣)
وقاسمها بالله جَهْدًا لأنتمُ * ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها (٤)

— نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل —

فلم يُغن عنه خَدْعُه يوم أزْمعتْ * صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها (٥)
ولم يُلْفَ جَلْدًا حازمًا ذا عَزيمة * وذا قوة يَنفِى بها من يَزورها
فأَقْصِرْ ولم تأخذْك منّى سحابةٌ * يُنَفِّر شاءَ المُقْلِعين خَرِيرُها (٦)

— المقلعين : الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب —

ولا تَسْبِقنّ الناسَ منّى بخَمْطةٍ (٧) * مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها

٦٤ / ٦ مـــونه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدّثنا العبّاس ابن هشام قال حدّثنى أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَلىّ من أهل المدينة قال :

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد (٨)، حتى قَدِموا على عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فقال له (٩) : أىُّ العمل أفضلُ يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : الإيمان

---

(١) الرأس مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .
(٢) فى شرح ديوانه : « ثم ظل » . (٣) فى شرح ديوانه : « دورها » . (٤) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة سلا) . وفى الأصول : « يشورها » . (٥) مرّ ضميرها أى نفسها خبيثة كارهة . (٦) أى كف ولم تأخذك منى سحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس . ورواه الأصمعىّ : « فإياك لا تأخذك ... » . (راجع شرح ديوانه) . (٧) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة خمط) . والخمطة : الطرية التى أخذت طعما ولم تستحكم ؛ أو هى التى أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد . والمراد هنا اللوم والكلام القبيح . ومعنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه وهجائه . وفى الأصول : «منك بحكمة» وهو تحريف (٨) فى جميع الأصول هنا : «أبو عقيل» وهو تحريف . (٩) فى جميع الأصول : « فقالوا » . والتصحيح عن الأستاذ الشنقيطى فى هامش نسخته ؛ فإن ما فى الأصول لا يلائم سياق الخبر .

بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ فى سبيل الله . قال : ذلك كان علىّ و إنى لا أرجو جنة ولا أخاف نارًا . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلما قَفَلوا أخذه الموت(١) ، فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعا ؛ فمنعهما صاحبُ الساقة(٢) وقال : ليتخلّفْ عليه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا ، فطارت القُرعة لأبى عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبَيْـد يُحدّث قال قال لى أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد ، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم ٱعضِد(٣) من الشجر بسيفك ثم ٱجرُرْنى إلى هـذا النهر فإنك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فٱغسِلْنى وكفّنّى ثم ٱجعلنى فى حَفيرى وٱنثِل(٤) علىّ الجُرُف برمحك ، وألقِ علىّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجةً(٥) تراها فى الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهامة(٦) . قال : فما أخطأ مما قال شيئًا ، ولولا نَعْتُه لم أَهْتد لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبَيد رُفِـــع الكِتابُ ﴿ وٱقترب الموعد والحسابُ

وعند رَحْلِى جمَـلٌ نُجاب ﴿ أحمرُ فى حاركه(٧) ٱنصباب

ثم مضيتُ حتى لحقت الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ فى بلد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

---

(١) مر فى أوّل ترجمة أبى ذؤيب ما يخالف ما هنا . (راجع ما كتب فى صفحة ٢٦٦ فى الحاشية رقم ٢) . (٢) ساقة الجيش : مؤخرته . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وعضد الشجر يعضده (بالكسر) : قطعه . وفى جميع الأصول : «اعمد» وهو تحريف . (٤) نثل الركية ينثلها (من باب ضرب) : أخرج ترابها . وهذا المعنى غير مستقيم فى هـذا المقام . فلعل صوابه « وأهل على الجرف ... الخ » . وأهال عليه التراب : دفعه فانهال . (٥) الرهجة : ما أثير من الغبار . (٦) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . (٧) الحارك : أعلى الكاهل .

ذكر حَكَم الوادىّ وخبره ونسبه

نسبه وأصله وصناعته

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حلّاقا يحلِق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حَكَمٌ طويلا أَحْوَلَ، يُكْرِى الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. ويُكنى أبا يحيى. وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبَير: هو حكم ابن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفُرْس، وكان جمّالا ينقل الزيت من وادى القُرَى(١) إلى المدينة. وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخًا طويلًا أحولَ أَجْنأً(٢) يخضِب بالحِنّاء، وكان جمّالًا يحمل الزيت من جُدّة إلى المدينة، وكان واحدَ دهره فى الحِذْق، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّى مرتجِلا، وعُمّر عمرا طويلا، غنّى الوليدَ ابن عبد الملك، وغنّى الرشيدَ ومات فى الشَّطْر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادى. قال: وكان بوادى القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان — وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذى كان يسميه الوليد جامعَ لذّتى — وحكم بن يحيى، وسليمان، وخُلَيْد بن عَتِيك — وقيل: ابن عبيد — ويعقوب الوادى. وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن.

غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد

مدح إسحاق الموصلى غناءه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى حمّاد قال قال لى أبى:

أحذقُ من رأيتُ من المغنين أربعة: جدّك وحَكَم وفُلَيح بن العوراء وسياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون(٣) غناء غيرهم

---

(١) وادى القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر. سمى بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة كانت منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلى، وقديما كانت منازل ثمود وعاد وبها أهلكهم الله تعالى.

(٢) الأجنأ: الأحدب. (٣) فى حـ: «ويروون».

٦٥/٦

فيحسنون . قال إسحاق : وقال لى أبى : ما فى هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أَطْبع من حَكَم وٱبن جامع ، وفُليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكى حدّثه عن أبيه قال حدّثنى حكم الوادى ، وأخبرنى به محمد بن يحيى الصُّولِى قال حدّثنا الغَلَابى (١) عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكى عن أبيه عن حكم الوادى قال :

أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد ، وهو على حمار ، وعليه جُبّة وَشْى ورداء وشى وخُفّ وشى ، وفى يده عِقْد جوهر ، وفى كُمّه شىء لا أدرى ما هو . فقال : مَنْ غنّانى ما أشتهى فله ما فى كُمّى وما علىّ وما تحتى ؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يَطْرَب ؛ فقال لى : غَنِّ يا غلام ، فغنّيت :

صـــوت

إكليلُهـا ألوانُ * ووجهُها فَتّـانُ
وخالُهـا فريدٌ * ليس له جـيران
إذا مشتْ تثنّتْ * كأنها ثعبانـ

— الشعر لمُطيع بن إياس . والغناء لحَكَم الوادى هَزَجٌ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى — فطرب وأخرج ما كان فى كمّه ، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار ، فرمَى به إلىّ مع عقد الجوهر ؛ فلما دخل بعث إلىّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه فى أخبار مُطيع بن إياس .

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وهو محمد بن زكريا بن دينار الغلابى . وقد مرت رواية محمد بن يحيى الصولى عنه فى الأجزاء السابقة . وفى سائر الأصول : « العلائى » وهو تحريف .

مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتا

وفى حكم الوادىّ يقول رجل من قريش :

صـــوت

أبو يحيي أخو الغَزَل المغنِّى * بَصِيرٌ بالثِّقال و بالخِفـاف
على العيدان يُحِسن ما يُغنِّى * ويُحسن مايقول على الدِّفاف

غنّاه حكم الوادىّ هزجًا بالبنصر .

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيي العِبَادِىّ قال حدّثنى أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يومًا فقال لى : يا قِصافىّ(1)، إن رجلا من قريش قال فىّ هذا الشعرَ :

* أبو يحيي أخو الغَزَل المغنِّى *

وقد غنّيتُ فيه ، فخذ العودَ حتى تسمعه منّى؛ فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه ، فكنت أوّلَ من أخذ من حَكَم الوادىّ هذا الصوت .

سئل عن صوت فقال ما يكون إلا لى

قال أبو يحيي وقال إسحاق :

سمعت حكمًا الوادىَّ يغنى صوتًا فأعجبنى ، فسألتُه لمن هو؟ فقال : ولمن يكون هذا إلّا لى .

غضب من شيخ قال له أحسنت

وقال مُصْعَب :

حدّثنى شيخ أنه سمع حَكَمًا الوادىَّ يغنِّى ، فقال له : أحسنت ! فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحك الله! ترانى مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لى أحسنتَ ! .

قصته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيي بن خالد

وقال لى هارون حدّثنى مُدْرِك بن يزيد قال قال لى فُلَيح :

بعث إلىّ يحيي بنُ خالد و إلى حَكَم الوادىّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الوادىّ — أو قال لى — إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاونِّى عليه لنكسِرَه .

(1) بنو قصاف : بطن من العرب .

فلما صرنا إلى الغناء غنّى حَكَمٌ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بى حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه فى شىء . فلما كان العَشِىُّ أرسل إلى جاريتِه دَنانيرَ : إن أصحابَك عندنا، فهل لكِ أن تخرجى إلينا؟ ! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع : ليس فى القوم أنزهُ نفْسًا من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائت كلَّ إنسان بألفى درهم، فجاء بها، فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها فى كمّه، ولحَكَم مثلَ ذلك فطرحها فى كمّه، ودفع إلىّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّى النبيذُ فآحتبسيها لى عندكِ، فأخذت الدراهمَ منّى وبعثتْ بها إلىّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إلىّ : قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشىء أحببتُ أن تفرّقه على أَخَواتى (تعنى جوارىّ) .

٦٦ / ٦

بلغ فى الهزج مبلغا قصر عنه غيره

قال هارون بن محمد قال حمّاد بن إسحاق قال أبى :

أربعةٌ بلغوا فى أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغًا قصّر عنه غيرُهم : معبد فى الثقيل، وابن سُرَيج فى الرَّمَل، وحَكَمٌ فى الهَزَج، وإبراهيمُ فى الماخُورِى .

كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم ابن المهدى فوصله هو أيضا وأخذ عنه ثلثمائة صوت

قال هارون وحدّثنى أبى قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

زار حَكَمٌ الوادىّ الرشيد ، فبَرّه ووصله بثلثمائة ألف درهم ، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لى بها إلى إبراهيم بن المهدىّ — وكان عاملا له بالشام — قال إبراهيم : فقدِم علىّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أنى نقصته ألفًا من الثلثمائة وقلت له : لا أصلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يومًا أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إلىّ من الثلثمائة الألف التى وهبتُها له .

أهانه ابن شقران ولما عرفه اعتذر

وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْدَاذْبَه قال قال مصعَب بن عبد الله :

بينا حَكَمٌ الوادىّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقْران ! فإنها حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتبعهم حكم وعليه فروة[١]، فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنّتِ الجارية أصواتا ثم غنّت صوتًا ثم صوتًا. فقال حَكَمٌ الوادىّ: أحسنتِ والله! وصاح. فقال له ربُّ البيت : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ! وما يُدرِيك ما الغناء ! فوثب عليه يُتعتِعه[٢] وأراد ضربَه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله، دخلتُ بسَلام وأَخْرُجُ كما دخلت، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك. فقال حكم : على رِسْلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال : شُدِّى موضع كذا وأصلحى موضع كذا، وٱندفع يغنِّى . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى! فقال ربّ المنزل: جُعلتُ فداك! المعذرةُ إلى الله وإليك! لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ؛ فقال : والله لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

لامه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه

وذكر أحمد بن المكىّ عن أبيه : أنّ حكمًا لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[٣] به حتى صار الأمر إلى بنى العباس؛ فٱنقطع إلى محمّد بن أبى العباس أميرِ المؤمنين وذلك فى خلافة المنصور؛ فأُعجب به وٱختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه . وكان يقال : إنه من أَهْزَجِ الناس . ويقال : إنه غنّى الأهزاجَ فى آخر عمره، وإن ٱبنه لامه على ذلك، وقال له : أبعدَ الكبر تغنِّى غناء المخنَّثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنَلْ إلا القوت، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتُك ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

---

(١) الفروة والفرو : شىء نحو الجبة يبطن من جلود بعض الحيوان كالأرانب والثعالب والسمور .

(٢) كذا فى حـ . وتعتعه : تلتله وحركه بعنف . وفى سائر الأصول : « يتعفه » وهو تحريف .

(٣) فى ب، سـ : «الصيت» . والصوت والصيت الذكر الحسن الذى ينتشر بين الناس .

شهدله يحيى بن خالد بجودة الأداء

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد :

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحدًا أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع (١) غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره و يَزيد فيه ويَنقُص إلا حَكَمًا . فقيل لحكم ذلك فقال : إنى لست أشرب ، وغيرى يشرب ، فإذا شرب تغيَّر غناؤه .

٦٧ / ٦

استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان خبرُ حَكَم الوادىّ يتناهى إلى المنصور ويَبلُغه ما يصله به بنو سليمان بن علىّ ، فيَعْجَب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أنْ حسَّن شعرًا بصوته وطرَّب مستمعيه ، فماذا يكون ! وعَلَامَ يُعطونه هـذه العَطَايا المُسْرِفة ! إلى أن جلس يومًا فى مُسْتشرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده — أُرَاه قال : علىُّ بن يَقْطين (٢) أو أبوه — وهو يراه ، ثم خرج عشيًّا وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادىّ . فحرّك رأسه مَلِيًّا ثم قال : الآنَ علمتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلانا لا يعطى شيئا من ماله باطلًا ولا يضعه إلا فى حقه .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وليس أحد يسمع منه غناء ... الخ» . والظاهر أن كلمة «منه» مقحمة .

(٢) كان يقطين بن موسى البغدادى من وجوه الدعاة ، وطلبه مروان فهرب . وابنه على بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة . وهربت أم على به و بأخيه عبيد بن يقطين الى المدينة . فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم على بعلى وعبيد . فلم يزل يقطين فى خدمة أبى العباس وأبى جعفر المنصور ، وكان مع ذلك يرى رأى آل أبى طالب و يقول بإمامتهم ، وكذلك ولده ، وكان يحمل الأموال الى جعفر بن محمد بن على والألطاف . ونم خبره الى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما . وتوفى على بن يقطين بمدينة السلام سنة ١٨٢ هـ وسنه ٥٧ سنة وصلى عليه ولى العهد محمد بن الرشيد وتوفى أبوه بعده فى سنة ١٨٥ هـ (عن فهرست ابن النديم) .

اعترض المهدى فى الطريق وغناه فأجازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سعد[١] قال حدثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهِلىّ عن الأصمعىّ قال :

رأيت حَكَمًا الوادىّ حين مضى المهدىّ إلى بيت المَقْـدِس[٢]، وقد عارضه فى الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تَخـرج العرو * سُ فقد طال حبسُها

فتسرّع إليـه الحَرَسُ؛ فقال : دعوه[٣]، وسأل عنـه فأُخبر أنه حَكَمٌ الوادىّ؛ فوصَله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ فى هـذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيـه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ فى أخبار الوليد بن يزيد .

أطرب الهادى دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر

أخبرنى الحسن قال حدثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفلى عن صالح الأَضْجَم[٤] عن حَكَمٍ الوادىّ قال :

كان الهـادى يشتهى من الغناء ما توسَّـط وقلّ ترجيعُه ولم يبلُغ أن يُسْتَخَفّ جدًّا؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : من أطربنى فهى له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ والزُّبيرُ بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئا، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سُرَيج :

صـــوت

غَرّاءُ كالليـلة المبـاركة الْ * قَمْراء تَهْـدى أوائلَ الظُّلَمِ
أَكْنِى بغـير آسمها وقد علم الله * خَفِيّـاتِ كلِّ مُكتتِمِ

(١) فى جميع الأصول هنا : «سعيد» وهو تحريف . (٢) سيأتى هذا الخبر فى ترجمة الوليد بن يزيد (ج ٧ ص ٣١ من هذه الطبعة) . وقد ورد فيه أن المهدى كان يريد الحج . (٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « دعوه دعوه » . (٤) هو صالح بن على بن عطية الأضجم الراوى .

كأنّ فاها إذا تَنَسَّم(١) عن * طيبِ مَشَمٍّ وحسنِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ(٢) بالضَّرْو(٣) من بَرَاقِشَ(٤) أو * هَيْلانَ أو يانعٍ من العُتُمِ(٥)

— الشعر فى هذا الغناء للنابغة الجَعْدىّ ، والصنعة لابن سُرَيج رمل بالبنصر — فوثَب عن فراشه طربًا وقال : أحسنتَ أحسنتَ والله ! اسْقُونى فسُقِى . ووثِقتُ بأن البِدَرَ لى ، فقمتُ فجلست عليها . فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال : أحسن والله كما قال أمير المؤمنين ، وإنه لمُحْسِن مُجْمِل . فلما سكَن(٦) أمر الفرّاشين بحملها معى . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ فى شَرَفك ونسبِك! فإن رأيتَ أن تشرّفنى بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَدِدْتُ أنّ الله زادك ، وأسأل الله أن يُهنِّيَك ما رزقك . ولحقنى المَوْصِلىّ فقال : آخُذ يا حكم من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهمًا واحدًا لأنك لم تُحْسِن المَحْضَر .

ومات حَكَمٌ الوادىّ من قُرحة أصابته فى صدره . فقال الدارمىّ فيه قبلَ وفاته :

٦٨ / ٦ موته وشعر الدارمى فيه

صوت

إنّ أبا يحيى اشتكى عِلّةً * أصبح منها بين عُوّادِ
فقلت والقلبُ به مُوجَعٌ * يا ربّ عافِ الحَكَمَ الوادى

---

(١) كذا فى أ ، ء ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : «تبسم» . (٢) كذا فى الجزء الخامس من الأغانى (ص ٢٧ من هذه الطبعة) . ويسن (بالبناء للمجهول) : يسوّك . وفى الأصول هنا : «يستن» . (٣) الضرو : شجرة الكمكام ، وهو شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه فى العطر ، وهو المحلب . قال أبو حنيفة الدينورى : أكثر منابت الضرو باليمن وهو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا ، ويطبخ ورقه فإذا نضج صفى ورد ماؤه إلى النار فيعقد ، يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق . (راجع شرح القاموس مادة ضرى) . (٤) براقش : واد باليمن شجير وكذلك هيلان . وأكثر نبات الضرو باليمن . وقيل : براقش وهيلان مدينتان عاديتان خربتا . ويسكن براقش بنو الأوبر من بلحارث بن كعب ومراد . وسميت براقش باسم كلبة وهى التى قيل فيها : «على أهلها تجنى براقش» . (راجع معجم ما استعجم ومعجم البلدان فى اسم براقش ، وشرح القاموس واللسان مادة برقش) . (٥) العتم : شجر الزيتون . وفى ب ، س : «العنم» (بالنون) وهو تصحيف . (٦) فى حـ : «سكر» .

فـرُبَّ بِيـضٍ قادةٍ سادةٍ * كأنصُـلٍ سُلَّت مِنَ أغْماد
نادمَهـــم فى مجلس لاهيًا * فَأَصْمَتَ المُنشِدَ والشـادى

غنَّى فيه حَكَمٌ الوادىّ هَزَجًا بالبنصر .

صـــــوت

مِن المـائة المختـارة

أمعـارِفَ الدِّمَن القِفَار تَوَهَّمُ * ولقـد مضى حـولٌ لهنّ مُجَرَّمُ(1)
ولقد وقفتُ على الديار لعلّها(2) * بجـواب رَجْـع تحيّـة تتكلّمُ
عن عِلْم مافعل الخليطُ ، فبادرَتْ * أنَّى توجّـــهَ بالخَليط المَوْسِم
ولقد عهِدتُ بها سُعادَ وإنها * بالله جاهـــدةَ اليمين لتُقسِم
إنى لأَوْجَهُ مَنْ تكلّم عنـدها * بأَلِيَّـةٍ ومخالفٌ مَن يَزْعُـم
فلها لدينا بالذى بذَلتْ لنـا * وُدٌّ يطـول له العَنَاء ويَعْظُم

عروضه من الكامل . الشعر لنصَيب من قصيدة يمدح بهـا عبد الملك بن مروان . والغناء لابن جا مع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ولإبراهيم فى البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى . ولإسحاق وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

(1) مجرم : منقطع ومنصرم . (2) فى حـ : « كأنها » .

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

نسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلب بن أبي وَدَاعة[(١)] بن ضُبيرة[(٢)] [بن سُعَيد[(٣)]] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو[(٣)]] بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ ابن غالب .

ضبيرة السهمي جد ابن جامع وشيء من أخباره

أخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبَيْر بن بَكّار عن عمّه مصعَب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَريّ قال حدّثنا محمد بن حُمَيد عن سَلَمة[(٤)] عن ابن إسحاق قالا جميعا :

مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحْيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يَرْثيه :

حُجّاجَ بيت الله إنّ ضُبيرةَ السَّهْميّ ماتا

سبقتْ منيّتُه المَشيـ * ـبَ وكان مِيتتُه افتلاتا

فتزوّدوا لا تَهْلِكوا * من دون أهلكُم خُفاتا[(٥)]

(١) اسم أبي وداعة : الحارث . ويحكى عن أسره يوم بدر كما سيذكره المؤلف أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « تمسكوا به فإن له ابنا كيسا بمكة » . فخرج المطلب بن أبي وداعة سرّا حتى فدى أباه بأربعة آلاف درهم . وهو أول أسير فدى من بدر ، ولامته قريش في بداره ودفعه المداء ، فقال : ما كنت لأدع أبي أسيرا . فسار الناس بعده الى النبيّ صلى الله عليه وسلم ففدوا أسراهم . (٢) كذا في الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٤) والسيرة لابن هشام (ج ١ ص ٥١٤) وشرح القاموس مادة ضبر بالضاد المعجمة . وفي جميع الأصول : « صبيرة » بالصاد المهملة وهو تصحيف . (٣) زيادة عن الطبقات والمشتبه (ص ٢٦٥) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٧٤) والاستيعاب (ج ١ ص ٢٦٨) والسيرة لابن هشام . (٤) في أكثر الأصول : «عن سلمة بن أبي إسحاق» . وفي حـ : « عن سلمة عن أبي إسحاق » . وكلاهما محرف عما أثبتناه . إذ المعروف أن سلمة بن الفضل الأبرش يروي عن محمد بن إسحاق بن يسار . وعن سلمة هذا يروي محمد بن حميد الرازي . وقد تقدّم هذا السند في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة . (٥) خفت الرجل خفاتا : مات فجأة .

قال : وأُسِر أبو وَدَاعة كافرًا يوم بَدْر ففَـداه ٱبنُـه المطَّلِب، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث .

كنيـة ابن جامع وشيء من أخبار أمه
٦٩/٦

ويُكنى ٱبنُ جامع أبا القاسم . وأمه ٱمرأة من بنى سَهم، وتزوّجَتْ بعد أبيـه رجلًا من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب(١) مَعْن بن زائدة قال : رأيتُ أمّ ٱبن جامع وٱبنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبعُها ويَطَأ ذيلَها وكانت من قريش، ومَعْن يومئـذ على اليمن . فقالت : أَصْلحَ الله الأميرَ، إنّ عمِّى زَوّجنى زوجًا ليس بكُفْء ففرِّقْ بينى و بينه . قال : من هو؟ قالت : ابنُ ذى مناجب . قال : علىَّ به . قال : فدخل أقبحَ مَنْ خلق اللهُ وأشـوهَه خَلْقًا . قال : مَنْ هـذه منكَ ؟ قال : ٱمرأتى . قال : خلِّ سبيلَها، ففعل . فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسَه فقال :

لعمرى لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب * ولا حَسَنٍ فى عينها ذا مناجبِ
فما لمتُها لمّا تبيّنتُ وجهَـه * وعينًا له حَوْصاءَ من تحت حاجب
وأنفًا كأنف البَكْر يقطُر دائبًا * على لِحْية عَصْلاءَ(٢) شابتْ وشارِب
أتيتَ بها مثـلَ المَهاة تسوقها(٣) * فياحُسْن مجلوب و يا قُبح جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال لها : تجهّزى بها إلى بلادك .

سأله الرشـيد عن نسـبه فأحاله على إسحاق الموصلى

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى حمّاد عن أبيه :

أن الرشيد سأل ابنَ جامع يومًا عن نسبه وقال له : أىُّ بَنِي الإنسِ وَلَدَك يا إسماعيل؟ قال : لاأدرى، ولكن سَلِ ٱبنَ أخى (يعنى إسحاق) — وكان يُمَاظُّ(٤)

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «صاحب» . (٢) عصلاء : معوجة .
(٣) فى تجريد الأغانى : «تسومها» . (٤) ماظظت فلانا : شاررته ونازعته .

إبراهيمَ الموصليّ ويَميل إلى ٱبنه إسحاق — قال إسحاق : ثم التفتَ إلىَّ ابنُ جامع فقال: أخبِرْه يآبنَ أخي بنسب عمك . فقال له الرشيد: قبَّحك الله شيخًا من قريش! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

شيء من ورعه وتقواه

قال هارون حدّثني عبد الله بن عمرو قال حدّثني أبو هشام(١) محمد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فَرْوة بن أبي قُرَاد المخزوميّ قال :

كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاج إليه ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلعَ الشمس، ولا يصلي الناسُ الجمعةَ حتى يختِم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه

قال هارون وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عليّ بن عطية وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا :

قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يَعْتَمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة ، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركب حمارًا مِرِيسيًّا(٢) في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه في القديم حتى يأذنَ لهم أو يَصرفَهم ، أقبل(٣) أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلَانِس ؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينهُ على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له : أَمْتَع الله بك، توسَّمتُ

(١) في أ ، ء ، م : « أبو هاشم محمد بن عبد الله المخزومي » . (٢) مريسي : نسبة الى مريسة (كسكينة ، كما في القاموس وشرحه مادة مرس وضبطها صاحب معجم البلدان بفتح الميم) : قرية بمصر من ناحية الصعيد إليها تنسب الحمر المريسية وهي من أجود الحمر وأمشاها . (٣) في جميع الأصول : « فأقبل » .

فيك الحجازيّة والقُرَشِيّة؛ قال : أصبتَ . قال : فمن أىّ قريش أنت؟ قال : من بنى سَهْم . قال : فأىُّ الحرمين منزلُك؟ قال : مكة . قال : ومن لقيتَ من فقهائهم؟ قال : سَلْ عمن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجِب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبَل على المغنِّى، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه! ثم قالوا : لا، لعلّه لا يعود إلى مواقفته[(1)] بعد اليوم، فلِمَ نَغُمّه . فلما كان الإذنُ الثانى ليحيى غدَا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلًا كما فعل فى المرّة الأولى . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضى، أتعرف هذا الذى تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّى؛ قال : إنا لله! . قالوا : إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به، فجاء فوقف فسلّم عليه، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى كان يلقاه به ثم ٱنحرف عنه . فدنا منه ٱبن جامع، وعرف الناسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيرًا فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف، مالك تنحرف عنى؟ أىَّ شىءٍ أنكرتَ؟ قالوا لك : إنى ابنُ جامع المغنِّى فكرِهتَ مواقفتى لك! أسألُك عن مسألة ثم ٱصنع ما شئتَ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف، لو أن أعرابيًّا جِلْفًا وقف بين يديك فأَنْشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال : ٧٠/٦

يا دارَميّــــة بالعَلْيــاء فالسَّــــنَد * أَقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مرافقته » .

أكنتَ ترى بذلك بأسًا ؟ قال : لا، قد رُوى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم فى الشعر قولٌ، وروى فى الحديث. قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا، ثم آندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتَنى زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله، أعْفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زدتهُ على أن حسّنته بألفاظى فحَسُن فى السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذى أصاب به مالا فأجيب

قال : وحدّثنى عبد الله بنَ شبيب قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ، فقال لبعض أصحابه :

بلغنى أنّ هذا القرشىّ أصاب مالًا من بعض الخلفاء، فبأىّ شىء أصابه؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنّى فيه :

وأَصحَب بالليل أهلَ الطَّواف * وأرفع من مِئزَرِى المُسْبَلِ

قال : أَحْسنَ، هيه ! قال :

وأسجُدُ بالليل حتى الصباح * وأتلو من المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال : أحسن، هيه ! قال :

عَسَى فارجُ الكرب عن يوسفٍ * يُسخِّر لى رَبّة المَحْمِلِ

قال : أمّا هذا فدَعْه .

كان يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن

وحدّثنى محمد بن الحسن العَتّابىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثنى طيّب بن عبد الرحمن قال :

كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن .

اشتغاله بالقمار وحب الكلاب

وحدّث محمد بن الحسن[1] قال حدّثنى أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم[2] عن أخيه أبى معاوية[3] بن عبد الرحمن قال :

قال لى ابن جامع : لولا أن القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلانى لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز .

٧١/٦

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبَه قال :

دعا كلبا أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب

أهدى رجل إلى ابن جامع كلبًا فقال : ما ٱسْمُه؟ فقال : لا أدرى، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب .

ألقى على ابنه هشام صوتا سمعه من الجن

قال هارون بن محمد حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد المكّىّ قال حدثتنى حَوْلاءُ مولاةُ ٱبن جامع قالت :

ٱنتبه مولاى يومًا من قائلته فقال : علىَّ بهشام (يعنى ٱبنَه) ادعُوه لى عجِّلوه، فجاء مسرعًا. فقال : أىْ بُنَىّ، خذ العودَ، فإنّ رجلًا من الجن ألقى علىّ فى قائلتى صوتًا فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملًا لم أسمع له رملا أحسن منه، وهو :

صـــوت

أمستْ رُسـوم الديار غيّرهـا * هوجُ الرِّياح الزّعازعِ العُصُفِ
وكُلُّ حَنّانة لهـا زَجَـلٌ * مثلُ حنين الرّوائم الشُّغُفِ

(١) كذا فى جميع الأصول . وقد تقدم فى الجزء الخامس (ص ٣٨٥) من هذه الطبعة أن الذى يروى عن أبى حارثة هذا هو « محمد بن الحسين الكاتب » . (٢) فى جميع الأصول : «سعد» وهو تحريف . (٣) فى أكثر الأصول : «عن أخيه عن أبى معاوية» . وفى حـ : «عن أخيه عن ابن معاوية» وكلاهما تحريف . وقد مرت رواية أبى حارثة هذا عن أخيه أبى معاوية فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٣٨٥) .

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهُذَلِيّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغَرِيض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبَادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

أخذ بيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار

قال هارون وحدّثني أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدّثني محمد بن موسى(١) ابن فُلَيح الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكّيّ قال: قال لي ابن جامع:

أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهْ بهما عشرةَ آلاف دينار:

صــــوت

لا بدّ للعاشق من وَقْفــةٍ * تكونُ(٢) بين الوَصْل والصَّرمِ
يَعْتِب أحيــانًا وفي عَتْبه * إظهارُ(٣) ما يُخْفِي من السُّقْم
إشــفاقُه داعٍ إلى ظَنّــــه * وظنُّــه داعٍ إلى الظلم
حتى إذا ما مَضّه هجره(٤) * راجع مَنْ يَهْوَى على رَغْم

ــ هكذا رُوِّيتُــه(٥). الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسُلَيم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ــ قال: ثم قال لي ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئًا!

(١) كذا في أكثر الأصول. والظاهر أن محمد بن موسى هذا ابن أخ لمحمد بن فليح الراوي المعروف الذي مر ذكره في الأجزاء السابقة. فقد ذكر في التهذيب في ترجمة محمد بن فليح أن له أخا يسمى موسى إلا أنه لم يذكر هناك من أولاده غير عمران. وفي ب، سـ: «محمد بن عيسى بن فليح ... الخ».
(٢) في ديوان العباس بن الأحنف: «يكون». (٣) في ديوانه: «يهيج ما يخفي ... الخ».
(٤) في ديوانه: «شوقه». (٥) هذه العبارة ساقطة في حـ.

صادفه جماعة من القرشيين بفخ وهو يغنى

وقال هارون حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال : خرج ابنُ أبى عمرو الغِفَارىّ وعبد الرحمن بن أبى قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّارًا(١) يريدون مكة ؛ فلما كانوا بَفخّ(٢) نزلوا على البئر التى هناك ليغتسلوا فيها . قال(٣) : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء، فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا آبن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ(٤) لهم يشربون منه؛ فقالوا : تقدّموا يا فِتْيان، فتقدّم ابنُ أبى عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم، فجلسنا نشرب؛ وطرِب ابن أبى قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبى وأمى ! ابنُ أبى قباحة وإلا فهو آبن الفاعلة. فقام آبن أبى عمرو فأخرج من وسطه هِمْيانًا(٥) فيه ثلثمائة درهم فنثرها على آبن أبى قباحة . فقال آبن جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهرًا ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .

غنت جاريته الحولاء صوتا له فى جارية سوداء يحبها

٧٢/٦ قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى علىّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النّوفلىّ عن جارية آبن جامع الحولاء قال : — وكانت تَتَبنّانى — فتغنّت يومًا وطربتْ وقالت : يابُنىّ، ألا أغنّيك هزجًا لسيّدى فى عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجًا ما سمعتُ أحسنَ منه، وهو :

صــــوت

أَشْبَهَك المسكُ وأشبهته * قائمـــةً فى لونه قاعدهْ
لاشــكّ إذ لونُكما واحدٌ * أنّكما من طينـــةٍ واحدهْ

(١) عمارا : زوّارا ، من العمرة وهى الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة . والعمرة تكون فى السنة كلها . والحج فى وقت معين من السنة . (٢) فخ (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بمكة . (٣) ظاهر السياق أن القائل هو أحد هؤلاء الذين خرجوا عمارا ، غير أنه لم يعين فى الأصول . (٤) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) . (٥) الهميان (بالكسر) : كيس تجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط .

وقد رُوِى هذا الشعر لأبى حَفْصٍ الشِّطْرَنْجِىّ (١) يقوله فى دَنَانِيرَ (٢) مولاةِ البَرَامكة . ونُسب هذا المَزَج إلى إبرهيم وآبن جامع وغيرِهما .

شبهه برصوما الزامر بزق عسل

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْرِىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام — وكان يلقَّب الأَبْلَه — قال : قال بَرْصوما الزَّامِر، وذكر إبراهيمَ الموصلىَّ وابنَ جامع، فقال :

الموصلىّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريًّا لم يَنْضَج، فتأكل منه مِن ذا وذا . وآبن جامع زِقّ عسلٍ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو، و إن خرَقْتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، و إن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيّد .

غنى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه وحَمّاد (٣) عن إبراهيم بن المهدىّ — وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحدا، وابنُ جامع يَميل إليه — قال :

كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنّى صوتًا فأخطأ فى أقسامه؛ فآلتفتَ إلىّ إبراهيمُ الموصلىّ فقال : قد خَرِىَ فيه؛ وفهمتُ صِدْقه قال : فقلت لآبن جامع : يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتَحفّظْ فيه؛ فآنتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم :

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس . وكان أبوه من موالى المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسما أعجميا، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز . وكان أبو حفص لاعبا بالشطرنج مشغوفا به، فلقب به لغلبته عليه . (انظر ترجمته ج ١٩ ص ٦٩ من الأغانى طبع بولاق) . (٢) دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكى . كانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجها وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر . ولها كتاب مجرّد فى الأغانى مشهور . (انظر ترجمتها ج ١٦ ص ١٣٦ من الأغانى طبع بولاق) . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حماد بن إبراهيم ابن المهدى ... الخ » ولم نعرف أن إبراهيم بن المهدى أعقب ولدا اسمه ابراهيم أو حماد . وقد ورد هذا السند فى الجزء الخامس (ص ١٧٣ من هذه الطبعة) مختلفا عما هنا وهو : « أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طياب بن إبراهيم الموصلى قال ... الخ » .

أُعلّمـــه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ * فلمّا آشتدّ ساعدُه رمانى

وتنكَّر لى لَمِيْلى مع آبن جامع عليه. فقلتُ للرّشيد بعد أيام : إن لى حاجةً إليك. قال : وما هى ؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصلىّ أن يَرضى عنّى و يعودَ إلى ما كان عليه. فقال : إنمــا هو عبدُك، وقال له : قم إليه فقبِّلْ رأسَه . فقلتُ[1] : لا ينفعنى رِضاه فى الظاهر دون الباطن، فسَــلْه أن يصحِّح الرِّضا . فقام إلىّ ليُقبِّل رأسى كما أُمِر، فقال لى وقد أكبَّ علىّ ليقبِّل رأسى : أتعود ؟ قلتُ لا . قال : قد رضِيتُ عنك رِضًا صحيحًا . وعاد إلى ما كان عليه .

غنى بمـد إبراهيم الموصلى عند الرشيد فأجاد

وقال حمّاد عن أبى يحيى العِبَادِىّ قال[2] : قدِم حَوْراءُ غلام حمّاد الشّعْرانى وكان أحدَ المغنّين المُجيدين قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

كنّا فى دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين : من فيكم يعرف

وكَعْبَــةُ نَجْرانَ[3] حَتْمٌ عليـ * ـكِ حتى تُناخِى بأبوابها؟

ــ الشــعر للأعشى ــ فبــدَرهم إبراهيمُ الموصــلىّ فقال : أنا أُغنِّيه ، وغنّاه بجاء بشىء عجيب . فغضِب آبنُ جامع وقال لزَلْزَل : دَعِ العودَ ، أنا من بِجَاش

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال» . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرفة عن « قال » . (٣) نجران : موضع فى مخاليف اليمن من ناحية مكة . قالوا : سمى بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أوّل من عمرها . وكعبة نجران هــذه يقال : إنها بيعة بناها بنو عبــد المدان بن الديان الحارثى على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبــة وسموها كعبة نجران . وذكر هشام بن الكلبى أنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد . وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران . (عن معجم البلدان لياقوت) . وقد أورد أبو الفرج قصة هذا الشعر فى خبر أساقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق) .

وَجْرة(١) لا أحتاج إلى بَيْطار ؛ ثم غنَّى الصوتَ ؛ فصاح إليه مسرورٌ(٢) : أحسنتَ يا أبا القاسم ! ثلاث مرات .

نسبة هذا الصوت

صوت

وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليـ * ـكِ حتى تُناخِى بأبوابِها ٧٣/٦
نَزُور يزيدَ وعبدَ المَسيح * وقيسًا(٣) هُمُ(٤) خيرُ أربابِها
وشاهدُنا الجُلّ(٥) والياسميـ * ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابِها(٦)
وبَرْبَطُنا(٧) دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىُّ الثلاثةِ أَزْرَى بها
تُنازِعنى إذ خَلَتْ بُرْدَها * معطَّرةً غيرَ جِلْبابِها
فلما ٱلتقينا على آلةٍ * ومَدّتْ إلىّ بأسبابِها

(١) قال الأصمعى : وجرة — وفيها أقوال أخرى — بين مكة والبصرة بينها و بين البصرة نحو أربعين ميلا ليس فيها منزل ، فهى مرب للوحش . يريد أنه يجرى على الطبيعة والفطرة لا يحتاج إلى معين من الصناعات الآلية كسائر المغنين الحضريين . (٢) هو أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكى . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٦٧٩ و ٦٨٢) .

(٣) كذا فى مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٥٩) والأغانى (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق) ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٧٥٦ طبع أوروبا) . وفى جميع الأصول هنا : «تزور» (بالتاء المثناة الفوقية) . (٤) فى مسالك الأبصار (ص ٣٥٩) : «... وهم ... الخ ...» . (٥) الجل (بالضم ويفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . (٦) ورد هذا البيت فى اللسان والصحاح (مادة قصب) . وقيل فى اللسان : «... والقصابة : المزمار والجمع القصاب . قال الأعشى (وذكر هذا البيت . ثم قال) وقال الأصمعى : أراد الأعشى بالقصاب الأوتار التى سويت من الأمعاء» . وعبارة الصحاح : «... والقصب بالضم : المعى ... والجمع أقصاب قال الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسميـ * ـن والمسمعات بأقصابها

أى بأوتارها وهى تتخذ من الأمعاء . ويروى بقصابها وهى المزامير» . (٧) البربط (كجعفر) : العود . والكلمة فارسية معربة قيل شبه بصدر البط ، وبر : الصدر . ورواية هذا الشطر فى مسالك الأبصار : «وبربطنا معمل دائب» .

الشّعر للأعشى أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أَسَاقِفةُ نَجْران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقبَ والسيِّد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّومىّ ، فإذا انصرف أَجْزَلوا صلتَه .

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليَزيدىّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر فى مواضعها إن شاء الله . والغناء لُحَنين الحِيرِىّ خفيفُ ثقيلٍ(١) بالوسطى فى مَجْراها عن إسحاق فى الأربعة الأُوَل . وذكر عمرو أنه لابن مُحرِز . وذكر يونُس أن فيها لحنًا لمالك ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشامىّ أن فى الخامس والسادس ثم الأوّل والثانى خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكىّ .

استحضره الفضل ابن الربيع لما ولى الهادى

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدّثنى الطرّاز وكان بَرِيدَ الفضل بن الرّبيع قال :

لما مات المهدى ومُلِّك موسى الهادى أعطانى الفضلُ دنانيرَ وقال : الحَقْ بمكّةَ فأْتنى بابن جامع واَحْمِلْه فى قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا(٢) أحدا ، ففعلت فأنزلتُه عندى واشتريت له جاريةً ، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء . فذكره موسى ذاتَ ليلة ـ وكان هو والحَرّانى(٣) منقطعَيْن إلى موسى أيام المهدىّ فضربهما المهدىّ وطردهما ـ فقال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّى ! فقال له الفضل ابنُ الربيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذى أردتَ . وبعث إليه فأُتى به فى الليل . فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولّاه حجابتَه .

(١) كلمة «ثقيل» ساقطة فى حـ . (٢) فى حـ : «به» . (٣) هو إبراهيم الحرّانى . كان من ندماء الهادى ، وقيما على خزائن الأموال فى أيامه . (انظر التاج للجاحظ ص ٣٦ طبع المطبعة الأميرية ببولاق) . وسيذكر بعد قليل فى خبر عن مصعب أيضا أن الذى كان منقطعا إلى موسى الهادى مع ابن جامع وناله معه ضرب المهدى وطرده هو إبراهيم الموصلىّ .

غنى هو وإبراهيم الموصلى الرشيد بشعر السعدى فدحه وذم الموصلى

قال إسحاق عن بعض أصحابه :

كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوما فقال الغلام الذى على الستارة : يآبنَ جامع، تغنَّ ببيت السَّعْدىّ (١) :

فلو سألتْ سَراةَ الحىِّ سَلْمى * على أن قد تَلَوَّن بى زمانى
لخبَّرها ذوو الأحساب عنِّى * وأعدائى فكلٌّ قد بَلانى
بذبِّى الذمَّ عن حسبى بمالى (٢) * وزَبُّوناتِ أَشْوسَ تَيِّحانِ (٣)
وأنى لا أزال أخا حُروبٍ * إذا لم أَجْنِ كنتُ مِجَنَّ جانى

قال : فحرّك آبنُ جامع رأسه — وكان إذا آقترح عليه الخليفةُ شيئا قد أحسنه وأكمله طار فرحًا — فغنّى به؛ فآربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضا يفعل؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميرى! أعِدْ فأعاد؛ فقال : أنت فى حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبدا . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى؛ فلما فرَغ قال : «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» (٤) ! أخطأتَ (٥) فى موضع كذا

---

(١) هو سوّار بن المضرب السعدى . (٢) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول . وروايته فى لسان العرب مادة (تيح) : «يذبِّى اليوم ... * » . وفى مادة (زبن) : «بذبِّى الذم عن أحساب قومى» . (٣) كذا فى سـ ولسان العرب والصحاح (مادتى زبن وتيح) . وقد صححها كذلك المرحوم الشيخ الشنقيطى بقلمه على هامش نسخته . وزبونات : جمع زبونة وهى الكبر . يقال : رجل فيه زبونة أى كبر، وذو زبونة أى مانع جانبه . ويقال : الزبونة من الرجال : المانع لما وراء ظهره . وقال ابن برى : زبونات : دفوعات، واحدها زبونة؛ يعنى بذلك أحسابه ومفاخره أى أنها تدفع عيرها . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه من الكبر . والتيحان (بكسر الياء المشددة وفتحها) : الذى يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد . وفى سائر الأصول : «ودبوسات أشوس ...» . (٤) قال أبو حنيفة الدينورى : من الأحرار السعدان وهى غبراء اللون حلوة يأكلها كل شىء وليست بكبيرة ولها اذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم . ومنبته سهول الأرض، وهو من أنجع المراعى فى المال، ولا تحسن على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب المائة الأبكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

وهذا مثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله . (راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٩١ واللسان مادة سعد) . (٥) فى ب، سـ : «لم أخطأت» .

وفى موضع كذا . فقال : نُفِى إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفًا ، وقد علمتُ أنى أغفلتُ فى هذين الموضعين . ٧٤/٦

قال إبراهيم : فلما انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أن(١) أحدًا بقى فى الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسان يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذى فيه .

صوت كان اذا غناه فى مجلس لم يتغن بغيره

قال إسحاق :

كان ابن جامع إذا تغنّى فى هذا الشعر :

صـــــوت

مَنْ كان يَبْـكى لِمَـابى * مِنْ طول سُقْمٍ رَسيس(٢)
فالآنَ من قبـل موتى * لا عِطْرَ بعـد عَرُوس(٣)

---

(١) فى حـ : « يغنى » . (٢) الرسيس : الثابت الذى قد لزم مكانه . و يقال : رس السقم فى جسمه وقلبه رسيسا اذا دخل وثبت . (٣) هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبد الله العذرية ، وكان اسم زوجها عروس ، ومات عنها ، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيـل دميم . فلما أراد أن يظعن بها قالت : لو أذنت لى فرثيت ابن عمى ؟ فقال : افعلى ؛ فقالت : أبكيك يا عروس الأعراس ، يا ثعلبا فى أهله وأسدا عند الناس ؛ مع أشياء ليس يعلمها الناس . فقال : وما تلك الأشـياء؟ فقالت : كان عن الهمة غير نعاس ، و يعمل السيف صبيحات الباس . ثم قالت : يا عروس الأغر الأزهر ، الطيب الخيم الكريم المحضر ، مع أشـياء له لا تذكر . فقال : وما تلك الأشـياء ؟ قالت : كان عيوفا للخنى والمنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر . فعرف أنها تعرض به . فلما رحل بها قال : ضمى إليك عطرك ، وقد نظر الى قشوة عطرها مطروحة ، فقالت : لا عطر بعد عروس . وقيل : إن رجلا تزوج امرأة فأهديت إليه فوجدها تفلة فقال : أين عطرك؟ فقالت : خبأته ؛ فقال : لا مخبأ لعطر بعد عروس . وهـذا المثل يضرب لمن لا يدخر عنـه نفيس . (انظر شرح القاموس مادة عرس ومجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٣٧ طبع بولاق) .

بَنَيْتُم في فؤادى * أوكارَ طيرِ النّحوس
قلبي فَريسُ المَنايا * يا ويحه من فَرِيس

— الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع فى طريقة الرمل — لم يتغنّ فى ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سال أن يَزْمُر عليه بَرْصوما . فلما كَثُر ذلك سألوه فيه فقال: لا والله(١)، ولكنه إذا ابتدأتُ فغنّيتُ فى الشعر عرف الغرضَ الذى يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه فى راحة؛ وذلك أن المغنّى إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا فى راحة وهو فى تعب، وإذا زَمَر علىّ غيره فهو فى راحة وأنا فى تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل . فسألوهما عما قال، فقالا : صدق .

سئل عن تفضيله برصوما فأجاب

قال وحدّثنى علىّ بن أحمد الباهلىّ قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهدىّ أنّ ابن جامع والموصلىّ يأتيان موسى(٢)، فبعث إليهما فجىء بهما، فضرب الموصلىّ ضرباً مبرّحا، وقال له ابن جامع : ارحم أمّى! فرقّ له وقال له : قبّحك الله! رجل من قريش يغنّى ! وطرده . فلما قام موسى(٣)، وجّه الفضلُ خلفه بريدًا حتى جاء به؛ فقال له موسى : ما كان ليفعل هذا غيرك .

هم المهدى بضربه لاتصاله بالهادى

قال وحدّثنى الزبير بن بكّار قال قال لى فلفلة(٤) :

تمنّى يومًا موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع ، فدفع إلىّ الفضلُ بن الربيع خمسمائة دينار وقال : امض حتى تحملَ ابنَ جامع ، وبعث إليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملتُه. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغنّاه فلم

غنى عند الهادى فأعطاه ثلاثين ألف دينار

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «لا وأبيه» . (٢) هو موسى الهادى بن المهدى تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ وتوفى سنة ١٧٠ وكانت خلافته سنة وشهرين . (٣) يريد : صار خليفة . (٤) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « قليلة » .

يُعجبه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركت الخفيفَ وغنيتَ الثقيل، قال : فأَدْخلْنى عليه أخرى، فأدخله فغنّى الخفيفَ، فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

غنى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلى فأجاد

قال وحدّثنى عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العِبَادىّ قال حدّثنى ابن أبى الرجال قال حدّثنى زَلْزَل قال :

أبطأ إبراهيم الموصلىّ عن الرشيد ، فأَمَر مسرورًا الخادمَ يسأل عنه — وكان أمير المؤمنين قد صيّر أَمْرَ المغنّين إليه — فقيل له : لم يأت بعدُ . ثم جاء فى آخر النهار، فقعد بينى وبين بَرْصوما، فغنّى صوتًا له فأطربه وأطرب والله كلَّ من كان فى المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بينى وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يانَبَطىّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال : ثم غنَّى فنسينا أنفسَنا، والله لكأنّ العودَ كان فى يده .

شهد له إبراهيم الموصلى بجودة الايقاع ٧٥/٦

قال وحدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك قال :

دعا أبى الرشيدُ يومًا ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلى فسأل جعفرًا عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع — وهو فى قوله يريد أن يطيب نفسَ إبراهيم الموصلىّ — قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيّب نفسى بما لا تَطِيب به ! لا والله، ما ضَرَط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع ! .

احتال فى عزل العثمانى عن مكة أيام الرشيد

قال وحدّثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثنى أبى قال :

كان سبب عزل العثمانىّ (١) أن ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له فى المُهارشة

(١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان . (انظر كتاب المتقى فى أخبار أم القرى ج ٢ ص ١٨٦ والطبرى ق ٣ ص ٧٤٠) .

بالدّيوك والكلاب ولا يُحَدّ فى النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتابًا إلى العثمانىّ. فلما وصل الكتاب قال: كَذَبتَ! أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّم الله، وهذا كتاب مزوّر. والله لئن ثَقِفْتُك (١) على حال من هذه الأحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك. قال: فحذِره ابنُ جامع. ووقع بين العثمانى وحماد اليزيدىّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال (٢). فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أَعِنِّى عليه حتى أعزِله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدْنى. فقال له ابن جامع: هذا لا يُقبل فى العثمانىّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا، ولكنى أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يابنَ جامع، كيف أميركم العثمانى؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ فى عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها؟ قال: زعم أن كلبًا دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقِىَ على الكناس فأكل وجهَه، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزِلوه! فكان سببَ عزله.

أخبره إبراهيم بن المهدى بموت أمه كذبا ليحسن غناءه

قال هارون بن محمد وحدّثنى الحسن بن محمد الغِيَاثىّ (٣) قال حدّثنى أبى عن القَطِرانىّ قال:

كان ابن جامع بارًّا بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهدىّ وأظهر له كتابًا إلى أمير المؤمنين فيه نَعْىُ والدته. قال: فجزِع لذلك جزعًا شديدًا، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدى: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك؛ فاندفع يُغنّى:

(١) ثقفتك: صادفتك. (٢) كذا فى ح. وفى سائر الأصول: «مع العمال». (٣) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول: «العتابى».

صــــوت

كم بالدُّروب وأرض الروم مِنْ قَدَم * ومِنْ جماجم صَرْعَى ما بها قُبِرُوا(١)
بقُنْدُهَارَ(٢) ومَنْ تُقْدَر منيّته * بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبر

— الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيرىّ(٣) . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشامىّ(٤) — قال : وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان مما خبّرناك شىء إنما مزحْنا بك . قال : ثم قال له : رُدّ الصوتَ ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل فى شىء . فقال له إبراهيم : خذه الآن علىّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت علىّ كذا .

هوّم فى مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغناه فأعجب به

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى على بن الحسن الشَّيْبانىّ عن أحمد بن يحيى المكىّ قال :

كان أبى بين يدى الرشيد وابنُ جامع معه يغنّى بين يدى الرشيد . فغنّاه :

خليفةٌ لا يَخيبُ سائلُهُ * عليه تاجُ الوقار مُعْتَدِلُ(٥)

---

(١) كذا فى أكثر الأصول هنا ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٢٤ طبع دار الكتب المصرية) . وجميع الأصول فيما يأتى . وفى ب ، سـ هنا : « ما هم قبروا » . ورواية هذا البيت فى معجم البلدان فى الكلام على قندهار :

كم بالجروم وأرض الهند من قدم * ومن سرابيل قتلى ليتهم قبروا

والقدم : الشجاع . يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وجماجم القوم : ساداتهم ورؤساؤهم .
(٢) قندهار : مدينة كبيرة بالقرب من كابل ، عاصمة أفغانستان الآن . (٣) هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (كمحدث) الحميرى ، وقيل : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . وكان حليفا لآل خالد ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وهو عم السيد الحميرى . ويقال : إن جده راهن على أن يشرب سقاء لبن كله فشربه حتى فرغه ، فلقب مفرغا . (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٧ ص ٥١ طبع بولاق) .
(٤) كذا فى الأصول . ولعله « حتى صح له » . (٥) فى حـ ، ى ، م : « يعتدل » .

٧٦ / ٦

قال : وغنّى من يتلوه ، وهَوّم ابنُ(١) جامع سكرًا ونُعاسا . فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فآنتبه وهو يغنّي :

إِسْلَمْ وحُيِّيتَ أيّها الطَّلَلُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ(٢)

— قال : وهو يتلو البيت الأوّل — فعجِب أهل المجلس من ذكائه وفهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

إِسلم وحُيِّيت أيها الطللُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ
خليفةٌ لا يَخيب سائلُه * عليه تاجُ الوقار مُعْتَدل

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادى . والغناء لآبن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، من رواية الهشامىّ وأحمد بن يحيى المكىّ .

أخبره الرشيد بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه

قال هارون وقد حدّثنى بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكىّ قال :

كان آبن جامع أحسنَ مايكون غناءً إذا حَزِن صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ آبن جامع —وكان بارًّا بأمّه— ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو فى مجلس لهوه ، فقال : يآبنَ جامع ، جاء فى هذه الخريطة نعيُ أمّك . فآندفع ابن جامع يغنّى بتلك الحُرْقة والحزن الذى فى قلبه :

(١) هوّم الرجل : هز رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلا . (٢) السبل (بالتحريك) : المطر .

كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم * ومن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِروا
بقُنْدُهار ومن تُكتب مَنِيّته * بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبر

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيتُ الغِلْمان يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطين. — قال هارون: لا أشك أن ابن المكىّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب — قال: ثم غنَّى بعد ذلك:

* يا صاحب القبر الغريب *

— وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكىّ — فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحبَ القبر الغريبِ * بالشام فى طَرَف الكَثِيبِ
بالحِجْر(١) بين صفائح * صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوب(٢)
رَصْفًا ولحدٍ مُمكِنٍ * تحت العَجاجة فى القليب
فإذا ذكرتُ أنينَهُ * ومغيبَه تحت المغيب
هاجت لواعجُ عَبْرة * فى الصدر دائمة الدبيب
أسفًا لحسن بلائه * ولمصرع الشيخ الغريب

---

(١) الحِجر (بالكسر): قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز وهى بين جبال كانت ديار ثمود التى قال الله جل شأنه فيها: (وتنحتون من الجبال بيوتا). وتسمى تلك الجبال الأثالث، وهى التى ينزلها حجاج الشام. (٢) كذا فى حـ. والجبوب (بالباء الموحدة): المدر (الطوب) المفتت. وفى سائر الأصول: «الجيوب» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.

أقبلتُ أطلب طِبَّــه * والموت يُعْضِلُ[1] بالطبيب

الشعر لمَكين العُذرىّ يرثى أباه، وقيل : إنه لرجل خرج بٱبنه إلى الشأم هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادى، رمل فى مجرى البنصر . وقيل : إن الشعر لسَلّامة[2] ترثى الوليدَ بن يزيد .

٧٧/٦

سمعته أم جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكل بيت غنى فيه وعوضها الرشيد بكل درهم دينارا

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا ٱبن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثنى عبد الله بن على بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد[3] يحدّث :

أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين، فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين، إنى لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندى ٱبنُ جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنى لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشْركَنى فيه، فما كان عليك أن أَشْرَكك فى الذى أنت فيه ! فأرسل إليها : إنى سائر إليكِ الساعةَ . ثم قام وأخذ بيد ٱبن جامع، وقال لحسين الخادم : امضِ اليها فأعلمها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها : إن معى ٱبنَ جامع؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصيّر ٱبنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد .

---

(١) أعضل به : أعياه وأعجزه . وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : أعضل بى أهل الكوفة، ما يرضون بأمير ولا يرضاهم أمير . قال الأموى : فى قوله : أعضل بى هو من العضال وهو الأمر الشديد الذى لا يقوم به صاحبه، أى ضاقت على الحيل فى أمرهم وصعبت علىّ مداراتهم . (٢) هى سلامة القس . (راجع ترجمتها فى الجزء الثامن من الأغانى ص ٦ — ١٥ طبع بولاق) . (٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « بربر » .

وأهوَتْ لتنكبَّ على يده؛ فأجلسها الى جانبه فاعتنقها واعتنقته . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّى فآندفع فغنّى :

صــــوت

ما رَعَدَتْ رَعْـدةً ولا بَرَقتْ * لكنّهـا أُنشئت لنـا خَلِقـهْ (١)
المـاء يجـرى على نظامٍ له (٢) * لو يَجِـدُ المـاءُ مَخْرِقًا خَرَقَه
بتنا و باتتْ عـلى نَمـارقها * حتى بدا الصبحُ عَيْنُهـا أَرِقه
أنْ قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ * والدارُ بعـدَ الجميع مُفترِقَه

ـــ الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لآبن جامع ثانى ثقيـل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق . وفيه لآبن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أن فيه لحنًـا لمعبد ولم يجنّسه . وفيـه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامىّ . ولمخارق فى هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشامىّ . وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشامىّ أن لُمتَيّم فيها ثانى ثقيل بالوسطى ـــ قال : فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما آشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لمُسلم خادمها : ادفع إلى آبن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبى (٣) الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلما خرج، حمل إليها مكان كلّ درهم دينارا .

(١) يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أى فيها أثر المطر . (٢) كذا فى ب ، س وديوان عبيـد بن الأبرص (ص ٨٦ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : « ولا نظام له » .

(٣) كذا فى الأصول . والمعروف أن أم جعفر هى زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور الخليفـة العباسى، وأن جعفرا أباها ولد ابراهيم وزبيدة وجعفرا وعيسى وعبيد الله وصالحا ولبانة . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٩٢) .

أخذ صوتا من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع السَّهْميّ قال :

ضَمّني الدهرُ ضمًّا[1] شديدًا بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يومًا وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرّة تريد الرَّكِيّ[2] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النوم يَغْشَى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أَعْيُنا
إذا مادنا الليلُ المُضِرّ[3] لذي الهوى * جَزِعْنا وهم يَستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

٧٨/٦

قال : فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جاريةُ ، ما أدري أوجهُك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبًّا وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأخرى ، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أخرى ! ففطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لايزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقي . قال : فأخذتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتًا أحسبك ستأخذ به ألف

(١) يريد ضغطني واشتدّ عليّ ، من شدّة الفقر والحاجة . (٢) الركي : جنس للركية وهي البئر . (٣) كذا في ب ، سـ هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول . وفي أ ، م هنا : « المبير » وفي ء : « المبيد » .

دينار وألفَ دينار وألفَ دينار. قال: وآنبعثتْ تغنّى؛ فأعملتُ فكرى فى غنائها حتى دار لى الصوتُ وفهمتُه، وآنصرفتُ مسرورًا إلى منزلى أُردّده حتى خفّ على لسانى. ثم إنى خرجتُ أريد بغداد فدخلتها، فنزل بى المكارى على باب مُحَوَّل (١)؛ فبقيتُ لا أدرى أين أتوجّه ولا مَنْ أقصد. فذهبتُ أمشى مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجدًا بالقرب من دار الفضل آبن الربيع مرتفعًا؛ فقلت: مسجد قوم سَراة؛ فدخلتُه، وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمت بمكانى حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب. وآنصرف أهل المسجد وبقى رجل يصلّى، خلفه جماعة خدم وخَوَل (٢) ينتظرون فراغَه؛ فصلّى مليًّا ثم آنصرف؛ فرآنى فقال: أحسبك غريبًا؟ قلت: أجل. قال: فمتى كنتَ فى هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفا، وليس لى بها منزل ولا معرفة، وليستْ صناعتى من الصنائع التى يُمَتّ بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتَغَنّى. قال: فوثب مبادرًا ووكّل بى بعضَ من معه. فسألتُ الموكَّل بى عنه فقال: هذا سَلّام الأبرش (٣). قال: وإذا رسولٌ قد جاء فى طلبى فآنتهى بى إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بى مقصورةً (٤) إلى مقصورة، ثم أُدخلت مقصورة فى آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلتُ حتى آمتلأت. فإنى لكذلك إذ سمعت رَكْضًا (٥) فى الدهليز وقائلًا يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: آدعوا له بغَسول

(١) باب محول: محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ. (٢) فى حـ: «وبجول». وفى سائر الأصول: «وبخول» والظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه.

(٣) خدم المنصور وتولى المظالم للمهدى وعاصر الهادى والرشيد. (انظر الطبرى ق ٣ ص ٣٩٣، ٥٢٩، ٦٠٣، ٦٨٤، ٧٤٩، ١٠٧٥، ١٣٨٣). (٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «وجاوزنى» وهو تصحيف. (٥) الغسول: الماء يغتسل به، أو هو ما تغسل به الأيدى كالأشنان وغيره.

وخِلْعة وطِيب، ففُعِل ذلك بى. فحُمِلت على دابّة إلى دار الخلافة — وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران — فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[(1)] فيها أَسِرّة فى وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض. فأمرنى الرجل بالصعود فصعدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار فى حجورهنّ العيدان، وفى حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بى، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تَغَنَّ؛ فآنبعث يغنّى بصوت لى وهو:

لم تَمْشِ مِيلًا ولم تركب على قَتَب * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ[(2)]

تمشى الهُوَيْنَى كأنّ الريح تَرْجِعها[(3)] * مَشْىَ اليَعافيرِ[(4)] فى جيآتها الوَهَلُ

٧٩/٦ فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَسَاتِينَ[(5)] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تلى الرجل فقال لها: تَغَنَّىْ، فغنّتْ أيضا بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالًا من الرجل، وهو قوله:

---

(١) الدار القوراء: الواسعة الجوف. (٢) الكلل: جمع كلة وهى ستر يخاط كالبيت (ناموسية).

(٣) فى حـ: «كأن المشى يوحشها». (٤) اليعافير: الظباء. والوهل: الفزع.

(٥) الدساتين: هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها، واحدها دستان. وأسامى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها، فأولها «دستان السبابة» ويشدّ عند تسع الوتر، وقد يشدّ فوقه دستان أيضا يسمى «الزائد». ثم يلى دستان السبابة «دستان الوسطى» وقد توضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى «دستان الوسطى القديمة» والثانى يسمى «دستان وسطى الفرس» والثالث يسمى «دستان وسطى زلزل» لأنه أوّل من شدّه. فأما الوسطى القديمة فشدّ دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر. ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب. ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلى البنصر بالتقريب. وقد يقتصر من دساتين هـذه الوسطيات على واحد وربما يجمع بين اثنين منها. ثم يلى دستان الوسطى «دستان البنصر» ويشدّ على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط. ثم يلى دستان البنصر «دستان الخنصر» ويشدّ على ربع الوتر. (عن مفاتيح العلوم للخوارزمى. وراجع ما كتب فى هـذا المعنى فى تصدير هـذا الكتاب ص ٤٠).

يا دار أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بها * إلا الظباءُ وإلا النّاشطُ[1] الفَرِدُ
أين الذين إذا مازرتُهم جَذِلوا * وطار عن قلبيَ التَّشْواق والكَمَد

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت به][2] ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تليها فآنبعثتْ تغنّى بصوت لحكم الوادىّ وهو :

فوالله ما أدرى أيَغلبنى الهوَى * إذا جدّ وَشْكُ البيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله :

مَرَرْنا على قَيْسيّة عامريّة * لها بَشَرٌ صافى الأديم هِجانُ[3]
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها * مِنَ آيّة أرض أو مَنِ الرجُلان
فقلتُ لها أمّا تميم فأُسرتى * هُديتِ وأما صاحبى فيَمان
رفيقان ضَمّ السّفْرُ بينى وبينه * وقد يَلْتقِى الشتَّى فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتًا فشبّه فيه[4] . والشعر لعمر بن أبى ربيعة وهو قوله :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معموداَ * إذا أقول صحا يعتاده عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزْلان ذى بَقَر[5] * أعارها شَبَهَ العينين والجيدا
بمُشْرِقٍ[6] كشُعاع الشمس بهجتُه * ومُسْبَكِرٍّ على لَبّاتها سودا

(١) الناشط : الثور الوحشى وكذلك الحمار الوحشىّ . والفرد : المنفرد . (٢) كذا وردت هذه العبارة فى جميع الأصول . والظاهر أنها مقحمة . (٣) الهجان : الأبيض الخالص من كل شىء . (٤) يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه . (٥) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى حـ وديوانه . وفيما سيأتى فى سائر الأصول : «ذى نفر» (بالفاء) وكلاهما اسم لموضع . فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة ، وقرية فى ديار بنى أسد . وذو نفر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت) . (٦) كذا فى ديوانه . وهذا البيت يتعلق ببيت قبله أغفله صاحب الأغانى وهو :

قامت تراءى وقد جدّ الرحيل بنا * لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

وفى جميع الأصول : « ومشرقا ... * ومسبطرا ... الخ » . وشعر مسبكر : مسترسل .

ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لحكم الواديّ :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
وإنّا لقومٌ مانرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأته عامرٌ وسَلول
يُقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا * وتَكرهه آجالُهم فتطول

وتغنّت الثانية :

وَدِدْتُك لما كان وُدُّك خالصًا * وأعرضتُ لما صِرْتَ نهبًا مُقَسَّما
ولا يَلبث الحوضُ الجديدُ بناؤُه * إذا كَثُر الوُرّاد(١) أن يتهدّما

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء :

وما كَرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرتْه الخيلُ إلا آقشعرّتِ
فيُدرك ثأرًا وهو لم يُخْطِه الغنى * فمثلُ أخى يومًا به العينُ قَرّت
فلستُ أَرَزَّا بعده برزيّة * فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّت

وغنّى الرجل فى الدور الثالث :

لَحَى الله صُعلوكًا مُناه وهمّه * من الدهر أن يلقى لَبُوسًا ومطعمَا
ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى(٢) * تنبّه مثلوجَ(٣) الفؤاد مُوَرّما(٤) ٨٠/٦
ولكنّ صعلوكا يساور همّه * ويمضى على الهيجاء ليثًا مقدّما(٥)
فذلك إن يَلْقَ الكريهة يَلْقَها * كريمًا وإن يَستغن يوما فربّما

---

(١) فى أ ، ء ، م هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول : « على كثرة الوراد » .

(٢) فى ديوان حاتم (طبع لندن سنة ١٨٧٢) : «استوى» . (٣) كذا فى ديوانه .
وفى جميع الأصول : «مسلوب» . (٤) مورما : منتفخا بادنا لعدم ما يشغله من شؤون الحياة .

(٥) فى أ ، ء ، م هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول : « مصبما » . ورواية هذا البيت فى ديوانه :

ولله صعلوك يساور همه * ويمضى على الأحداث والدهر مقدما

قال : وتغنّت الجارية :

إذا كنتَ رَبًّا للقلوص فلا يكن[(١)] * رفيقُك يمشى خلفَها غيرَ راكب

أَنِخْها فأردفه فإن حملتكما * فذاك وان كان العِقابُ[(٢)] فعاقِب

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب :

ألم تر لمّا ضمّنى البلدُ القفرُ * سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ ياعمرُو

أَغِثْنا فإنا عُصْبة مَذْحِجيّة * نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبى ربيعة :

فلما تَواقَفْنا وسلّمتُ أَسْفرتْ[(٣)] * وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تَبالَهْنَ بالعرفان لمّا عرفْنَنى * وقُلْنَ آمرؤٌ باغٍ أَكلّ[(٤)] وأَوْضعا

ولما تنازعن[(٥)] الأحاديثَ قُلْنَ لى * أَخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا

قال : وتوقّعتُ مجىءَ الخادم إلىّ، فقلت للرجل : بأبى أنت ! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وآرفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لى : تَغَنّ عافاك الله؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه، فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأَسِرّة وقالوا : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لى؛ فانصرفوا عنّى بتلك السرعة، وخرج إلىّ الخادم وقال : كذبتَ ! هذا الغناء لآبن جامع . ودار الدورُ، فلما انتهى الغناءُ إلىّ قلتُ للجارية التى تَلِى الرجلَ : خذى العود،

(١) فى شعراء النصرانية (ج ١ ص ١٢٩ طبع بيروت) : « فلا تدع » . (٢) العقاب : هو أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «أقبلت» . وفى ديوانه طبع أوربا : «أشرقت» . (٤) أكل : أعيا . وأوضع : أسرع . يريد أنه أوضع فأكل إلا أنه قدم وأخر . (٥) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول هنا : « تواضعن » . وفى ب ، س فيما سيأتى : « تراجعن » .

فعلمتْ ما أريد فسَوّيتِ العود على غنائها للصوت الثانى فتغنّيتُ به . فخرجتْ إلىّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لى ؛ فرجعوا وخرج الخادم[1] . فتغنيتُ بصوت لى فلا يُعرف إلا بى، وسقَوْنى فتزيّدت، وهو :

عُوجى علىّ فسلِّمى جَبْرُ * فيمَ الصــدود وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقى إلا ثلاثَ مِنًى[2] * حتى يُفرّق بيننا الدهر

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لى . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامــع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم . فقال لى الفضلُ بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك . فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائمًــا . فقال لى : أَبنُ جامع؟ قلت : اْبن جامع، جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : وَيْحَك! متى كنتَ فى هذه البلدة؟ قلت : آنِفًا، دخلتُها فى الوقت الذى علم بى أميرُ المؤمنين . قال : اجلس وَيْحَك يا اْبنَ جامع ! ومضى هو وجعفر فجلسا فى بعض تلك المجالس، وقال لى : أَبْشِر وابسُط أَمَلَك ؛ فدعوت له . ثم قال : غنّنى يا اْبنَ جامع . فخطر بقلبى صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوَزَن العود وزنًا ٨١/٦ وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها، وانبعثتُ أغنّى بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله

---

(١) الذى يتتبع سياق الخبر يشعر بأن هاهنا نقصا . ولعل أصل الجملة : «وخرج الخادم فقال كذبت فتغنيت ... الخ » .

(٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وفى ترجمــة العرجى (ج ١ ص ٤٠٨ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية) وفيما ســيأتى فى ب ، س : « النفر » . والنفر : هو نفر الحاج من منى و يكون فى اليوم الثــانى ويسمى النفر الأول . والثانى يكون فى اليوم الثالث من أيام التشريق .

ما خرَق مسامعى قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إلىّ ، فصيّرتُه تحت فخذى ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يآبنَ جامع ، رُدّ على أمير المؤمنين هـذا الصوتَ ، فرددتُه وتزيّدت فيـه . فقال له جعفر : يا سيِّدى ، أمَا تراه كيف يتزيّد فى الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أوّلا وإن كان الأمر فى اللحن واحدًا . قال : فرفع الرشـيد رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، فجاءنى به فصيّرته تحت فخذى . وقال : تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك . فجعلت أَقْصِـد الصوت بعد الصوت ممـا كان يبلغنى أنه يشترى عليه الجوارى فأُغنّيه ، فلم أزلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك ، فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعنى صوتَ الجارية) فتغنّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيسًا ثالثا فيه ألفُ دينار . قال : فذكرت ما كانت الجارية قالت لى فتبسّمتُ ، ولحَظَنى فقال : يآبن الفاعلة ، ممّ تبسمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتىّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ مَنْجَاة . فقال لى بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدَقْتَ ، قد يكون هذا وقام . ونزلت من السرير ولا أدرى أين أقْصِـد . فآبتدرنى فرّاشان فصارا بى إلى دار قد أَمر بها أميرُ المؤمنين ، ففرُشتْ وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون فى مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كل آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها فقيرًا (١) وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لى هذا الخبرَ عبـدُ الله بن الرَّبيع عن أبى حَفْص الشَّيْبانىّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال :

---

(١) يريد مدينة بغداد التى تقدّمت فى أوّل الخـبر .

ضمّنى الدهرُ بمكة ضمًّا شــديدًا فٱنتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يومًا جالس مع بعض أهلها نتحدّث، إذ قال لى رجل حَضَرنا: والله لقد بلغنَا يٱبن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت فى هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بى نهوض. قال بعضهم: فنحن نُنهضك . فٱحتلتُ فى شىء وشَخَصت إلى العراق، فقدِمتُ بغدادَ، ونزلت عن بغل كنت ٱكتريتُه . ثم ذكر باقى الحديث نحوَ الذى قبله فى المعانى، ولم يذكر خبر السوداء(١) التى أخذ الصوتَ عنها . وأحسَبه(٢) غَلِط فى إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبرآخر نذكره هاهنا. قال فى هذا الخبر: إن الدَّوْر(٣) دار مرّةً أخرى حتى صار إلىّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيها الرجل! فقلت : ما أنتظر الآن! ! ثم اندفعتُ أغنّى بصوت لى وهو :

فلو كان لى قلبــان عِشْتُ بواحــد * وخلّفْتُ قلبًــا فى هواك يُعــذَّبُ
ولكنما أحيــا بقلب مُروَّع * فلا العيشُ يصفو لى ولا الموتُ يقرُب
تعلّمت أسبابَ الرضا خوفَ سُخْطها * وعلّمها حبّى لهــا كيف تغضب
ولى ألف وجهٍ قــد عرفتُ مكانه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب(٤)

فخرج الرشيد حينئذ .

نسبة ما فى هذه الأصوات من الأغانى ٨٢ / ٦

صـــــوت

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنــا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغْشى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أعينَا

(١) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى . وقد تقــدم أن الجارية التى أخذ عنها كانت حمراء وقد ذكر ذلك فى موضعين . (٢) يريد به محمد بن ضو بن الصلصال التيمى وهو الذى ذكر هذا الخبر فيما تقــدّم وذكر فيه خبر السوداء التى أخذ عنها ابن جامع الصوت . (٣) ذكرت هــذه القصة فى آخر ترجمة ابن جامع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يذهب » .

إذا مادنا الليلُ المضرّ بذى الهوى * جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما * نُلاقى لكانوا فى المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشامىّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفى الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة (١) .

ومنها :

صـــوت

يادار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها * إلا الظباءُ و إلا النّاشط الفَرِدُ
أين الذين إذا ما زرتُهم جذِلوا * وطار عن قلبيَ التشواق والكمد

فى هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها :

صـــوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ
أقولُ للركب فى دُرْنا (٢) وقد ثَمِلوا * شِيموا وكيف يَشيم الشارب الثَّمِل

---

(١) انظر حاشية رقم ١ ص ٣١٩ من هــذه الترجمة .

(٢) درنا : ناحيــة باليمــامة وكانت تسمى هكذا فى الجاهليــة . وهى المعروفة بأثافت أو أثافه بالهــاء والتاء . قال الهمدانى : وكان الأعشى كثيرا ما يختَرِف فيها وكان له بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت من أعنابهم . ويروون فى قصيدته البائية :

أحب أثافت وقت القطاف * ووقت عصــارة أعنابهــا

ويسكنها أهل ذى كبار ووداعة . والرواية المشهورة فى هذا الشطر كما فى شرح المعلقات العشر للتبريزى ومعجم البلدان وصــفة جزيرة العرب ولسان العــرب وشرح القاموس (مادة درن) : " فقلت للشرب فى درنا ... الخ " .

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التى أوّلها :

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرْتحلُ *

ومنها :

صـــوت

مَرَرْنا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّةٍ * لها بَشَرٌ صافى الأديم هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها * مِنَ آيّة أرض أو مَنِ الرجلان
فقلت لها أمّا تميمٌ فأسرتى * هُديتِ وأمّا صاحبى فيمانى
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بينى و بينه * وقد يَلتقى الشتّى فيأتلفان

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها :

صـــوت

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودَا * إذا أقول صحا يعتاده عِيدَا
أَجْرِى على موعد منها فتُخلفنى * فما أَمَلّ ولا تُوفى المواعيدا
كأننى حين أُمسِى لا تكلّمنى * ذو بُغْية يَبتغى ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلا أول][1] بالوسطى على مذهب إسحاق .

(١) هذه العبارة ساقطة فى الأصول ماعدا ب ، سه .

ومنها :

صـــــوت

فوالله ما أدرى أيغلبنى الهــوى * إذا جدّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُـهْ
فإن أستطع أغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

٨٣/٦ عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيّادة، والغناء للحَجَبىّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها :

صـــــوت

تُعَــيِّرنا أنا قليـــلٌ عديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليـلُ
وما ضَرّنا أنّا قليـــلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـــلُ
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأته عامرٌ وسَـــلُول
يقرِّب حبُّ الموت آجالَنا لنـا * وتكرهه آجالُهم فتطــول

عروضه من مقبوض(١) الطويل . والشعر للسموءل بن عادياء اليهودىّ . والغناء لحَكَم الوادى .

ومنها :

صـــــوت

وَدِدْتُك لمّـا كان وُدّك خالصًا * وأعرضتُ لمـا صار نَهْبًا مقسَّما
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديدبناؤه * على كثرة الورّاد أن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قدم لأهل مكة . وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل .

---

(١) القبض : هو حذف الخامس الساكن فيصير « فعولن » « فعول » .

ومنها :

صــــوت

وما كَرَّ إلّا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرِك ثأرًا ثم لم يُخْطِه الغِنى * فمثلُ أخى يومًا به العين قرّت
فإن طلبوا وِترًا بدَا بِتِراتِهم * ويَصبِر يحميهم إذا الخيل ولّت

عروضه من الطويل . الشعر للخَنْساء ، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر على بن يحيى أنه لمَعْبد فى هذه الطريقة .

ومنها :

صــــوت

لحا الله صُعلوكًا مُناه وهَمُّه * من الدهر أن يلقَى لَبوسًا ومَطْعما(١)
ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى * تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما
ولكن صعلوكا يُساور هَمَّه * ويَمضى على الهَيْجاء ليثًا مصمِّما
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها * كريمًا وإن يَستغن يومًا فربّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنه لعُرْوة بن الوَرْد ، ويقال : إنه لحاتم الطائى وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر .

ومنها :

صــــوت

إذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا يكن * رفيقُك يَمْشى خلفَها غيرَ راكبِ
أنِخْها فأَردفه فإنْ حملتْكما * فذاك وإن كان العِقاب فعاقبِ

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيّئ .

(١) راجع هذا الشعر فى صفحة ٣١٥ ، فقد ورد فيها مختلفا عما هنا اختلافا يسيرا .

ومنها :

صــــوت

ألم تَرَ لمّا ضَمّنى البـلد القَفْـرُ * سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرُو

أغِثنا فإنا عُصْبة مَذْحِجيّة * نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

٨٤/٦ عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معديكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها :

صــــوت

فلما تواقفْنا وسلّمتُ أقبلتْ * وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تَبالَهْنَ بالعرفان لما رأيْنَنى * وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلّ وأَوْضعا

ولما تَنازعن الأحاديثَ قلن لى (١) * أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا

وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيّم * يَقيس ذراعًا كلما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع فى عدّة ألحان، قد كُتبتْ مع الخبر فى موضع غير هذا .

ومنها :

صــــوت

عُوجى علىّ فسلّمى جَبْرُ * فيم الصدودُ وأنتم سَفْرُ

ما نلتقِى إلا ثلاثَ مِنًى (٢) * حتى يفرِّق بيننا النَّفْر

الحول ثم الحول يتبعه * ما الدهر إلا الحول والشهر

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٧ من هذا الجزء .

الشعر للعَرْجىّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشامىّ، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها :

صـــوت

فلو كان لى قلبان عشتُ بواحد * وخلّفتُ قلبًا فى هواك يعذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُروَّع(1) * فلا العيش يصفو لى ولا الموت يقرُبُ
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها * وعلّمها حبّى لها كيف تغضب
ولى ألف وجه قد عرفت مكانَه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّل . وفيه لزَرْزُور خفيفُ ثقيل . وفيه هَزَج يقال إنه لعَريب، ويقال إنه لنمرة ، ويُقال إنه لأبى فارة، ويقال إنه لابن جامع .

سمعه مصعب الزبيرى يغنى فى بساتين المدينة فمدحه

حدّثنى مصعب الزبيرىّ قال :

قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً فى أيام الرشيد ؛ فسمعته يومًا يغنّى فى بعض بساتين المدينة :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صَدَر الرُّعيانُ وردَ المناهل
وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقى رَحَلْتُها(2) * فسارت بمحزون كثير البَلابل(3)

٨٥
―
٦

(1) فى حـ : « معذب » . (2) فى حـ : « طويل » . (3) البلابل : شدة الهم والوسواس فى الصدر وحديث النفس .

وكان رجلاً صيِّتا[١] ، فكاد صوته يذهب بى كلّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ومالى لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنت إذا ما آشتدّ شوقى ركبتها * فسارتْ بمحزون كثير البلابل

الغناء لأبن جامع خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ وابن المكّىّ .

أهدى الربيع للنصور فكان يستخفه وأعتقه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى هارون بن محمد الزّيات قال حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال :

كنتُ فى خمسين وصيفًا أُهدوا للنصور ، فَفُرِّقْنا فى خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنت أراه يفعل شيئا أعلم أنه خطأ : يعطيه الإبريق فى آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لى يوما : كن مكانى فى آخر المستراح . فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادرًا ، فإذا سمعت حركته بادرت إليه . فقال لى : ما أخفّك على قلبى ياغلام ! ويحك ! ثم دخل قصرا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صدَر الرّعيانُ نحوَ المَناهلِ
وكنتُ إذا ما آشتدّ شوقى رَحَلْتُها * فسارتْ بمحزون طويل البلابل

---

(١) الصيت : الجهير الصوت .

وتحته مكتوب : آه آه ، فلم يَدْرِ ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت ما هو . فقال : قل؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسّفه . فقال : مالك قاتلك الله! قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة [في][1] الأخبار وإنما افردتها عنها لئلا تنقطع

خبر

* أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا *

خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث ابن خالد مع ابن أبي ربيعة

اخبرني الحُسَين بن يحيى قال حماد : قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال حدّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال:

بلغني أن الغريض خرج مع نِسْوة من أهل مكة من أهل الشَّرَف ليلًا إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ، وخفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها، وكان عمر مَهيباً معظَّما لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره، وكان منّي قريبًا؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة — حتى سميتهنّ كُلّهنّ — قد بعثْنَني، وهنّ يَقرأنَ عليك السلامَ، وقلن : تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدناه فُوَيْسقُك الغريض — وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَبًا، وكان كثيرًا ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه، وهو قولُه :

أَمْسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا * إذا اقول صحَا يعتاده عِيدَا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة في ب ، س .

كأنّ أحورَ من غِزْلان ذى نفَـر (١) * أَهْدى لها شَـبَه العينين والجِيدا

قامت تراءَى وقد جدّ الرحيلُ بنا * لتنكأً القرحَ من قلب قد ٱصطيدا

كأننى يــومَ أُمسى لا تكلّمنى * ذو بُغْيــة يبتغى ما ليس مَوْجودا

٧٦/٦ أَجرى على موعدٍ منهــا فتُخلفنى * فمــا أَمَــلُّ وما تُوفى المواعيــدا

قدطال مَطْلى، لَوَ ٱنّ اليأسَ يَنْفعنى * أَوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا

فليس تَبْــذُل لى عفوًا وأُكرمُها * من أن ترى عندنا فى الحرص تشديدا (٢)

— فلما أخبرتُه الخبرَ قال: لقد أزعجتنى فى وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إلىّ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحِيص. فدعا بثيابه فلبِسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشى العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ. فقال لى عمر: خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ فى أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبْننا وتخفّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ٱبن أبى ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكنّ وغنائى. فقالت فلانة: وعليك السلامُ يا بنَ أبى ربيعــة، والله ما تمّ مجلسُنا إلا بك، اجلِسا. فجلسنا غيرَ بعيدٍ، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر: كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال: هــذا الفاسقُ جاءنى برسالتكنّ وكنتُ وَقيــذًا (٣) من علّة وجدتُها، فأسرعت الإجابةَ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة. فرددْن عليه: قد وجب أجْرُك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منّا الحارثُ إرادةً. فحدّثهنّ بما قلتُ له

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٤ من هذا الجزء. (٢) هذه رواية الديوان. وفى الأصول:

... ... فأكرمها * ما إن ترى عندنا فى الحرص تشديدا

(٣) الوقيذ: المريض.

من قصّة غناء الغرِيض؛ فقال النّسوة : والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاتِه . فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول :

أمسى بأسْماء هذا القلبُ مَعْمودَا * إذا أقولُ صَحا يَعْتاده عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره ، فكلٌّ استحسنه . وأقبل علىّ ابنُ أبى ربيعة فجزانى الخيرَ، وكذلك النّسوة . فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب، فقُمنا جميعًا، وأخذ النّسوة طريقًا ونحن طريقًا وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر فى ذلك :

صـــوت

هـل عنـد رَسْم برامـةٍ(١) خبرُ * أم لا فأىَّ الأشـياء تَنتظـرُ(٢)

قد ذكَّرتْنى الديارُ إذ دَرَستْ * والشـوقُ ممّـا يَهيجه الذِّكَر

مَمْشَى رسـولٍ إلىّ يُخْـبِرنى(٣) * عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا

ومجلسَ النّسوة الثلاث لدى الْـ * ـخَيْمات حتى تَبلَّج السَّـحَر

فيهنّ هِنْـدٌ والهَـمُّ ذِكْرتُهـا * تلك التى لا يُرى لهـا خَطَر

ثم انطلقنا وعنـدنا ولنـا * فيهنّ لو طال ليلُنا وطَـر

وقولهَـا للفتـاة إذ أزِف الـ * ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَـر

عَجْلانَ لم يَقْضِ(٤) بعضَ حاجته * هـلا تأنّى(٥) يـومًا فينتظـرُ

اَللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ * دارٌ به أو بدا له سـفر

(١) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : هى هضبة، وقيل : جبل لبنى دارم ، وقيل فيها غير ذلك . (٢) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدة ثمانية عشر بيتا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (طبع ليبسك) باختلاف يسير فى بعض الكلمات وفى ترتيب الأبيات . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « ممشى فتاة الى تخبرنى » . (٤) فى الديوان : «لم يقض بعد حاجته» . (٥) فى ب ، سـ : «أتانا» وهو تحريف .

غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدّفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر فى البيتين الأوّلين . وبعدهما :

٨٧/٦

هل من رَسول إلىّ يُخبرنى * بعد عشاءٍ ببعض ما ٱئتمروا(١)
يومَ ظَلِلْنا وعندنا ولنا * فيهنّ لو طال يومُنا وَطَرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إلىّ عمر فأتيتُه وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ؛ فاندفع يغنّى :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجالسَ النّسوة الثلاثِ لدى الـ * ـخيمات حتى تبلّج السحر

فقلتُ فى نفسى : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه ، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه ؛ فقلت : يا أبا الخطّاب ، جُعلتُ فِداك ! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إن ذلك لَيُقال .

أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل رفز

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد قال :

إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصِل ، فٱستعمل رجلا من أهل حَرّان على كُورة باهَذْرا(٢) ، وهى أجلّ كُوَرِ الموصل ، فأبطأ عليه الخراجُ ؛ فكتب إليه :

هل عند رسمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى أ ، م ومعجم ياقوت فى الكلام على الموصل . وفى حـ : «ياهذرا» بالياء المثناة من تحت . وفى سائر الأصول : «باهدرا» بالباء الموحدة والدال المهملة ، وكلاهما تصحيف .

اِحْمِل ماعنـدك يا ماصّ بَظْرِ أمه، و إلا فقد أمرتُ رسولى بشـدّك وَثاقًا و يأتى بك . فخرج الرجل وأخذ ما كان معـه من الخراج فلَحق بحـرّان ، وكتب إليه : يا عاضّ بَظْرِ أمّه ! إلى تكتب بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى * عرفتْـنى الدَّوِّيَّةُ المَلْساء (١)

فلمـا قرأ موسى كتابَه ضَحِـك وقال : أحسن — يعـلم الله — الجوابَ، ولا والله لا أطلبه أبدًا . وفى غير هذه الرواية أنه كتب إليه فى آخر رقعة :

إنّ الخليط الأُلَى تهوَى قد ائتمروا * للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا

يابن الزّانية ! والسلام . ثم هرب، فلم يَطْلُبه .

إسحاق الموصلى ولحن للغريض

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبى :

غنّانى رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض :

هل عنـد رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

فسألتُه أن يُلْقيه علىّ، فقـال : لا إلا بألف درهم ؛ فـلم أسمح له بذلك . ومضى فلم أَلْقَه . فوالله يا بنىّ ما نَدِمتُ على شىء قطُّ نَدَمى على ذلك، ولَوَدِدْت أنّى وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخَذَ منّى ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خـــبر

* تُعـــيّرنا أنّا قليـــلٌ عديدُنا *

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْءَل بن عَادِياء . ويقال : إنه للسموءل . وكان من يهود يَثْرِب؛ وهو الذى يُضرب به المثلُ فى الوفاء فيقال : « أوفى من السّموءل » .

---

(١) الدوّيّة : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة .

وكان السببُ فى ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدّثنى به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُموىّ عن محمد ابن السائب الكَلْبيّ قال :

كان امرؤ القيس بن حُجْر أَوْدع السموءلَ بن عادياء أدراعًا[1]؛ فأتاه الحارثُ بن
٨٨ ٦ ظالم — ويقال: الحارث بن أبى شِمْر الغَسّانى — ليأخذَها منه؛ فتحصّن منه السموءلُ؛ فأخذ ابنًا له غلامًا وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع وإما أن قتلتُ ابنَك؛ فأبى السموءلُ أن يُسَلِّم الأدراعَ إليه؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقَطَعه اثنين[2]. فقال السموءل :

وفَيْتُ بأَدْرُع الكِنْدىّ إنِّى * إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ
وأوصى عادِيا يومًا[3] بألّا * تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بنيتُ
بَنَى لى عادِيا حصنًا حصينًا * وماءً[4] كلّما شئتُ استقيتُ

وفى هذه القصيدة يقول :

صوت

أعاذِلتى ألَا لا تَعذُلِينى * فكَمْ مِنْ أَمْر عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعِينى وارْشُدِى إن كنتُ أَغْوَى * ولا تَغْوَىْ ـ زعمتِ ـ كما غَوِيْتُ
أعاذلَ قد طلبتِ اللّومَ حتى * لَوَ انّى مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ[5]
وصفراءِ المعاصم قد دَعَتْنى * إلى وَصْلٍ فقلتُ لها أبَيْتُ

(١) فى ح : «أدراعا مائة» . (٢) كذا فى ح ، ى . وفى سائر الأصول : «باثنين» .
(٣) رواية هذا الشطر فى ديوانه : * وأوصى عاديا جدى بألا *
(٤) فى مجمع الأمثال للميدانى : « بئرا » . وفى ديوانه : « عينا » .
(٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها : « أطلت » .

وزِقٍّ قد جَرَرْتُ الى النَّـدامَى * وزِقٍّ قد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لو يكونُ فتى أُناسٍ * بكى من عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر. والشعرُ للسَّمَوْءَل بن عادِياء. والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسّبّابة فى مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر فى الأوّل والثانى. وغنّى دَحْمانُ أيضا فى الأوّل والثانى والرابع والخامس رمَلًا بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدّفّاف فى الأوّل والثانى رمَلا بالبنصر. وفى هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ فى الرابع وما بعده. ثم فى سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم ينسُبه(١). ولإبراهيم الموصلىّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضا.

أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه ثم أطلقه بشفاعة شريح بن السموءل فلما عرف ذلك ندم

حدّثنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُموىّ قال حدّثنى محمد بن السائب الكلبىّ قال:

هجا الأعشى رجلًا من كلب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم * ولستَ من الكرام بنى عُبَيْـدِ
ولا من رهـط جبّار بن قُرْط * ولا من رهـط حارثةَ بن زيد

— قال: وهؤلاء كلهم من كلب — فقال الكلبىّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظًا عليه. فأغار الكلبىّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسَرَ منهم نفرًا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادياء الغسّانى صاحب تَيْماء(٢) بحصنه الذى يقال له الأبلَق(٣). فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

(١) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «ولم يجنسه». (٢) تيماء: بليدة فى أطراف الشام، بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق. (٣) قيل له الأبلق لأنه كان فى بنائه بياض وحمرة، وقيل: لأنه بنى من حجارة مختلفة الألوان.

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بعد ما عَلِقتْ * حبالَكَ اليومَ بعد القِدِّ أظْفارِى (١)

قد جُلْتُ ما بين بانِقيا إلى عَدَنٍ (٢) * فطال فى العُجْمِ تَرْدادِى (٣) وتَسْيارى

فكان أكرمَهم عهــدًا وأوثقَهم * عَقْــدا أبوك بعُرف غــير إنكار

كالغيث ما ٱستمطروه جادَ وابلُه * وفى الشدائد كالمستأسِد الضَّارى

٨٩/٦ كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به * فى جَحْفَــل كسواد الليــل جَرَّار

إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْف فقال له * قُــلْ ما تشاء فإنّى سامــعٌ حار

فقــال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما * فٱخترْ وما فيهما حــظٌّ لمختــار

فشَـــكَّ غيرَ طَـويلٍ ثم قال له * أُقْتُــل أسيرَك إنى مانعٌ جارى

وسوف يُعْقِبُنيه إن ظَفِـرتَ به * ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار

لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هَــدَرًا * وحافظات إذا ٱستُودِعن أسرارى

فٱختار أدراعَه كى لا يُسَبَّ بهــا * ولم يكن وعــدُه فيهــا بَخَتَّــار (٤)

قال : فجــاء شُرَيح إلى الكَلْبىّ فقال له : هَبْ لى هذا الأســيرَ المَضْرورَ (٥) ؛ فقال : هو لك ، فأطلَقه . وقال له : أَقِمْ عندى حتى أُكرِمَك وأَحْبُوَك ؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعك إلىّ أن تُعْطِينى ناقةً ناجِية (٦) وتُخْلِيَنى الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً ، فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبىَّ أن الذى وَهَب لشُرَيح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح : ابعث إلىّ بالأســير الذى وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعطيَه ؛ فقال : قد مضى . فأرسل الكلبىُّ فى أثَره فلم يَلْحَقه .

---

(١) القد : القيد . (٢) بانقيا : ناحية من نواحى الكوفة . (٣) كذا فى ديوانه المطبوع بمطبعة التقدم بمصر . وفى الأصول : «تكرارى» . (٤) الختار : الغادر . (٥) كذا فى حـ ونسـخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه ومعجم ياقوت فى الكلام على الأبلق الفرد . وفى سائر الأصول : «المضروب» بالباء الموحدة ، وهو تحريف . (٦) ناقة ناجية : سريعة السير .

وأما خبر :

* وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ *

—والشعر للخنساء— فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتى فيما بعد هذا مُفْرَدًا عن المائة الصوت المختارةِ فى أخبار الخنساء .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

دفع فى صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار

وأمّا خبرُ الجارية التى أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع فى حكاية محمد بن ضوين الصَّلْصَال فيها خطأٌ(١)، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى محمد العامرىّ قال حدّثنى عُكّاشة اليزيدىّ بجُرْجان قال حدّثنى إسماعيل بن جامع قال :

بَيْنا أنا فى غُرْفة لى باليمن وأنا مُشْرِف على مَشْرَعةٍ(٢)، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح، وجلستْ فغنّتْ :

صوت

فَرُدّى مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِه * ولا تُبْعِدى فيما تجشّمتِ كُلْثُمَا

— ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرما» —

إلى الله أشكو بخلَها وسماحتى * لها عسلٌ منّى وتبذُل عَلْقَما

أبى اللهُ أن أُمسى ولا تذكُرينَنى * وعيْناى من ذكراكِ قد ذَرَفَتْ دَمَا

أَبيتُ فما تنفَكّ لى منكِ حاجةٌ * رمى الله بالحبّ الذى كان أظْلَما

(١) هذه الكلمة مستغنى عنها فى الكلام ولكنها ثابتة فى جميع الأصول . (٢) المشرعة : مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدًا لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهرا معينا لا يستقى منه برشاء . فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع (بالتحريك) .

— غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة — قال : ثم أخذتْ قِرْبتَها لتمضىَ . فآستفزّنى من شهوة الصوت مالا قِوامَ لى به ، فنزلتُ إليها فقلت لهـا : أَعِيدِيه . فقالت : أنا عنك فى شـغل بخَراجى . قلتُ : وكم هو؟ قالت : درهمان فى كل يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه علىّ حتى آخذه منك ، وأعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تَبْرح حتى أخذتُه منها وآنصرفت ؛ فلهوتُ يومى به ، وأصبحتُ من غدٍ لا أذكر منـه حرفًا ، ٩٠ / ٦ فإذا أنا بالسوداء قـد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس . فلما وضعتِ القِربةَ تغنّت غيرَه ، فعَدَوْتُ فى أثرها وقلت : ياجارية ، بحقّ عليك رُدِّى علىّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّى منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، مامثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أنت تَقِيسُ أوّلَه على آخره ، ولكنك قـد أُنْسِيتَه ، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليهـا وأعادتْه علىّ حتى أخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أربعةَ دراهم ، وكأنى بك قـد أصبتَ به أربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يومًا وهو على سريره ؛ فقال : من غنّانى فأطربنى فله ألفُ دينار ، وقدّامَه أكياسٌ فى كل كيس ألفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغِناء إلىّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السـوداء ؛ فرمى إلىّ بكيس فيه ألفُ دينار ، ثم قال : أعِدْه فغنّيتُه ؛ فرمى إلىّ بثان ثم قال : أعِدْه فرمى إلىّ بثالث وأمسك . فضحِكتُ ؛ فقال : مايُضْحِكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إلىّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خبـــر

* عُوجِى علىّ فسلِّمى جَـــبْرُ *

الشعر للعَرْجِىّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال :

قيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مُخَنَّثًا قد أفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله . فأُدخِل عليه، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنِيّة[(١)] قد حمل دُفًّا فى خريطته . فلما وقف بين يَدى عمر صعّد بصرَه فيه وصوّبه وقال : سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ ! أتحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا، قال : قبّحك اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا : اسكُتْ فسكتَ . فقال له عمر : أتقرأ من المفصَّل شيئا ؟ قال : وما المُفَصَّل ؟ قال : ويلك ! أتقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم، أقرأ ﴿ الحمد لله ﴾ وأُخطِئ فيها فى موضعين أو ثلاثة، وأقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وأُخْطِئ فيها، وأقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ مثلَ الماء الجارى . قال : ضَعوه فى الحبس ووكِّلوا به مُعَلِّما يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطّهارة والصلاة وأَجْرُوا عليه فى كل يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهمَ أُخَر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ . فكان كلّما عُلِّم سورةً نَسِى التى قبلها . فبعث رسولًا إلى عمر : يا أمير المؤمنين، وجِّه إلىّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلا فأوّلا، فإنى لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً . فيئس عمرُ من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً، ولو أطعمناها جائعًا أو أعطيناها محتاجًا أو كسوناها عُرْيانًا لكان أصلحَ . ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له : اقرأ ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرونَ ﴾ .

(١) كذا فى حـ . والسبنية : منسوبة الى سبن (بالتحريك) : بلدة ببغداد؛ وهى إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء . وفى ب، سـ : «بسبتية» (بالتاء المثناة) . وفى سائر الأصول «بسنية» وكلاهما تحريف .

قال : أسألُ اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يدَك فى الجراب فأخرجتَ شرَّ ما فيه وأصعبَه(١) . فأمر به فوُجِئَت(٢) عنُقه ونفاه . فآندفع يغنّى وقد توجّهوا به :

عُوجِى علىَّ فَسَلِّمِى جَبْرُ * فيمَ الوقوفُ وأنتم سَفْــرُ

٩١ / ٦

ما نلتقى إلا ثلاثَ منًى * حتى يفــرِّق بيننا النَّفْر

فلما سمِــع المُوكَّلون به حسنَ ترنّمه خلّوْه وقالوا له : اذهب حيث شئتَ مُصاحَبًــا بعد آستماعهم منه طرائفَ(٣) غنائه سائرَ يومهم وليلتهم .

جج محمد بن خالد ابن عبد الله وسمع جارية محمــد بن عمــران فطــرب وأراد شراءها فرده

أخبرنى الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبى عن المدائنىّ قال :

أحَجّ خالدُ بن عبد الله آبنَه محمدًا وأصحبه رِزامًا(٤) مولاه وأعطاه مالاً ، وقال : إذا دخلتَ المدينةَ فآصرفه فيما أحببْتَ . فلما صِرْنا(٥) بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ ؛ فقيل : عند محمد بن عِمْران التَّيمى القاضى . فصلّينا الظهــرَ فى المسجد ثم مِلنا إليه فآستأذنّا عليــه فأذن لنا وقد آنصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد(٦) ونعلاه فى آخر اللِّبْد ، فسلّمنا عليه فردّ ، ونَسَب(٧) محمدًا فآنتسب له ، فقال : خيرا . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلَجْلَج . فقــال : كأنك ذكرتَ فلانة ! يا جاريةُ آخرجِى ؛ فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس ، ثم تغنّت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجىء ، إلى أن غنّت قوله :

* عوجِى علىّ فسلِّمى جَبْرُ *

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «أشد ما فيه» . (٢) الوجء : اللكز والضرب ، يقال : وجأت عنقه وفى عنقه أى ضربته . (٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «ظرائف» بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) هو رزام بن مسلم ، أدرك أبا جعفر المنصور وله بعض حوادث وردت فى الطبرى (ق ٣ ص ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٦٣٧) .
(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فلما صار » . (٦) اللبد : بساط من صوف .
(٧) نسبه : سأله عن نسبه .

فلما بلغتْ :

* حتى يفرِّق بيننا النَّفْر *

وثب الشيخُ إلى نعــله فعلَّقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطــرف أُذنه والنّعــل فيها وجعل يقول : أَهدونى أنا بَدَنَةٌ(١)، أَهدونى أنا بَدَنَةٌ . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنهــا تساوى ؟ قالوا : ستمائة دينار . قال : هى وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها علىّ أحدٌ أبدا ، فآنصرِفوا إذا شئتم .

كان ابن جريج فى حلقة يحدث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنيــه بغنــاء ابن سريج

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصلىّ ــ وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ ــ قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال :

وجدتُ فى كتب أبى عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفىّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدّثنى سُلَيم(٢) الحساب عن داود المكىّ قال :

كنّا فى حَلْقة آبن جُرَيْج وهو يحــدّثنا وعنده آبنُ المبارَك و جماعةٌ من العراقيّين ، إذ مرّ به آبن تَيْزَن ــ قال حمّاد : ويقال آبن بيرن ــ وقد آئتزر بمئْزرة على صدره ، وهى إزْرَةُ الشُّطّار(٣) عندنا . فدعاه آبن جُرَيج ؛ فقــال له : إنى مستعجِل ، وقد وعدتُ أصحابًا لى فلا أقدر أن أحتبس عنهم . فأَقْسم عليه حتى أتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أُحِبّ أن تُسمِعنى . قال : أنا أجيئك إلى المنزل ، فلِمَ تُجْلِسنى مع هؤلاء الثقلاء! . قال : أسألك أن تفعل ؛ قال : آمرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات . قال : ويحك ! ما أعجلكَ باليمين ؟! قال : أكره أن أحتبس عن أصحابى . فآلتفت آبن جريج إلى أصحابه فقال : اِعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنِّنى الصوتَ

---

(١) الإهداء : سوق الحيوان إبلا أو بقرا أو شاء إلى البيت الحرام هديا . (٢) فى ب ، سـ : «سليمان» . (٣) كان هذا الاسم يطلق فى الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد .

الذى أخبرتنى أنّ آبنَ سريج غنّاه فى اليوم الثالث من أيام مِنًى على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائى حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه (1) :

* عوجى علىّ فسلّمى جبرُ *

فقال آبن جُرَيْج : أحسنتَ والله ! — ثلاثَ مرّات — ويحك أعِدْه . قال : أمِن الثلاثة ؟ فإنى قد حلَفتُ . قال : أعِدْه فأعاده ؛ فقال : أحسنت ! أعِده من الثلاثة ؛ فأعاده وقام فمضى . فقال آبن جريج لأصحابه : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنا لَنُنْكِره بالعراق . قال : فما تقولون فى الرَّجَز ؟ (يعنى الحُدَاء) قالوا : لا بأس به . قال : فما الفرق بينهما ! .

أحسن الناس حلوقا فى الغناء

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبى أيوب المَدِينىّ قال :

ثلاثةٌ من المُغَنّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقًا : آبن تيزَن ، وآبن عائشة ، وآبن أبى الكَنّات .

صـــوت

٩٢
―
٦

من المـائة المختـارة

سَقَانى فروَّانى كُمَيْتًا مُدامةً * على ظمإٍ منى سَلَامُ بنُ مِشْكَمِ (2)

تخيّرتُه أهـلَ المدينة واحدًا * سِـواهمْ فلم أُغْبَن ولم أَتَنَدّمِ (3)

عروضُه من الطويل . والشـعر لأبى سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخى بابويه الكوفى مولى الأشاعثة (4) ، خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

---

(1) فى ا ، حـ ، ى ، م : «الثانى» . (2) سيتكلم عنه المؤلف فى ترجمة أبى سفيان التى تبتدئ بعد هذه الصفحة . (3) ورد هذا البيت فى سيرة آبن هشام (ج ٢ ص ٥٤٣ طبع أوروبا) هكذا :

إنى تخيرت المدينة واحدا * لحلف فلم أندم ولم أتلوم

(4) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس الكندى الصحابى ، نزل الكوفة . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين رجلا من كندة فروى عنه وعن عمر رضى الله عنه . ومات بالكوفة فى آخر سنة أربعين حين صالح الحسن معاوية رضى الله عنهما فصلى عليه .

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأمُّ حَرب بن أميّة بنتُ أبى هَمْهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . وأُمّ أبى سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم[1] بن رُوَيْبة[2] بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة ، وهى عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بنى العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم فى أوّل هذا الكتاب[3] .

وكان حربُ بن أميّة قائدَ بنى أميّة ومن مالأهم فى يوم عُكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبى عامر السُّلَمىّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة[4] وازدراعِهما إيّاها . وهذا شىءٌ قد ذكرتْه العربُ فى أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

أراد حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب ، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانىّ :

(١) كذا فى تجريد الأغانى والقاموس وشرحه (مادة هزم) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٨ طبع أوروبا) . وفى الأصول : «الهرم» بالراء المهملة وهو تصحيف . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى والقاموس وشرحه (مادة هزم) وطبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٩٤) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٩ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : «رويبة» وهو تصحيف . (٣) راجع الجزء الأوّل من هذه الطبعة (ص ١٤) . (٤) القرية : موضع فى ديار بنى سليم ، ذكره البكرى فى معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٧٣٥) وساق القصة كما ساقها أبو الفرج هنا .

أنّ حربَ بن أميّة لمّا آنصرف من حرب عكاظ هو وإخوتُه مرّ بالقُـرَيّة، وهى إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام . فقال له مرداسُ بن أبى عامر : أمَا ترى هـذا الموضع؟ قال بلى . قال : نِعْم المُزْدَرَعُ هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونُحرِّق هـذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعـد ذلك ؟ قال نعم . فأضرما النّار فى الغَيْضة . فلما آستطارت وعلا لهبُها سُمِـع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعتْها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبى عامر فى ذلك :

إنى آنتخبتُ لها حربًا وإخوتَه * إنّى بحَبْلٍ وثيقِ العَقْد دسّاسُ
إنى أُقَوِّمُ قبـل الأمر حُجّتَـه * كيما يقـالَ ولىُّ الأمر مِرداسُ

قال : فسمِعوا هاتفًا يقول لمّا آحترقت الغَيْضَةُ :

ويلٌ لحـربٍ فارسًا * مُطاعِنًا مُخالِسَا
ويل لعمـرو فارسا * إذ لبسـوا القوانِسا(١)
لَنَقْتُلَنْ بقتـله * جَحاجِحًا عنابِسا

ولم يلبث حربُ بن أميّة ومرداسُ بن أبى عامر أن ماتا . فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة . ثم آدّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبى عَهْمةَ(٢) السُّلَمىّ ثم الظَّفَرىّ . فقال فى ذلك عبّاس آبن مرداس :

أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالمًا * والظلمُ أنكدُ وجهُـه ملعونُ ٩٣/٦
قد كان قومُك يحسبونك سيّدًا * وإخال أنك سـيّدٌ معيـون

---

(١) القوانس : جمـع قونس ، وهو أعلى البيضـة . وفى معجم ما آستعجم : « القلانسا» .

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى : « كليب بن عيهة » . وفيما مر فى جميع الأصول (ج ٥ ص ٣٨ من هذه الطبعة) والنقائض (ص ٩٠٧ طبع أوروبا) : « كليب بن عهمة » .

— المعيونُ : الذى أصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له —

فإذا رجَعتَ إلى نسائك فآدَّهِنْ * إن المُسالِمَ رأسُــه مـدهونُ
وآفعل بقومك ما أراد بوائلٍ * يومَ الغـدير سميُّـك المطعون (١)
وإخال أنك سوف تلقى مثلَها * فى صَفْحَتَيْك سِنانُها المسنون
إن القُـرَيّةَ قد تبـيّن أمرُها * إن كان ينفع عنـدك التّبيين
حيث آنطلقتَ تخطُّها لى ظالمًا * وأبو يزيدَ بجـوِّها مدفون

أبو يزيد : مرداس بن أبى عامر .

منزلته فى قريش وفقء عينيه

وكان أبو سـفيان سيِّدا من سادات قريش فى الجاهليّـة ورأسًا من رءوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وكَهْفًا للمنافقين فى أيامه، وأسلم يوم الفَتْح . وله فى إسـلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجرًا يجهِّـز التجار بمـاله وأموالِ قريش إلى أرض العجم . وشهِد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشَاهَدَةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف (٢)، فلم يزل أعْورَ إلى يوم اليَرْموك (٣)، فَفُقِئَت عينُه الأخرى يومئذ فعَمِى .

مازح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بنتـه أم حبيبة

أخبرنا الطُّوسىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى علىّ بن صالح عن جدّى عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكىّ عن أبى الهيثم عمّن أخبره :

(١) يشـير الى تحكم كليب فى موارد المـاء ونفيـه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهـم عطشا . (راجع الكلام على ذلك مفصلا فى الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ٣٦ — ٣٧) .

(٢) يعنى غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفى فأصاب عينه . (انظر المواهب اللدنية ج٣ ص ٣٩ — ٤٠ طبع بولاق) .

(٣) اليرموك : واد بناحيـة الشام فى طـرف الغور يصب فى نهـر الأردن ثم يمضى الى البحيرة المنتنة . كانت به حرب بين المسـلمين والروم فى أيام أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

أنّه سمع أبا سفيان يُمازح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيت بنته أُمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلا أن تركْتُكَ فتركتْكَ العربُ فما انتطحت جمّاءُ (١) ولا ذاتُ قرْنٍ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: "أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة (٢) !".

سئل وهو مشرك عن تزوّج بنته برسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحه

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تزوّج أُمّ حَبِيبة بنت أبى سفيان وأبو سفيان يومئذ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : إن محمدًا قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَعُ (٣) أنفُه . واسمُ أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند (٤) ، والصحيح رملة .

أبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه فعاتبه فأرضاه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدّثنا المدائنىّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال :

أذِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومًا للناس ، فأبْطَأ بإذن أبى سفيان . فلما دخل قال : يا رسولَ الله ، ما أذِنْتَ لى حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان « كلُّ الصيد فى جوف الفَرَا (٥) » .

---

(١) الجماء : الشاة التى لا قرن لها . (٢) حنظلة : ابن كان لأبى سفيان قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم بدر . (٣) فحل لا يقدع أنفه ، أى لا يضرب أنفه ، لكرمه . وذلك أن الفحل اذا أراد ركوب الناقة قدع وضرب أنفه بالرمح أو غيره اذا كان غير كريم وحمل عليها فحل كريم غيره . وفى ب ، س : « يقرع » بالراء المهملة ، وهو بمعنى « يقدع » . (٤) فى الأصول : « وقيل صفية » . والتصويب عن كتاب الإصابة فى أخبار الصحابة وأسد الغابة والمواهب اللدنية . وصفية هى أم أم حبيبة وهى صفية بنت أبى العاص . (٥) هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه . وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمارا (وهو الفرا) فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا على الثالث ، فقال : « كل الصيد فى جوف الفرا » أى هذا الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما . وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشى . (أنظر مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٦٩) طبع بولاق .

حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانى قال حدّثنا عطاءُ ابن مُصْعَب قال حدّثنى سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن يحيى البرمكىّ قال :

أذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، فكان آخرُ من دخل عليه أبا سفيان ابن حرب . فقال : يارسول الله ، لقد أذِنْتَ للناس قبلى حتى ظننتُ أن حِجارةَ الخَنْدَمةِ[1] لَيؤذن لها قبلى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : « كلُّ الصيدِ فى بطن الفَرَا »" . أىّ كل شىء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم .

خرج الى الشأم فى تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبىّ صلى الله عليه وسلم فأجابه وصدقه

حدّثنى عمر بن إسماعيل بن أبى غَيْلان الثَّقَفىّ قال حدّثنا داود بن عمرو الضَّبىّ ٩٤/٦ قال حدّثنا المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الزُّهْرىّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن آبن عبّاس قال حدّثنى أبو سفيان بن حرب قال[2] :

كُنّا قومًا تِجَارًا ، وكانت الحربُ بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصَرتْنا[3] حتى نَهَكَتْ[4] أموالَنا . فلما كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة][5] بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، خرجتُ فى نفر من قريش إلى الشأم ، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة ، فقدِمناها حين ظهر هِرَقْلُ على من كان بأرضه من الفرس[6] ، فأخرجهم منها وآنتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد آستلبوه إيّاه . فلما بلَغه ذلك منهم و بلَغه أن صليبَه قد آستُنْقِذ منهم ، وكانت حمص منزلَه ، خرج[7] منها يمشى على قدميه شكرًا لله حين ردّ عليه ماردّ ليصلّىَ فى بيت المقدس تُبْسَط له البُسُطُ وتُلْقَى عليها الرّياحين . فلما آنتهى إلى

(١) الخنـدمة : جبل بمكة . (٢) قد وردت هـذه القصة فى البخارى (ج ١ ص ٤) باختلاف قليل عما هنا . (٣) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «حضرتنا» بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «تهتكت» . وهو تحريف . (٥) زيادة عن تجـريد الأغانى . (٦) كذا فى تجـريد الأغانى . وفى الأصول : « من فارس » . (٧) فى الأصول : « نخرج » .

إيلياءَ فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقتُه : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال: أجل ! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر . فقالوا : أيّها الملك ، ما نعلَم أمّةً تَخْتَتِن إلا اليهود، وهم فى سلطانك وتحت يدك ، فآبعث إلى كلّ من لك عليه سلطانٌ فى بلادك فَمُرْه فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدك منهم من يَهُود واسترِح من هذا الهمّ . فوالله إنهم لفى ذلك من رأيهم يدبِّرونه[1] إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرى[2] برجلٍ من العرب يقوده — وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم — فقال : أيها الملك ، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فآسأله . فلما آنتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ، قال هرقلُ لمن جاء به : سَلْه عن هذا الحديث الذى كان ببلده ؛ فسأله ، فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعُم أنه نبىٌّ ، وقد آتّبعه ناسٌ فصدّقوه وخالَفه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ فى مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتُهم على ذلك . فلما أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذى رأيت لا ما تقولون ، أَعطوه ثيابه ويَنْطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطتــه فقال له : اقلبِ الشامَ ظهرًا لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هــذا الرجل . فإنّا لَبِغَزَّة إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم الحجاز ؟ قلنــا نعم . قال : آنطلِقوا إلى الملك ، فآنطلقوا بنا . فلما آنتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذى بالحجاز؟ قلنا نعم . قال : فأيّكم أمَسُّ به رَحِمًا ؛ قال : قلت أنا — قال أبو سفيان : وأيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[3] (يعنى هِرَقل) — ثم قال : أَدْنِه ، فأقعدنى بين يديه وأقعد أصحابى خلفى ، وقال : إنى سأسأله ، فإن كَذَب فردّوا عليه .

(١) فى حـ وتجـريد الأغانى : « يديرونه » . (٢) بصرى : بلد من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران . (٣) الأغلف : الذى لم يختتن .

— قال: فوالله لقد علمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا علىّ، ولكنّى كنتُ امرأً سيّدا أتبرّم عن الكذب، وعرفت أنّ أيسر ما فى ذلك إن أنا كذَبْتُه أن يحفظوه علىّ ثم يحدّثوا به عنى، فلم أُكْذِبه — قال: أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يَدّعى ما يَدّعى. فجعلتُ أُزَهِّد له شأنَه وأُصغِّر له أمورَه، وأقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه! إنّ أمرَه دون ما بلَغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّى. ثم قال: أنْبِئْنى فيما أسألُك عنه من شأنه. قال: قلت: سَلْ عمّا بدا لك. قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ، هو أوسطُنا[(1)] نسبًا. قال: أخبرنى هل كان أحدٌ فى أهل بيته يقول مايقول فهو يتشبّه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَرُدّوا عليه مُلكَه؟ قال: قلت لا. قال: أخبِرنى عن أتباعه منكم من هُمْ؟ قال: قلت: الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرنى عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلْزمه أم يَقْليه ويفارقه؟ قال: قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرنى كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجالٌ يُدال علينا ونُدَال عليه. قال: فأخبرنى هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئا سألنى عنه أَغتمز فيه غيرَها. قال: قلت: لا، ونحن منه فى مُدّة[(2)] ولا نأمَن غدرَه. قال: فوالله ما ٱلتفت اليها منّى. ثم كرّر علىّ الحديث فقال: سألتُك عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسبًا؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبًا. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو

٩٥ / ٦

(١) أى خيرنا وأفضلنا نسبا.

(٢) فى مدة: يعنى بها مدّة صلح الحديبية. وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب إلى مكة حاجا فتعرضت له قريش فأوقع بينه وبينهم صلحا على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يرجع عنهم عامهم هذا. وقيل: يعنى بالمدة ٱنقطاعه صلى الله عليه وسلم وغيبته عن أبي سفيان. (راجع شرح القسطلانى على البخارى ج ١ ص ١٠٠) طبع بولاق.

يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه بجاء بهذا الحديث يطلب ملكه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء فى كل زمان . وسألتُك عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه و يفارقه ، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألتُك عن الحرب بينكم و بينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدَال عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقِبةُ . وسألتُك هل يَغْدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتنى عنه فَلَيَغْلِبَنّ على ما تحت قَدَمَىّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّى عنده فأغسِلُ قدميه ! انطلِقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يدَىّ على الأخرى وأقول : ياللعبادِ الله ! لقد أمِرَ(١) أمْرُ آبن أبى كَبْشة(٢) ! أصبحتْ ملوكُ بنى الأصفر(٣) يهابُونه فى ملكهم وسلطانِهم .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وما كان بين هرقل و بطارقته

قال آبن إسحاق : فقدِم عليه كتابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع دِحية(٤) ابن خليفة الكلبىّ ، فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى هِرَقْل عظيم الروم . السلامُ على من آتبّع الهدى . أمّا بعد ، فأَسْلِم تَسْلَمْ يُؤْتِك الله أجرَك مرّتين ، وإن تتولّ(٥) فإنّ إثمَ الأكابر(٦) عليك" .

(١) أمر : عظم . (٢) أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور؛ فسمى المشركون النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى كبشة لخلافه إياهم الى عبادة الله تعالى تشبيها له بأبى كبشة الذى خالفهم الى عبادة الشعرى . وقال آخرون : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فنسب إليه لأنه كان نزع اليه فى الشبه . وقيل فيه غير ذلك (راجع اللسان مادة كبش) . (٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم . (٤) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبى الصحابى المشهور ، وهو الذى كان جبريل عليه السلام يأتى فى صورته ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة . (٥) فى صحيح مسلم والبخارى : «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين» (هم الفلاحون والزراعون) . (٦) قد ورد هذا الكتاب بإسهاب فى البخارى ومسلم فانظره فيهما .

قال ابن شهاب : فأخبرنى أُسْقُفُ النصارى فى زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمرِ هرقل وعقله ، قال[1] : فلمّا قدم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل دِحْيَةَ بن خليفة ، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل برُومِية[2] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرءونه ، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة : إنه النبيّ الذى كنّا ننتظره لاشكّ فيه ، فاتّبِعْه وصدِّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له فى دَسْكَرة[3] ملكه ، وأمر بها فأغلِقت عليهم أبوابُها ، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال : يامعشر الرّوم ، قد جمعتُكم لخبر ، أتانى كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنّه النبيّ الذى كنّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتُنا . قال : فنخَرت[4] الرومُ نَخْرةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغْلِقَتْ دونهم . فقال : كُرُّوهم علىّ وخافهم على نفسه ؛ فكَرُّوهم عليه . فقال : يامعشر الرّوم ، إنما قلتُ لكم المقالةَ التى قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم فى دينكم فى هذا الأمر الذى قد حدَث ؛ فقد رأيتُ منكم الذى أُسَرّ به ؛ فخرّوا سُجَّدًا . وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففتحت لهم فانطلقوا .

٩٦/٦

حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبىّ صلى الله عليه وسلم وهما باليمن وحديث الحبر اليهودى معهما

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن زكريا الغَلَابىّ قال حدّثنى أبو بكر الهُذَلىّ عن عِكْرمة عن ابن عباس قال قال لى العبّاس :

خرجتُ فى تِجارة إلى اليمن فى رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يومًا طعامًا وأنصرف بأبى سفيان وبالنَّفَر ، ويصنع أبو سفيان يومًا

(١) فى الأصول : « ... وعقله . فلما قدم عليه ... ... قال أخذه هرقل » . فوضعت كلمة "قال" فى الأصول فى غير موضعها . (٢) رومية : هى عاصمة ايطاليا الآن . (٣) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم . (٤) نخر : مدّ الصوت من خياشيمه .

فيفعل مثل ذلك . فقال لى فى يومى الذى كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ الى بيتى وتُرسلَ إلى غدائك؟ فقلتُ : نعم . فآنصرفتُ أنا والنَّفَرُ الى بيته وأرسلت إلى الغـداء . فلمـا تغدّى القوم قاموا واحتبسنى فقال لى : هل علمتَ يا أبا الفضل أن آبنَ أخيك يزعُم أنه رسول الله؟ قلت : وأىُّ بنِى أخى؟ قال أبو سفيان : إياىّ تكتُم ! وأىُّ بنى أخيك ينبغى له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد! قلت : وأيُّهم هو على ذلك؟ قال : محمد بن عبد الله . قلتُ : ما فعَل! قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إلىّ كتابًا من آبنه حَنْظلة بن أبى سفيان : إنى أُخبرك أن محمدًا قام بالأَبْطَح(١) غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : ياأباحنظلة ، لعلّه صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أُحبّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنى لأخشى أن تكون على بَصَرمن هذا الأمر — وقال الحسن بن علىّ فى روايته : على بصيرة من هذا الحديث — ثم قال : يابَنِى عبد المطّلب ، إنه والله مابَرِحتْ قريشٌ تزعُم أن لكم يُمْنَةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهـذه والله إذًا شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فمـا كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبد الله ابن حُذَافة السَّهْمىّ بالخبر وهو مؤمنٌ ، ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن يُتحـدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس الى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهودىّ : ما هذا الخبر الذى بلغنى؟ قال : هو ماسمعتَ . قال : أين فيكم عَمٌّ هذا الرجل الذى قال ماقال؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهودىّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثنى عنه . قال : لا تسألْنى ، فما كنتُ أحسب أن يَدّعى هذا الأمر أبدًا ، وما أحِبُّ أن أعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهودىّ : فليس به أذًى ، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه . قال العباس : فتأدَّى إلىّ الخبرُ فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلَغنى أنك سألتَ ابن عمّى هذا عن رجل منّا يزعمُ أنه رسول الله ، فأخبرَك أنه عمُّه ، وليس بعمّه ولكنّه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبى سفيان فقال : أصدَق؟ قال : نَعَمْ صدَق . قال فقلت : سلْنى عنه ، فإن كذَبتُ فليردد علىّ . فأقبل علىّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لآبن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان آسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده؟ قال عبّاس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبى سفيان وأنه مُكذّبى ورادٌّ علىّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءَه وجعل يَصيح : ذُبِحتْ يهود ! قُتِلت يهود ! ٩٧/٦

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهودىّ لفَزِعٌ من آبن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ مارأيتَ ، فهل لك يا أباسفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقًّا كنتَ قد سَبَقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرُك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومِن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمى ما ألقيتُ لها بالًا ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلُع من كَدَاء . قال العباس : فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّةَ ونظرنا إلى الخيل قد طلَعت من كَداء ، قلتُ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة؟ قال لى : والله إنى لذا كرُها ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام .

حديث استئذان العباس له واسلامه فى غزاة الفتح

حدّثنا(1) محمد بن جرير الطّبَرىّ قال حدّثنا البَغَوىّ(2) قال حدّثنا الغَلَابىّ أبو كُرَيْب

(1) ورد هذا الخبر بسنده فى تاريخ الطبرى (ق ١ ص ١٦٣٠ طبع أوربا) . وقد رواه ابن جرير الطبرى عن أبى كريب مباشرة . وهو كثيرا ما يقول فى تاريخه : « حدّثنا أبو كريب » . فلعل ذكر اسمى البغوى والغلابى هنا من زيادات النساخ . (2) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوى من شيوخ آبن جرير الطبرى توفى ببغداد سنة ٢٤٤ هـ .

محمد بن العلاء قال حدّثنا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال :

لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلم مَرّ الظَّهْرانِ[١] (يعنى فى غَزَاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : ياصباحَ[٢] قريش ! والله لئن بغتها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء وقال : أَخْرُجُ إلى الأَرَاكِ[٣] ، لعلّى أرى حطَّابًا أو صاحبَ لَبَن أو داخلًا يدخل مكةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَسْتأمنونه . فوالله إنى لأطوفُ فى الأَراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ صوتَ أبى سفيان وحَكيم بن حِزام[٤] وبُدَيْل بن[٥] ورقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله مارأيتُ كالليلة قطُّ نِيرانًا . فقال بُدَيْل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزَاعة حَمَشَتْها[٦] الحربُ . فقال أبو سفيان : خزاعةُ أَلأَمُ من ذلك وأذلّ . فعرَفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلَة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبَّيْك ، فِداؤك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد دلَفَ[٧] إليكم بما لاقِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة فأَستأمِنُ لك رسولَ الله

---

(١) مر الظهران : واد قرب مكة . (٢) ياصباح كذا ويا صباحاه : مما يستعمل عند الانذار بالغارة .

(٣) الأراك : واد قرب مكة . (٤) هو حكيم بن خويلد بن عبد العزى الأسدى أبو خالد ابن أخى خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل ، وولد فى جوف الكعبة قبل قدوم الفيل بثلاث عشرة سنة . (٥) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن بن عدى من خزاعة ، وهو الذى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام ، وهو من كبار مسلمة الفتح . (٦) حمش الشيء : جمعه وفلانا هيجه . (٧) يقال : دلفت الكتيبة إلى الكتيبة فى الحرب أى تقدمت .

صلى الله عليه وسلم ، فوالله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنقَك . فردِفَنى فخرجتُ به أَرْكُض بغلةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلما مررتُ بنار من نِيران المسلمين فنظَروا إلىّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عهدٍ ؛ ثم ٱشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان — قال العباس : — حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِق به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىءَ . فدخل عمرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعنى أضرِبْ عنقَه . قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجَرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجِيه اليومَ أحدٌ دونى . فلما أكثر فيه عمرُ قلت : ٩٨/٦ مَهْلًا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنّه رجل من عبد مَناف ، ولو كان من بنى عَدِىّ بن كعب ما قلتَ هذا ! قال : مهلًا يا عبّاسُ ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلَم ؛ وذلك لأنى أعلم أن إسلامَك أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلَم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلمَ : "اِذهب فقد أمَّنّاه حتى تَغْدوَ به علىّ الغَداةَ" فرجَع به إلى منزله . فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : "ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله" ! فقال : بأبى أنتَ وأمى ! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّى شيئا . فقال : "ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن](١) تُضْرَب عنقُك" .

(١) زيادة عن الطبرى .

قال: فتشهّد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان: "انصرف يا عبّاس فاحْتَبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادى حتى يمرّ عليه جنود الله". فقلت : يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعلْ له شيئا يكون فى قومه . فقال : "نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ". فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادى، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْمٌ، فيقول: مالى ولسُلَيْم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : أَسْلَم، فيقول : مالى ولأَسْلَم! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : جهينة، فيقول : مالى ولجهينة! حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَضْراء، كَتِيبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار؛ فقال : يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيمًا . فقلت : ويحك ! إنها النبوّة؛ قال : نعم إذًا . فقلتُ : اِلْحَق الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرج سريعًا حتى أتى مكةَ فصرَخ فى المسجد : يا معشرَ قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم بمالا قِبَل لكم به . قالوا : فَمَهْ! قال : مَنْ دخل دارى فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تُغْنِى عنّا دارُك! قال : ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

بعض ما أسند اليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه

حدّثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزبير قال :

لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفنى أبى ، فأخذتُ فرسًا له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم ، فكانت الرّومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَنِى الأَصْفَر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبَنُو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـرُّوم* لم يبق منهـمُ مَذْكورُ

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال : قاتله الله! يأبَى إلّا نِفاقًا ، أوَلَسْنا خيرًا له من بني الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدى فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حدِّثهم ، فأُحدِّثهم فيَعْجبون من نفاقه .

حدّثني أحمد بن الجَعْد قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال :

دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان ، إن الأمر أمرُ عالمَيّة ، والملكَ ملكُ جاهليّة ، ٩٩ / ٦
فاجعل أوتاد الأرض بَنِي أُمَيّة .

حدّثني محمد بن حَيّان الباهليّ قال حدّثنا عمر بن عليّ الفَلّاس قال حدّثنا سهل ابن يوسف عن مالك بن مِغْوَل(١) عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأَبْجَر الأكبر قال :

جاء أبو سفيان الى عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر فى أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلًا ورَجْلًا . فقال له عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيْتَ اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئا ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلًا .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا وَلِي أبو بكر قال :

---

(١) كذا فى التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال . وهو مالك بن مغول البجلى أبو عبد الله أحد علماء الكوفة وعبادها توفى سنة تسع وخمسين ومائة . وفى ب ، س ، حـ : « معول » بالعين المهملة . وفى سائر الأصول : « معاوية » وكلاهما تحريف .

وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ * خُضُوعًا لتيمٍ(١) لا بضربِ القَواضبِ
فيا لهف نفسى للذى ظَفِرتْ به * وما زال منها فائزًا بالرّغائب

وحدّثنى أحمد بن الجعد قال حدّثنى محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جرير عن عمرو ابن ثابت عن الحسن قال :

لمّا ولِى عثمانُ الخلافةَ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بنى أُميّة ، إن الخلافةَ صارت فى تَيْم وعدِىّ(٢) حتى طمِعتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلقُّفَ الكُرَة ، فوالله ما من جنّة ولا نار — هذا أو نحوه — فصاح به عثمان: قُمْ عنّى فعل الله بك وفعل . ولأبى سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكُرها، وفيما ذكرتُ منها مَقنَعٌ(٣) .

شعره فى ابن مشكم حين نزل عليه فى غزوة السويق

والأبياتُ التى فيها الغِناء يقولها فى سَلَام بن مِشْكَم اليهودىّ ويُكنى أبا غُنْم، وكان نزل عليه فى غزوة السَّويق، فقَرَاه وأحسن ضيافتَه . فقال أبو سفيان فيه :

سقانى فروّانى كُمَيْتًا مُدامةً * على ظمأٍ منّى سَلَامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحدًا * سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن * لأُفْرِحَه أبْشِرْ بعُرف ومَغْنَمَ
وإنّ أبا غُنْمٍ يجود ودارُه * بيَثْرِبَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرِمِ(٤)

---

(١) هو تيم بن مرة بن كعب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه .

(٢) هو عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) الثابت فى التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه . فلعل هذه الأخبار ونحوها مما كان يفتريه الشيعة على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد لهم .

(٤) الخضرم : الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء .

خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم

ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبى سفيان على سَلَام بن مِشْكَم

كانت هـذه الغَزَاةُ بعـد وقعة بَدْر . وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألّا يَمَسَّ رأسه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمـرًا حتى يغزو رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم . فخرج فى عِدّة من قومه ولم يصنع شيئا؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنما خرجتم تشربون السَّوِيق[1]؛ فسُمّيت غزوةَ السَّوِيق[2] .

حدّثنا محمد بن جرير، قرأتُه عليه، قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمة ابن الفضـل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال :

كان أبو سفيان حين رجَع إلى مكة ورجَع قبل قريش من بَدْر، نذر ألّا يمسّ ماءً من جنابة حتى يغزو محمدًا صلى الله عليـه وسـلم . فخرج فى مائتى راكب من

١٠٠/٦ قريش ليُبِرّ يمينه ، فسـلَك النَّجديّةَ حتى نزل بصـدر قَناةٍ إلى جبل يقال له تَيْت[3] (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بَنِي النَّضِير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أَخْطَب بيَـثْرب فدقّ عليـه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه ؛ وانصرف

(١) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير .
(٢) الذى فى السيرة لابن هشام (ج ٢ ص ٥٤٤) : « وإنما سميت غزوة السويق — فيما حدثنى أبو عبيدة — لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السـويق ، فسميت غزوة السويق » .
(٣) تيت : ضـبط فى القاموس وشرحه كميت (أى بسكون الياء وبتشديدها مكسورة) . وضبط فى ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة . ومنهـم من قال : « تيب » بالتحريك وآخره باء موحدة ، جبل قريب من المدينة على سمت الشام، وقد يشدّد وسطه للضرورة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه مادة تيت) .

إلى سَلَام بن مِشْكَم — وكان سيّدَ بنى النَّضِير فى زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم — فآستأذن عليه فأذِن له، فقَراه وسقَاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج فى عقِب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالًا من قريش إلى المدينة، فأتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض، فحرَقوا فى أَصْوارٍ(1) من نخل لها، وأتوا رجلا من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر(2) بهم الناسُ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة(3) الكُدْر، ثم آنصرف راجعًا وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه، وقد رأوْا من مَزَاوِد القوم ما قد طرحوه فى الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجَاء . فقال المسلمون حين رجَع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنطمَع أن تكون غزوةً، قال "نعم" . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يحرِّض فيها قريشا فقال :

كُرّوا على يَثْرِبٍ وجمعِهِمُ * فإنّ ما جمَّعوا لكم نَفَلُ
إن يك يومُ القَليبِ(4) كان لهم * فإنّ ما بعده لكم دُوَلُ
آليتُ لا أقرَبُ النساءَ ولا * يَمَسّ رأسى وجلدىَ الغُسُلُ
حتى تُبِيدوا قبائلَ الأَوْسِ وآلـ * ـخَزْرَجِ إن الفؤاد مُشْتعِلُ

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يا لَهْفَ أمّ المسبِّحِين(5) على * جيشِ آبن حرب بالحَرّة الفَشِلِ(6)

(1) كذا فى حـ والسيرة لابن هشام والطبرى (ق ١ ص ١٣٦٥) . وقد ورد هذا الخبر فى شرح القاموس واللسان (مادة صور) ومعجم ياقوت فى الكلام على عريض هكذا : «أن أبا سفيان بعث رجلين من أصحابه فأحرقا صورا من صيران العريض» . والصور : الجماعة من النخل . وقيل : النخل الصغار . وفى سائر الأصول : «فحرقوا أسوارا من نخل» بالسين المهملة وهو تحريف .
(2) نذر : علم . (3) قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر . (4) هو قليب بدر (انظر الكلام عليه فى غزوة بدر فى هذا الكتاب ج ٤ ص ١٧٠ من هذه الطبعة) . (5) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى الأصول : «المسجيين» . (6) الفشل : الضعيف الجبان .

أتطرحون الرجال من سَنَمِ الظَّهـــر تَرَقَّى فى قُنَّـــة الجبـــل
جاءوا بجَمْـــعٍ لو قِيس منزلُه * ما كان إلا كمُعْرَس الدُّئِـــل(١)
عارٍ من النصر والثراءِ ومِنْ * نَجْدة أهل البَطْحاء والأَسَـــلِ

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقدىّ :

أن غَزْوة السَّوِيق كانت فى ذى القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة .

اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الحارث بن أبى أُسَامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقِدىّ عن أبى الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال :

شرِب حسّان بن ثابت يومًا مع سَلَام بن مِشْكَم ، وكان له نديمًا ، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبَىّ وقيسُ بن الخَطِيم ؛ فأسرع الشرابُ فيهـم وكانوا فى مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تعَالَ أُشارِبْك ؛ فتشارَبا فى إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئًا ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ فى وجهه : أو خيرًا من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَةَ . قال : لا ! إلّا أن تشربه ؛ فأبى حسّان . وقال له سَلَام بن مِشْكَم : يا أبا يزيد ، لا تُكْرهه على مالا يَشتهى ، إنمـا دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفَّ به وتُسِيءَ مجالسـتَه . فقـال له قيس : أفتدعونى أنت على أن تُسِيء مجالستى ! فقال له سَـلَام : ما فى هذا سوءُ مجالسة ، وما حملتُ عليك إلّا لأنك منّى وأنى حليفك ، وليست عليك غضاضةٌ فى هذا ، وهذا ١٠١/٦ رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلى ؛ فيجب أن تُكرم لى من أكرمتُه . ولعمرى

(١) المعرس : الموضع الذى يعرس فيه (ينزل) . والدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هى شبيهة بابن عرس . وفى الطبرى (ق ١ ص ١٣٦٦) : « كمحص الدئل » .

إن فى الصحو لمَـا تكْتَفُون به من حروبكم؛ فٱفترقوا . وآلى سَلاَمُ بن مِشْكم على نفسه ألّا يشرب سنةً؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريمًـا .

صـــوت

من المـائة المختـارة

مَنْ مُبلغ عنّى أبا كاملٍ * أنّى اذا ما غاب كالهـامِل
قــد زادنى شوقًا إلى قربه * مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِل

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبى كامل . ولحنُه المختار من الثقيــل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أن لأبى كامل فيــه أيضا لحنًا من خفيف الثقيل الثانى بالوسطى .

انتهى الجـــزء السادس من كتاب الأغانى

ويليه الجزء السابع

وأوّله أخبار الوليـــد بن يزيد ونسبه

فهرس

الجـــزء السادس من كتاب الأغانى

فهـــرس الشـــعراء

فهـــرس رجال السـنـد

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس المغنين

فهـــرس رواة الألحـان

فهـــــرس الاعـــــلام

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

فهرس أسماء الأماكن

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــــرس القـــــوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
بنى	جمــدْ	طويل	٢ : ٢١١
أغنى	الحردْ	«	٢ : ٢٣٦
الواهب	اللبدُ	بسيط	٢٣ : ٣٠١
يادار	الفردُ	«	٧:٣٢٠،١:٣١٤
يادار	الأبدِ	«	١٩ : ٢٩٢
جلا	وعدَا	«	١٢ : ٧٩
ألم	غدَا	«	١٦ : ١٨١
أمسى	عيدَا	«	،١٣:٣٢١،١٣:٣١٤ ٣:٣٢٩،١٨:٣٢٧
سرى	هجودُ	وافر	٩ : ١٣٢
وسيف	عادِ	«	٢٢ : ٢٠٩
شجا	فؤادي	«	١٥:٢٢١،١١:٢١٩
ألا	السهادِ	«	٣ : ٢٤١
نعم	حمادُ	الكامل	١ : ٨٦
مجتاب	البرجدُ	«	١٠ : ٩٥
طرقتك	هجودُ	«	٩ : ١٨٣
يأبى	ثمودِ	«	٤ : ٤٦
واذا	وسعيدِ	«	١٢ : ٦٢
يا عبد	فاسدِ	«	٣ : ٢٤٩
ياصاحبي	عبيدَا	«	٣ : ٢٦٢
أعسيت	جديدَا	مجزوء الكامل	٥ : ١٨٧
قد	فؤادَهْ	مجزوء الرمل	١٢ : ٢٤٠
هل	آمدِ	سريع	١ : ٤٧
يا طللا	الرعدِ	«	١١ : ١٧٢
إن	عوّادِ	«	١٣ : ٢٨٧
أشبهك	قاعدَهْ	«	١٦ : ٢٩٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
صادتك	كمَدُ	منسرح	١٥ : ١٨٦
يأيها	ينشدُ	«	١٣:٢٣٦،٩:٢١٢
قل	زادَا	خفيف	٤ : ١٢،١٣ : ٨
أمن	يجدُ	متقارب	١١:٩٧،١٤:٩٦

(ر)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
فإن	عامرُ	طويل	٩ : ٢
أسود	خوادرُ	«	١٩ : ١١
سيعلم	شاعرُ	«	٧ : ٨٥
خراعيب	وتظهرُ	«	٢٢ : ١٨٦
أخاف	ذعرُ	«	١٠ : ١٩٩
ألم	يا عمرُو	«	٣:٣٢٤ ،٥:٣١٦
لعبدة	أسطارُ	«	٨ : ٢٤٦
لقد	لفقيرُ	«	١٩:٢٥٨ ،١:٢٥٥
لقد	صبورُ	«	٩ : ٢٥٥
أدور	أدورُ	«	١١ : ٢٥٦
فمن	أيورُها	«	٦ : ٣٥
وما	وشعيرُها	«	٥ : ٢٧٥
لا يبعدن	عثورُها	«	١٣ : ٢٧٦
هل	الجمرِ	«	٨ : ٣
شكوت	بالصبرِ	«	٤ : ١٦٢
تعز	الغوابرِ	«	١٠ : ٤
ولم	بشبرِ	«	٥ : ٥٠
وكنا	يؤمَرَا	«	٥ : ١٥
ورويت	أعمَرَا	«	١٩ : ٢٠٧
لقد	مضرْ	«	٥ : ٥٨
تقول	الشعرُ	بسيط	٣:١٠٠ ،١٢:٩٦

(ز)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
ظبية	العناقِ	خفيف	١٢٨	١٣
إتنى	الأعناقِ	«	٢٤٣	٢٠
عبـد	بالتلاقِ	«	٢٤٦	٣

(ك)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
عبـد	فـداكِ	مجزوء الرمل	٢٥٢	١٦
يا عبد	ألقـاكِ	سريع	٢٤٨	١٠
يا عبد	وعدكِ	«	٢٤٩	١٤

(ل)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
له	وبائلُ	طـويل	١٠٩	١٦، ١١١ : ٣
فؤادى	هولُ	«	١٥٤	١، ١٥٥ : ١٧
وقفت	تسـيلُ	«	١٦٣	٥
تعـيرنا	قليـلُ	«	٣١٥	٢، ٣٢٢ : ٩
وأبكى	تبـذلُ	«	١٥٥	٣
وتعطو	إسحـلِ	«	١٨٦	١٩
أياروضة	بمـنزلِ	«	٢١٤	٨
ولو	بناطلِ	«	٢٦٢	١٤٠
أساءت	بالأوائلِ	«	٢٦٩	١٤
ومالى	المناهلِ	«	٣٢٥	١٧، ٣٢٦ : ٥
أيهـا	ومسولُ	مـديد	٢٣٣	٣
تضحك	يستهلُّ	«	٨٧	١
لم	الكللُ	بسـيط	٣١٣	٧، ٣٢٠ : ١٣
لا يطلب	أحوالاَ	«	٢١٠	٢١
صـبا	ياأثيـلاَ	وافر	٢٢٢	١٠
أتيتك	الحيلُ	مجزوء الوافر	١٦٨	٢، ١٦٩ : ٤

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
ودع	قليـلُ	كامـل	١٥٦	٤
بان	منزلهُ	«	١٨٦	٣
بنت	بعلُها	«	٢٢٧	٧
إنى	جهـلِى	كامـل	١٨٨	٣
ياصاحبى	تفعـلاَ	«	١٣٠	١٠
إن	فعـلاَ	«	١٧٧	١٢
طـرق	الوصـلاَ	«	٢١٨	٥
ما بال	فأضـلّهُ	«	٢٢٣	٧
إذا	وجلِ	هزج	١٥٢	١٢
أحل	وغسلَهْ	رجز	١٥٠	١٢
أنخـرتم	عزلْ	رمـل	٥٥	١
من	كالهاملِ	سريع	٣٦٠	٥
خليفة	معتدلُ	منسرح	٣٠٦	١٢
إسـلم	والسبلُ	«	٣٠٧	٣
كروا	نقلُ	«	٣٥٨	١١
مالك	الأجلِ	«	٢٢٩	١٧
يالهف	الفشلِ	«	٣٥٨	١٦
يالقومى	الدلالِ	خفيف	٢٣١	١٤
يقطع	ليـالى	«	٢٣٢	٣
أبنضوا	الفحولاَ	«	١٠٣	٩
تقادم	النصالِ	متقارب	٥١	١٤
وأصحب	المسيلِ	«	٢٩٣	١٠
فـزت	أصـيلاَ	«	٣٥	١٨
ألا	المحـلّ	«	٢٠٥	١٩
كأن	العسـلْ	«	٢٠٨	٥

صدرالبيت	قافيته	بحره	ص : س
	(م)		
علام	محزمُ	طويل	٩٧ : ٦ ، ٩٩ : ٧
متى	المظالمُ	«	١٦١ : ١٤
الى	عالمِ	«	١ : ١٦
وكنت	الدمِ	«	٧٣ : ٧
سقانى	مشكمِ	«	٣٤٠ : ١٤ ، ٣٥٦ : ١٢
اذا	حكيمِ	«	١٤٠ : ٣
لعمرك	حكيمِ	«	١٤١ : ١
ألا	دائمَا	«	١٣٨ : ٣
وددتك	مقسّمَا	«	٣١٥ : ٧ ، ٣٢٢ : ١٧
لحى	ومطعمَا	«	٣١٥ : ١٤ ، ٣٢٣ : ١٠
فردّى	كلمَا	«	٣٣٥ : ١٣
فما	اللممْ	«	٢٢٧ : ١٤
جمعت	حامِ	بسيط	٨٩ : ١
أتنسى	البشامُ	وافر	٧٩ : ١٠
ولما	كومُ	«	١١٣ : ١٨
يضىء	وسيمُ	«	١١٦ : ٧
أجارتنا	الذميمِ	«	١١٥ : ٣
فكم	ديمِ	«	١١٧ : ١٠ ، ١١٨ : ١٧
قلبى	أميمُ	كامل	٢٥٧ : ٢٠
أمعارف	مجرّمُ	«	٢٨٨ : ٦
إنى	فتفهمِ	«	٩٧ : ٢
وعليك	بتكلّمِ	«	٩٨ : ٢
ياعبد	متيّمِ	«	٢٤٨ : ١٧
أم	إثمى	«	٢٦٠ : ١٣
لو	حامَا	كامل	٢٥ : ١٤
حتام	علامَا	«	٢٢٦ : ٨
حيبا	الظلامِ	رمل	٣٢ : ٣ ، ٥٣ : ٤
لم	ألمْ	«	٢٥٠ : ١٩
لابد	والصرمِ	سريع	٢٩٥ : ٩
يابنة	لمَا	«	٢٣٧ : ٩
عتقت	قثمْ	«	٢٠ : ١١
النشر	غنمْ	«	١٢٦ : ٧
الدار	قلمْ	«	١٢٧ : ٣
غراء	الظلمِ	منسرح	٢٨٦ : ١٧
ياصاحب	قثَما	«	١٨ : ١٧
عبد	المستهامُ	خفيف	٢٥٢ : ١١
صاح	لائمَا	مجزوءالخفيف	٢٥٩ : ٨
ألا	الألمْ	متقارب	١٨٧ : ١٠
	(ن)		
طربت	بالحزنِ	طويل	١٩٦ : ٣
فهأنذا	مكانِ	«	١٩٩ : ١٣
مررنا	هجانِ	«	٣١٤ : ٨ ، ٣٢١ : ٦
شكونا	عندنَا	«	٣١١ : ٧ ، ٣١٩ : ١٧
ألا	والحزنْ	«	٢٣٨ : ١٢
نخوف	السفنُ	بسيط	٧٢ : ١٢
ما غيرت	الهجنِ	«	١١٠ : ١١
كانوا	خصيانَا	«	٢١ : ١٦ ، ١٧٣ : ١٨
يامن	بهتانَا	«	١٧٤ : ٥
قالوا	ما كانَا	«	٢٤٢ : ١٢
أعلمه	رمانى	وافر	٢٩٨ : ١

فهـــــرس أنصاف الأبيـات
مرتبـــة حسب أوائل كلماتهـا

فهـــــرس أيام العــــرب

فهـــــرس الأمثـــــال

فهـــــرس الموضـــــوعات

أخبار أحمد النصبي ونسبه

أخبار حماد الراوية ونسبه

أخبار عبادل ونسبه

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

صفحة

المرقش الأصـــغر

أخبار سـياط ونسـبه

ذكر نبيـــه وأخباره

أخبـار سـليم

أخبار ابن عباد

أخبار يحيى المكى ونسبه

أخبار النميرى ونسبه

أخبار وضاح اليمن ونسبه

أخبار بشار وعبدة خاصة

أخبار الأحوص مع أم جعفر

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها

ذكر أبى ذؤيب وخبره ونسبه

ذكر حكم الوادى وخبره ونسبه

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

ذكر أبى سفيان وأخباره ونسبه

ذكر الخبر عن غزوة السويق ونزول أبى سفيان على سلام بن مشكم

استدراكات خاصة بهذا الجزء

ورد فى ص ٤٥ س ٤ : "وفضل عليه آل عطارد فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه" وصواب العبارة : "فبلغه عنه أنه ذمه وفضل عليه آل عطارد فحبسه" ويلاحظ ذلك بما ورد بعد العبارة من الشعر .

ورد فى ص ٨٠ س ٢٠ : "وفى ب ، سـ "الطناجير" وهو تحريف" والصواب أنه ليس تحريفا .

ورد فى ص ٢٤٠ س ٨ : "وعلى بن سليمان هـذا الذى أهدى المعلى وأخاه إلى المهدى" ويلاحظ أن على بن سليمان أهدى المعلى وأخاه إلى المنصور فوهبهما المنصور للمهدى . كما ورد ذلك فى ص ٢٣٩ س ١٨ — ١٩

إصـــلاح خطـــأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء :

صفحة	سطر	خطـــأ	صـــواب
٧١	١٩	بجـــريد	تجـــريد
٧٨	٧	يحيي بن المكى	يحيي المكى
٨٢	١٦	شـــرًا	شـــرًا
٨٣	١٧	الخــزيمى	الخــريمى
٨٤	٠٠ فى الهامش	ستهدى نبيذا من اصديق	استهدى نبيذا من صديق
٩٨	١٤	نخـدهم	نفـذهم
١٣٧	١	الاثار	الآثار
١٤٣	٦	ولا وفضة	ولا فضة
١٥٤	١	وأجفـالى	وأجفـانى
١٥٨	٢	ضـاف (١)	ضـاف
١٧٥	٣	أدر ٰا	أدركا
١٧٥	١٧	دركاه	أدركاه
١٩٢	٢	ســتة	ســته
١٩٦	١٨	معدن البرام	معدن البرم
٢٠٣	٢٤	عمر بن عبد الله	عمر بن عبيد الله
٢٠٥	١٥	عمر بن بانة	عمرو بن بانة
٢٠٨	٠٠ فى الهامش	وقام إلى الصلا	وقام إلى الصلاة
٢١٠	٢٠	أمية بن الصلت	أمية بن أبى الصلت
[illegible]	١١	سليمان بن أبى أيوب	سليمان بن أيوب
[illegible]	١٣	عنـاء	غنـاء
٢٥٣	٣	باعبد	يا عبد

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الاصفهاني

الجزء السادس

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٥

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية